الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail : alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)

المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان ، وسط البلد ،
شارع الملك حسين، بجانب مطعم القدس - بناية رقم 12
هاتف 4638688 6 00962 ، فاكس 4657445 6 00962

الفرع الثاني (المكتبة)

عمّان ، وسط البلد ، شارع الملك حسين ،
بجانب البنك المركزيّ ، مكتب المقاصة - بناية رقم 34

مكتب بيروت

لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات
هاتف : 824203 1 00961 ، مقسم 19

◆

معركة الكرامة

تأليف: اللواء محمود الناطور

الطبعة الأولى ، 2009
حقوق الطبع محفوظة

◆

الغلاف والصف الضوئي : علي الحسيني 99782270 7 00962 ، عمّان ، الأردن

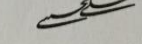

***All rights reserved**. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the publisher.*

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أي جزء منه ، بأيّ شكل من الأشكال ، إلا بإذن خطّيّ مسبق من الناشر

معركة
الكـــــرامة

اللواء محمود الناطور
"ابو الطيب

تقديم

يعتبر هذا الكتاب من وجهة نظري أفضل الأعمال حتى الآن التي تناولت معركة الكرامة، فهو يوثق للأجيال القادمة إحدى المعارك التي كان لها أثر كبير في انتشار العمل الفدائي الفلسطيني وعلانيته، وإعادة الاعتبار إلى الجيوش العربية التي أصابها الإحباط والوهن بعد نكبة عام 1967م، ويصف الكتاب أيضاً وبشكل متوازن ما قام به الجيش العربي الأردني، وما قام به الفدائيون الفلسطينيون، مما يؤكد على امتزاج الدم الأردني والفلسطيني في أكبر معركة عربية مشرقة في التاريخ الحديث.

وأشار مؤلف هذا الكتاب الأخ محمود الناطور (أبو الطيب) - وهو ليس الأول له الذي يتناول تاريخ الثورة الفلسطينية - إلى ثلاثة أبعاد لمعركة الكرامة وهي: البعد الفلسطيني، والبعد العربي، والبعد الدولي، كما أنه لم يغفل دور السلطة الرابعة (الصحافة) وأصداء معركة الكرامة فيها من كافة المجالات العربية والدولية.

واحتوى هذا الكتاب على هوامش مهمة جداً قدمت سيرة ذاتية للشهداء وعملهم النضالي من أعضاء اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، وغيرهم من شهداء الفصائل الفلسطينية ولكل من شارك في هذه المعركة الخالدة.

وتناول هذا العمل إشارات لانطلاقة حركة فتح وانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، وتفاصيل عملية عيلبون في 1964/12/31م باعتبارها تؤرخ لانطلاقة العمل الفدائي المسلح والمنظم داخل الأرض الفلسطينية؛ فبيّن طريقة اختيار الهدف ومجموعة التنفيذ، وخط سير العملية، وخطوات التنفيذ، وخسائر العدو، وأسماء الأبطال الذين نفذوها، كما أشار المؤلف إلى الاتصالات والتحركات على الساحة السورية من أجل الإعداد للانطلاقة وتشكيل القيادة العامة لقوات العاصفة وأسماء أعضاء القيادة فيها.

كما أورد الكتاب تفاصيل التحضير للانطلاقة الثانية لحركة فتح في 1967/8/28 إلى 1967/12/31م: (حرب التحرير الشعبية) ودور الأوائل في العمل الميداني داخل الأرض المحتلة ، خاصة دور الشهيد ياسر عرفات والعوامل التي ساعدت على ذلك ، كما أورد تفاصيل كثيرة عن الشخصيات والقيادات البارزة التي شاركت في هذا الإعداد.

لذلك فهذا الجهد لا يؤرخ فقط لمعركة الكرامة، بل للإرهاصات والتحضيرات التي سبقتها، حيث استعرض عدداً من العمليات الفدائية المميزة التي قامت بها قوات العاصفة قبل معركة الكرامة ومن أبرزها عملية بيت فوريك قرب نابلس بتاريخ 1967/12/7م.

ثم تعرَّض الكتاب لجدلية جيل النكبة والنكسة وجيل الثورة قبل أن يخوض في تفاصيل المعركة، وشهادات الأبطال الذين خاضوا غمارها، واصفاً طبيعة العلاقات التي ربطت أبناء الشعب الفلسطيني اللاجئ، وخاصة أولئك الذين كانوا يستعدون لخوض المعركة والاستشهاد، وأبْرز الكاتب البعد الاجتماعي والإنساني والتعليمي لأبناء مخيم الكرامة، وتأثير ذلك على بداية الوعي لدى الشباب والانتماء؛ حيث كان معظم سكان هذا المخيم يؤيدون حركة القوميين العرب، وهنا قد تعتقد لبرهة أن المؤلف يبتعد بك عن موضوع الكتاب ولكن ما يلبث أن يوظف ذلك في سياق الموضوع الرئيسي.

إن أهمية هذا العمل الذي قام المؤلف (أبو الطيب) بإعداده، تنبع من كونه يبحث في جوانب تفصيلية لمعظم الأحداث التي حدثت قبل وأثناء وبعد معركة الكرامة، حيث اعتمد في ثنايا كتابه القيّم على مذكراته الثرية خاصة عندما يتعلق الأمر بحركة فتح، والانتماء إليها ووصفه للمحطات المهمة في تاريخ الثورة الفلسطينية، ولذلك فإن هذه المذكرات تزيد من أهمية الكتاب كونها تضيف إليه معلومات وحقائق لا يمكن الاطلاع عليها في موضع آخر.

كما أحسن المؤلف صنعاً عندما أوفى كتابه كل الحق لشهداء اللجنة المركزية لحركة فتح حيث فصل أدوارهم في معركة الكرامة وكيف كان

يتم التنسيق فيما بين قيادة الحركة من أجل التحضير الجيد لهذه المعركة، كما أوفى دور الأهالي في منطقة الكرامة ومساعدتهم للفدائيين.

وينبغي لنا أن نشير إلى التقديم الشامل والتفصيلي لعناصر الخطتين الفلسطينية والإسرائيلية في معركة الكرامة، مما يدلل على الجهد المبذول والتقصي العميق والشامل للمعلومات والكتب والوثائق الذي قام به المؤلف هو وطاقمه المتخصص، و يظهر ذلك عند تصفحنا لتفاصيل هاتين الخطتين وما يتعلق بالخطط والتكتيكات والتشكيلات والإحصائيات، معتمداً على مصادر معلومات تتصف بالمصداقية والدقة، مما يجعلها مرجعاً مهماً للباحثين والمهتمين.

وتضمّن هذا العمل الرائع شهادات عدد من القادة والمناضلين حول أحداث وتداعيات المعركة، وفي مقدمتها شهادة اللواء الركن المتقاعد صائب العاجز قائد قوات التحرير الشعبية في معركة الكرامة الذي وصف بشكل دقيق وتفصيلي بطولات الشهداء المقاتلين وصمودهم، وكذلك تعيش أجواء المعركة كما هي وتتفاعل معها، ثم بيَّن الآثار الإيجابية للنصر في هذه المعركة كزيادة أعداد المتطوعين للقتال.

وكان من الجيد أن المؤلف قد ذكّرنا بالمرحوم ممدوح نوفل أحد القادة الفلسطينيين، الذي رأى أن حركة فتح تحملت العبء الأكبر في المعركة، إلى جانب استعراضه الوافي للسياق السياسي والجماهيري والتاريخي للمعركة التي كانت كل الفصائل بحاجة إليها، فالدخول إلى المجلس الوطني كان أحد نتائجها، كما أنها كرست القيادة الفلسطينية الرسمية للمنظمة، وعززت دور الفصائل على حساب المستقلين فيها.

ومن القضايا المهمة التي أظهرها وركز عليها المؤلف التضحيات والبطولات الفردية للفدائي الذي واجه الدبابة الإسرائيلية وهو مسلح بالإرادة والانتماء للهدف والتنافس على الاستشهاد من أجل الانتصار على العدو الإسرائيلي، وفي هذا السياق أعادت شهادة الراحل المناضل توفيق أبو بكر التي عرضها المؤلف في كتابه التذكير بشهداء الكرامة كنموذج يُحتذى، وعقدت مقارنة بين بناء المستوطنات في فلسطين التي تخلد

لذكرى قتلى يهود وبين نسيان الشهداء الأبطال في المعارك، والكرامة واحدة منها.

ومما يعطي هذا العمل توازنه وموضوعيته وشموليته، إنه قدم الرواية الأردنية لما جرى في معركة الكرامة، وفي مقدمتها شهادة الفريق المرحوم مشهور حديثة الجازي قائد الفرقة الأولى ونائب رئيس الأركان الأردني في ذلك الوقت، ولشهادة هذا الشجاع أهمية، إذ أن تفاصيل هذه المعركة، كما يقول حديثه - تنشر لأول مرة، وقد أخذها من الوثائق الرسمية للجيش الأردني، ومن الضباط وضباط الصف، وقد اشترك في عرض حقائق المعركة أيضاً، مدراء الفروع المعنيين في هيئة الأركان، وقادة الأسلحة الخفيفة، وتعتبر هذه الشهادة بمثابة السجل التاريخي العسكري للمعركة حسب الرواية الأردنية.

وفي بداية شهادته، يؤكد أن عمليات المقاومة الفدائية ضد إسرائيل كان لها الأثر الأبرز في استعادة ثقة ومعنويات الجندي العربي التي فقدها خلال حربي 1948م و1967م، وشكلت نقطة تحول في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، وتحدث عن التنسيق مع قيادة المقاومة الفلسطينية، ويؤكد أن أهم ما تحقق في المعركة هو وحدة الدم والهدف بين الجندي الأردني والفدائي الفلسطيني، ونفت شهادته الأقوال التي ادعت أن الفدائي لم يقاتل في تلك المعركة، بل إنه قاتل ببسالة واشتبك مع العدو بالسلاح الأبيض، «فلقد حارب الفدائي، وأنا أتحدث عن مقاتلي فتح فهم حسب علمي الذين قاتلوا»، مؤكداً على تكامل الجيش الأردني ودور الفدائيين.

ولكي تكتمل الصورة بأبعادها الثلاثة وحرصاً منه على تسليط الضوء على الآراء الأخرى حول ما جرى في معركة الكرامة، أورد المؤلف الرواية الإسرائيلية للمعركة من حيث أهدافها وعدد القوات التي شاركت في الاعتداء وتشكيلاتها بصورة مفصلة.

وتظهر موضوعية المؤلف وسدادة رأيه وشمولية عرضه عندما يتحدث عما جاء في الوثائق البريطانية حول معركة الكرامة، ودور حركة فتح في القيام بالعمليات داخل الضفة الغربية إلى جانب الاتصالات

السياسية بين الأطراف من أجل منع إسرائيل من القيام بعمليتها في الأراضي الأردنية.

وبشكل متزن ورصين وشامل استعرض المؤلف الانعكاسات المختلفة للمعركة على كل من حركة فتح، و الأردن، و إسرائيل، وردود الفعل الدولية، فبالنسبة لانعكاساتها على فتح، كان للمعركة كما يقول السفير البريطاني في عمان تأثير عكسي، فازداد تأييد الرأي العام لحركة فتح، واشتركت مع الشرطة والجيش الأردنيين في السيطرة على الكرامة، واستثمرت فتح المعركة خير استثمار، فأصبحت القوة الفعالة في الصراع العربي الإسرائيلي.

وكان من الجيد والمفيد من المؤلف أنه تعرض لتعليقات عدد من الصحف العربية سواء ألمصرية أو السورية أو العراقية واللبنانية حول المعركة التي اعتبرتها انطلاقة جديدة للعمل العربي والمقاومة وتحولاً في الأسلوب العربي في مواجهة إسرائيل، عدا عن كونها معركة شرف وبطولة امتزجت فيها دماء وجهود الفدائيين مع دماء الجيش الأردني، فيما اعتبرت صحيفة لوموند 3/23/ 1968م المعركة انبعاثاً جديداً للشعب الفلسطيني، فيما عقد مندوب فرنسا في الأمم المتحدة مقارنة بين فتح وبين رجال المقاومة الفرنسية إبان الحرب العالمية الثانية.

وفي النهاية، يعرض المؤلف ما أسماه مرحلة الصمود الثوري بعد الكرامة من حيث تضاعف عدد مقاتلي العاصفة، وتنامي المستوى العسكري، وتوافر التسليح وازدياد عدد العمليات، وازدياد الدعم المالي والسياسي والإعلامي من الدول العربية لحركة فتح، وعلى الصعيد الفلسطيني الداخلي، أدت المعركة إلى اندماج العديد من المنظمات الفلسطينية الصغيرة في حركة فتح منها: طلائع الفداء، جبهة التحرير الوطني الفلسطيني، جبهة ثوار فلسطين، قوات الجهاد المقدس، والهيئة العامة لتحرير فلسطين، إلى جانب مجموعات أخرى كانت تضم شخصيات أصبحت لاحقاً قيادات في الصف الأول في حركة فتح.

وأخيراً، فإن أهم النتائج السياسية لمعركة الكرامة على منظمة التحرير الفلسطينية التي بيّنها المؤلف في كتابه هي ترأس الشهيد ياسر عرفات اللجنة التنفيذية للمنظمة في الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني عام 1968، وسُمي قائداً عاماً لقوات المقاومة الفلسطينية.

وفي الختام نتمنى على الأخ محمود الناطور (أبو الطيب) وغيره من القادة الفلسطينيين والباحثين المزيد من هذه الأعمال التي تحفظ إرث الثورة الفلسطينية، وتؤرخ للمحطات المهمة في تاريخ نضال شعبنا الفلسطيني، بحيث تؤخذ المعلومات من مصادرها الأصلية المتمثلة بالجيل الأول والثاني مراعاةً للمصداقية والأمانة العلمية والبحثية قبل أن ينساها مَنْ عاصر هذه الثورة.

سليم الزعنون
(أبو الأديب)
رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

شكر وتقدير
للأخ سليم الزعنون (أبو الأديب)
رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

عُرف الأخ «أبو الأديب» بأدبه الجم ولطفه ومسحة الحنين التي تعلو وجهه وتلتصق بعينيه، يطالعك الأخ (أبو الأديب) سليم الزعنون ويستقبلك بحرارة الكلمات والصوت المميز... ويشعرك أنك الأول والأهم بين كل الحضور... وكل الحضور يبادله الشعور... يختار كلماته بدقة وعناية... كلمات رقيقة واضحة ومحددة لا يخرج نصه عن المألوف والقانون... وهو خبير القانون ومرجعه ، عندما طلبت منه مقدمة لكتابنا معركة الكرامة، رحّب بصدق وراجع كل كلمة وفاصلة... وحدد المقاطع والجمل... وقلب بعض الكلمات... فأعطت وهجاً للأفكار المدونة... وكان معلماً خبيراً في موازين اللغة... وهو الشاعر الرقيق والحار في معانيه.

حمل الأخ (أبو الأديب) هموم الديمقراطية الفلسطينية التي تتميز بصخبها وامتدادها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وتحتضن خلايا التطرف وخلايا الاستسلام وما بينهما، وترى فيها عصا ألدكتاتورية الشرسة، وترى المساومة والمهادنة في آن واحد... في وسط هذا كله يقود (أبو الأديب) سيد الديمقراطية الفلسطينية متمثلة بالمجلس الوطني الفلسطيني (البرلمان الفلسطيني) العتيد هذه الأوركسترا المتعددة النغمات والأصوات والآلات بكل حكمة القاضي ورجل القانون، ولشفافية الأديب والشاعر، وبحق حمل مسؤولية حماية هذه المؤسسة الفلسطينية من كل التقلبات التي أحاطت بها، وأبقاها الرقم الأول لاجتياز أي امتحان للقرارات المصيرية.

و«أبو الأديب» في موقعه رئيساً للمجلس الوطني الفلسطيني... صارم في إدارته دقيقاً في كلماته وتوجيهاته، أخاً وصديقاً للجميع خارج حدود جدية العمل، وروح المكان... هو القانون والقاضي والمحامي لكل الماضي والحاضر... وفي كلماته الدافئة شعر ونثر وإصرار على العطاء، وهنا يجب الشكر حيث موقع الشكر والتقدير والمحبة لصاحب الفكر والشعر.

اللواء محمود الناطور "أبو الطيب"

اعتراف بالفضل والجميل

الاعتراف بالفضل والجميل سمة الباحثين والكُتّاب الذين يوفون لكل ذي حق حقه ومن هذا المنطلق أتقدم بخالص شكري وامتناني لمجموعة من الإخوة والأصدقاء والباحثين الذين أسهموا إلى جانبي في إخراج كتاب «معركة الكرامة» إلى النور، وأخص بالذكر الأخ العميد يوسف عبد العزيز حسين، الذي بذل جهدا مميزاً في البحث عن المناضلين الذين شاركوا في المعركة، كما إنه ارتحل إلى عدة أقطار من أجل جمع المعلومات عن الشهداء، والحصول على صورهم الشخصية، ولا يفوتني أن أتقدم بشكري إلى الأخ المهندس إبراهيم الأغواني الذي قام برسم الخرائط وتثبيت المواقع العسكرية عليها، ولا أنسى جهود الدكتور سعيد عبد الله البيشاوي الذي قابل مجموعة من أُسر الشهداء القاطنين في الضفة الغربية، وحصل منهم على معلومات عن أبنائهم وإخوانهم الذين استشهدوا في معركة الكرامة، فضلاً عن مقابلة بعض المناضلين الذين شاركوا في هذه المعركة، واستقاء المعلومات منهم.

كما أتقدم بالشكر والتقدير الدكتور يوسف يونس، والاخ غالب يونس، والاخ محمد البحيصي اللذين أسهموا في ترجمة الموضوعات من اللغة العبرية، والشكر موصول للاخ جمال زيده، والاخ أمجد الكيلاني اللذان بذلا كل جهد في الطباعة والتوثيق.

كما أخص بالشكر الأخ الدكتور أحمد حماد على جهده الذي بذله معي لإخراج هذا الكتاب .

ولا بد من تقديم شكري واعتزازي وتقديري لكافة أُسر شهداء معركة الكرامة الذين لم يبخلوا علينا بأية معلومات أسهمت في إثراء موضوعات هذا الكتاب.

وفي النهاية لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور، والله ولي التوفيق.

اللواء محمود الناطور "أبو الطيب"

تمهيد

يحتفل الشعب الفلسطيني في الحادي والعشرين من آذار بذكرى معركة الكرامة الخالدة عام 1968م ، التي أولاها الرئيس الراحل والقائد الفذ المجاهد ياسر عرفات جل اهتمامه من أجل بعث التراث العسكري الفلسطيني، وتاريخ الثورة الفلسطينية التي قادتها حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح» بقوات العاصفة...

فمنذ عام الانطلاقة 1965م والمجاهد أبو عمار كان لا يألو جهداً في العمل على إبراز شخصيتنا التاريخية وأصالة حركتنا الرائدة «فتح»، ماضيها وحاضرها ومستقبلها... لكتابة تاريخ الثورة الفلسطينية... فرفع بذلك ركنا من أهم الأركان في بنيان تاريخ حركتنا «فتح» ومجدها العسكري «قوات العاصفة»... ليبقى شعبنا الفلسطيني وفياً لمبادئ الثورة الفلسطينية التي أطلقتها «فتح» الخالدة في عام 1965م ويبقى رجالها أوفياء لشعبنا الذي صانها... وللمجاهدين الذين استشهدوا في سبيلها من أجل أن تحيا فلسطين بدولتها المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

في هذا الإنجاز قمنا بدراسة وتجميع بعض مما كُتب عن معركة الكرامة ومقابلات وآراء ممن كان لهم شرف الاشتراك في هذه المعركة الخالدة... وعايش ظروفها... وحرصنا أن يشتمل هذا الإنجاز على مقالات وتصريحات حول معركة الكرامة وتعليقات بعض الكتّاب والصحف العربية والأجنبية...

وقد اشتمل هذا العمل على بعض الخرائط، وصور للشهداء، وصور لآثار معركة الكرامة.

إلا أن كل ما كُتب عن المعركة مجرد شهادات سواء ما كُتب عن ألسنة الذين شاهدوا المعركة أو مَن خاضوا غمارها... ولم يكن هدف هذه الشهادات إثبات الجانب الإحداثي العسكري، وسنحاول هنا استخلاص هذا الجانب من خلال التحليل والمقارنة ببعض الجانب الإحداثي العسكري.

إن دراسة معارك التحرير وإعادة توثيقها فيها عِبر ودروس، ومعركة الكرامة واحدة من معارك عديدة خاضتها أمتنا العربية.

وما زالت أصداء معركة الكرامة الخالدة تؤكد أن تلاحم الأمة العربية ووحدتها هو الطريق للنصر، ولذلك فإنها تستحق منا وقفة اعتزاز وافتخار لكي نضعها بين أيدي أبنائنا الباحثين والدارسين والمهتمين، لأنها فتحت صفحة جديدة في الصمود والتصدي، وحققت نجاحاً باهراً في إنهاء أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر خاصة وأنها جاءت بعد نحو عشرة أشهر على عدوان الخامس من حزيران عام 1967م، وقد جاءت في وقت كانت فيه الأمة العربية بحاجة إلى بارقة أمل ترفع عنها غبار القنوط واليأس الذي اكتنف الشعور العام للأمة العربية بعد نكسة عام 1967م.

لقد كان يوم الحادي والعشرين من آذار 1968م يوم الكرامة يوماً مشهوداً في تاريخ المعارك التي خاضتها أمتنا العربية في اليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت، لذلك فإن الهدف من هذه الدراسة هو أن نضع أمام شبابنا الصاعد المتوثب إلى المجد نماذج فريدة من المعارك البطولية التي قادها أبطال أفذاذ عرفوا بمتانة العزم والتضحية لكي يستمدوا منها القوة لبناء مستقبلنا الذي نتطلع إليه في بناء دولتنا المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

معركة الكرامة هي معركة الرجولة والتضحية التي خلّصت الأمة العربية من إرهاصات الهزيمة ونقلتها من جو النكسة إلى جو الانطلاق والأمل وأعادت سجل حطين واليرموك وشكّلت منعطفاً جديداً بانطلاقة جديدة نحو التحرير والعودة.

كانت معركة الكرامة امتداداً للمعارك الخالدة التي شهدتها بطاح فلسطين وسهولها في أجنادين وحطين ووهاد الأردن وسوريا في اليرموك ولاحقاً شهدتها بيروت الخالدة عام 1982م.

لقد كانت معركة الكرامة نقطة تحول في تاريخ العرب المعاصر استطاع الفدائيون الفلسطينيون مع إخوانهم في الجيش الأردني أن يثبتوا للعالم أن أمتنا العربية والإسلامية قادرة على إحراز النصر.

التقت تضحيات الشهداء في الكرامة ببطولات صلاح الدين الأيوبي في حطين عام583 ه-/1187م والظاهر بيبرس في عين جالوت عام 658ه- / 1260م وصولاً لتضحيات شهداء شعبنا على أرض فلسطين.

كان يوم الكرامة يوماً من أيام الله تجلّت فيه مواقف التضحية والفداء في أسمى معانيها وسجَّل أبطالنا هناك صفحات مشرقة من أمجاد التاريخ.

لقد كان الفدائي وأخوه الجندي الأردني في الكرامة هو ذلك المقاتل الشجاع والذي كان امتداداً لتاريخ فجر الإسلام، وإلى اليوم يمتلئ صدره بالإيمان وتزخر نفسه بالقيم السامية، إن فدائيي الكرامة هم أحفاد أولئك المقاتلين في اليرموك وحطين وعين جالوت الذين يتمنون الشهادة في سبيل الله ويطلبون في ساحات الوغى إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة في سبيل الله. ومن السمات المميزة للمعارك سالفة الذكر:

1 - تفوق العدو عدداً وعدة، واستهتاره بالقوة العربية وثقته بالنصر.

2 - التضحية والصمود والقيادة الواعية تحدث انقلاباً لموازين القوى لصالح العرب.

3 - كل نصر في المعارك الآنفة الذكر كان يشكل بداية لمرحلة جديدة.

وإذا قلنا بنظرية تماثل أحداث التاريخ فإن ما حدث في اليرموك وحطين وعين جالوت وغيرها تكرر مرة أخرى في معركة الكرامة فقد صمد المقاتلون صموداً أشبه بالمعجزة... وسطرت « فتح» بقواتها « العاصفة»، ومع أشاوس الجيش الأردني في تلك المعركة ملحمة بطولية، وشرب العدو في المعركة كأس الهزيمة وظل خمس عشرة ساعة يتعرض لأقسى الهجمات وأعنفها، كانت ساعات أذلّت كبرياء العدو وغطرسته، فاندحر بقواته من حيث أتى.

حقاً كانت معركة الكرامة يوماً خالداً من أيام العرب صنعته البطولة والصمود ودماء الشهداء الأبطال... الشهداء الذين صمموا على النصر، دماء الشهداء أبو شريف... وربحي... ورؤوف... والفسفوري... وأبو أمية وغيرهم من الشهداء الذين نسجوا ملحمة الكرامة، وقادة أحياء ما زالوا يسطرون الملاحم لإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

إن معركة الكرامة بكل ما فيها من معاني التضحية والفداء، تظل بداية لمرحلة شاقة وطويلة قطعها شعبنا بقيادته التاريخية بكل جلد وصبر، وقدم شعبنا آلاف الشهداء منذ الانطلاقة وحتى يومنا هذا.

لقد شكلت معركة الكرامة بداية الانتصار ضد العدوان والظلم والغطرسة الصهيونية، وأعطت المثل الأكمل على أن إرادة المقاومة والقتال هي القادرة على الإنجاز وتحقيق الأهداف ومهما كانت هذه القوة محدودة القدرة والإمكانيات إلا أنها قادرة على تحقيق النصر، وهنا نلاحظ أنه منذ معركة الكرامة وحتى يومنا هذا... لم يكن إلا الانتصار، والانتصار دائماً...

اللواء محمود الناطور "أبو الطيب"

إهـــداء

الحاجة أم يوسف

يشرفني أن أهدي كتاب الكرامة إلى المرأة الفلسطينية في الوطن والشتات، نظراً لما قدمته من تضحيات في سبيل فلسطين، فمن حقها علينا أن نعترف بكل ما بذلته من جهد وعطاء لا حدود لهما في دعم قضية الشعب الفلسطيني، فهي الأم المناضلة التي قدمت الشهداء، وأسهمت في العمل الاجتماعي والسياسي.

ولا بد لنا في هذا المقام من الإشارة إلى بعض النساء اللواتي لعبن دوراً بارزاً في دعم الثورة الفلسطينية، وأول ما يتبادر إلى ذهننا في هذا المجال المرحومة نعمة محمد شحادة (أم يوسف) التي عرفت[1] باسم أم الفدائيين، والتي يعرفها كل من عاش بالكرامة وخاض معركتها، وكانت أم يوسف تعتبر نفسها أُمّاً لجميع الفدائيين، وقد حولت منزلها في الكرامة إلى عيادة لإسعاف الجرحى والمصابين.

(1) ولدت أم يوسف في قرية المشهد (الناصرة) عام 1920م، وعاشت في مدينة حيفا، ونزحت في عام 1948م، حيث استقرت في مخيم الكرامة، وعندما تأسست وكالة الغوث الدولية عملت كممرضة في عيادة وكالة الغوث الكائنة في مخيم الكرامة.

الأم... الجدة من الذاكرة الفلسطينية إلى الرمز النضالي

أي مخزون من هذا العطاء والحب تحمله الأم الفلسطينية، تنتظر عودة ولدها حياً... أم جثماناً... تزغرد في الشهادة والعرس معاً... وتمزج بين الألم والفرح... وتفاخر ليس بالممتلكات أو الإنجازات... بل بالشهادة التي تميزها عن النساء الأخريات...

أية أم هذه ... أية أخت... زوجة أم جدة... وهي تملأ جدران البيت بصور الحبيب الغائب أو الشهيد أو الأسير مَن الذي يستطيع أن يترجم لنا هذا الكم الهائل من العاطفة المخزونة تحت جفون أمهاتنا... وأخواتنا... وبناتنا... وجداتنا... هذا الحزن الذي حوّل جفونهن إلى لون من ألوان الغضب... كل هذا فداك يا أرض المقدسات... يا أرض الرباط... يا أرض القدس... يا أرض الإسراء والمعراج... يا أرض المسيح... يا أرض الله... يا أرض الشهداء... أية أم في هذا الكون... غير الأم الفلسطينية... التي توزع الحلوى رغم هذا الدفق الهائل من الحزن... في يوم استشهاد ولدها...

أية أم في «أرض الله» تزغرد في عرس الاستشهاد إلا الأم والأخت والجدة الفلسطينية... أي بيت من بيوت هذه الأمة يستقبل المباركين إلا بيت الشهيد...

لك الله... لك المجد... لك كل أكاليل الغار... يا أم كل الشهداء... يا أمنا... يا أم فلسطين... لك الله أيتها الجدة والأم والأخت والابنة... عندما يأتي العيد وأنت على مقبرة الشهداء... تنظفين محيط القبر... وترشين المياه وتتحسسين جوانبه كأنه جزء من جسد الشهيد.

إن دور المرأة الفلسطينية في الحياة اليومية بكل أبعادها، هي مثالية الانتماء والولاء... والحب والجهد في البيت وفي الحقل، وهي التي ارتقت بحياتها وطموحها إلى جانب كل ذلك لتصبح المهندسة... والطبيبة والممرضة... والعاملة... والمزارعة... والمقاتلة... وكل المهن التي كان رجل الشرق يحتكرها...

ويقول الأديب الفرنسي الكبير جان جنييه...

«في كل ثورة، المرأة هي دائماً العنصر الأكثر جذرية، وفي الثورة الفلسطينية يبدو ذلك في غاية الوضوح»...

«إن المرأة أكثر ارتباطا بكل ما هو حسي وملموس، وهي تجد في عدم التوازن الذي يخلق الثورة، توازنا وجودياً أعمق، لهذا أقول إنها أكثر ثورية من الرجل»...

أما الكاتب الإسرائيلي غروسمان في تحقيق صحفي عن المرأة الفلسطينية...

قال « هنا يمكن أن تسمع أقسى الكلام من النساء... فالرجال يخافون أكثر من الاعتقال والمضايقة... النساء تسير في مقدمة المظاهرات... وهن اللواتي يصرخن وينفثن غضبهن أمام كاميرات التلفزيون... نساء خمروايات ذوات ملامح جادة جبلن بالألم والمعاناة[1].

مظاهرة نسائية فلسطينية

(1) عبد القادر ياسين - مجتمع الانتفاضة الفلسطينية - (كتاب الأهالي رقم 41 ص52).

وتعد المرأة الفلسطينية من اوائل النساء اللاتي شكلن جمعيات نسائية على الصعيد العربي، وكان لها نشاط بارز ضد الانتداب البريطاني ففي عام 1929م تجلى في كتابة المذكرات وإعداد العرائض ونشر الاعلانات الاحتجاجية في الصحف التي حملت توقيعهن وفي تنظيم المظاهرات فضلاً عن ذلك عقد أول مؤتمر نسائي في 1929/10/26م في القدس واشتركت فيه أكثر من ثلاثمائة سيدة فلسطينية من بينهن متيل مغنم وطرب عبد الهادي[1].

وفي عام 1935م أسهمت المرأة الفلسطينية في القتال وفي جمع السلاح ونقله إلى الثوار، وقامت بجمع التبرعات وتوزيعها على عائلات المجاهدين، كما سعت إلى توفير المؤن، والماء، والملابس للثوار في مختلف المناطق[2].

وعقب قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 شاركت المرأة في مؤسساتها وأجهزتها وتمثلت في المجلس الوطني الفلسطيني منذ دورته الأولى، وفي جميع دوراته المتتالية، وضم المجلس المركزي ممثلة عن الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.

وشهد وضع المرأة تحولاً سياسياً بعد عام 1965م، والتحقت في التنظيمات الفلسطينية، واعتبرت دعامة أساسية لها وأسهم عملها السياسي في إحداث نقلة نوعية في حياة المرأة الفلسطينية التي خرجت من دائرة الجمود إلى دائرة العمل الاجتماعي والسياسي والعسكري، وقد دخلت المرأة المعتقلات وعذبت، وتعرضت لشتى أساليب العذاب وارتقت شهيدة.

ونجحت المرأة في ذلك مستفيدة من تجربتها الرائدة المتراكمة، رغم الثمن الباهظ الذي دفعته ومازالت كونها كانت أثناء قيامها بدورها الوطني مسؤولة عن واجب آخر... البيت وتربية الأولاد وخدمة الزوج.

---

(1) تيسير جبارة: «تاريخ فلسطين الحديث»، ط1، دار الشروق، عمان 1998م، ص166 - 167.

(2) ننوه هنا بجهد الأخت هند جوهرية في تأمينها لنا لبعض صور معركة الكرامة وآثارها من خلال أرشيف الشهيد هاني جوهرية الذي تواجد مع عدد من الصحفيين والمصورين في المنطقة.

ابدعت في الصفاء لفلسطين الأرض حينما رشحت حبات عرقها على التراب الطاهر وهي تفلح الأرض مع الرجل، وفي كثير من الأحيان لوحدها عندما كان يتعرض زوجها أو ابنها للاستشهاد أو الاعتقال، حيث لم تدع الأرض تبور أو يجف ترابها،كما أنها أبدعت في عطائها للرجل الفلسطيني عندما كان لا يجد المال الكافي ليحقق حلمه في شراء البندقية للدفاع عن أرضه وعرضه وسرعان ما يجد المرأة وهي تقدم مجوهراتها وحليها مقابل الحصول على البندقية، وذهبت في نضالها إلى أبعد من ذلك حينما كانت تحمل البندقية وتواجه عمليات الاستيلاء على الأراضي أو تخريبها من قبل المستوطنين الصهاينة منذ بداية الغزو الصهيوني لفلسطين.

وعلى الرغم مما حلَّ بقضية فلسطين، ورغم اتساع حلقة التآمر على شعبنا، فقد ازدادت إصراراً على مواصلة نضالها فبعد عام 1967م انخرطت فعلياً في العمل المسلح، وشاركت في المجموعات الفدائية البطولية، وساعدت في نقل الأسلحة والمتفجرات وتخزينها ونفذت العديد من العمليات النوعية ضد مواقع العدو الصهيوني، وبرزت الفدائية الفلسطينية:

فاطمة برناوي
أول أسيرة من حركة «فتح»[1]

دلال المغربي
أول شهيدة من حركة «فتح»[1]

(1) تعتبر فاطمة برناوي أول أسيرة لحركة فتح عام 1967م، عملت ممرضة في بلدة قلقيلية سنة 1959م حيث كان أهالي البلدة يعمرونها بعد عدوان 1956م، وفي عام 1964م أغار العدو على قلقيلية مرة أخرى، وتكررت أمامها صورة 1948م، ودمرت قلقيلية. تركت قلقيلية وعادت إلى القدس، حيث أهلها - بعد حرب عام 1967، التحقت بحركة فتح في 1967/2/1م مع شوقي

وهناك الكثيرات من المناضلات اللاتي صنعن بصمودهن خلف قضبان الاعتقال أروع صور البطولة والفداء. وهنا نتقدم بالتحية والعرفان والتقدير الممزوج بالفخر والاعتزاز لكل شهيدات شعبنا اللاتي سطّرن بدمائهن أروع ملاحم الفداء لهذا الوطن. وإذا كنا لم نتمكن من ذكر كل الأسماء فإننا لن ننسى ذكراهن في تاريخ نضال شعبنا الطويل والمستمر، فليتمجد هذا الدم وإلى الأبد. وفي الوقت نفسه نقف تقديراً واعتزازاً وتحية إلى أخواتنا المناضلات في سجون الاحتلال واللائي قدمنَّ أعظم عطاء فداء لهذا الوطن.

وتتميز المرأة الفلسطينية عن غيرها في العالم العربي بدورها النضالي فهي الجدة والأم والأخت والابنة التي تنتظر هذا الفدائي أن يعود إليها منتصراً وهي التي ترعى بيته وأولاده، وهي التي تسهم في نقل السلاح من قاعدة إلى أخرى، وهي التي تدفع مهرها، ذهبها، جواهرها ليشتري قطعة سلاح عندما كان يعز ألسلاح.

شحرور و نور حيث شكلت مجموعة طلائع الثأر وكانت تقدم الإسعافات الأولية وتجمع التبرعات، وفي 1967/10/18م كانت مكلفة بوضع قنبلة في سينما صهيون في القدس أثناء عرضها فيلماً عن حرب الأيام الستة، اعتقلت بعد أن تعرَّف عليها بعض الجنود وحكم عليها بالسجن مدى الحياة مع اثنين آخرين من الإخوة، وقد أفرج عنها بعد عشر سنوات في عملية تبادلية. الأخت فاطمة تشكل محوراً لكل قدامى المقاتلين، تتفقد عائلاتهم وأبناءهم ترعى كل محتاج، تأخذ منكم لتعطي غيركم، ولازالت أمّاً حنوناً لكل من يعرفها وتحمل في قلبها وعقلها مثالية المناضلة.

(1) دلال المغربي ولدت سنة 1958م في أحد مخيمات بيروت، حيث لجأت عائلتها بعد تشردها من يافا في فلسطين، انضمت إلى حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» في العام 1973م هي وشقيقتها رشيدة، حيث كانت رشيدة الكبرى ودلال الصغرى، وقد التحقت رشيدة ودلال المغربي بقوات ال-17 في نفس العام، وكان الشهيد أبو جهاد قد اختارها لتكون ضمن المجموعة التي نفذت العملية.وأصرت دلال على أن تكون في عداد مجموعة العشق الفلسطيني التي تألفت من 12 فدائياً بالإضافة إليها بالقيام بعملية الشهيد كمال عدوان مجموعة دير ياسين. صباح السبت 1978/3/11م نزل الفدائيون في منطقة مستوطنة معجان ميخائيل (25 كلم جنوب حيفا) فاستولت المجموعة على باص كبير مع ركابه، وفي الطريق أوقفوا باصاً آخر بداخله 63 راكباً. استنفر العدو بقوات كبيرة، وفرضت الحماية الصهيونية عل 1200 مؤسسة تعليمية و 99 فندقاً، وخمسة مستشفيات. في المعركة التي سقط خلالها أحد عشر فدائياً بينهم دلال ابنة العشرين ربيعاً، وأسر فدائيان جريحان، خسر العدو 37 قتيلاً و 82 جريحاً من ركاب الباصات، وقتل شرطي، وأصيب تسعة آخرون، وقتل عشرات من الجنود وقال عنها نزار قباني (دلال المغربي) أول رئيسة جمهورية فلسطينية. وصية دلال المغربي... توجيه البنادق كلها إلى الصدور الصهيونية.

وهي التي انخرطت في التدريب العسكري والطبي والتوجيهي والإعلامي في صفوف الثورة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الرجل؛ ولهذا برزت أسماء فدائيات مناضلات فلسطينيات، وما زالت هذه الأسماء تقرع آذاننا تذكرنا بدور المرأة المجيد.

والمرأة الفلسطينية التي تميزت عن المرأة العربية بهذا الكم الهائل من المعاناة والحزن والقهر الناجم عن ضياع الوطن والتهجير والتشرد، إضافة إلى مراعاة القوانين الاجتماعية المجحفة، أثبتت عمق وعيها من خلال ارتباطها الوثيق بقضيتها الوطنية، ومارست بنفسها كافة أشكال النضال التي مارسها رجال الثورة، وأسهمت في عضوية كافة اللجان الشعبية والوطنية.

وفي سنين الاحتلال أصبحت المرأة عاملاً منتجاً، وخاصة بعد مضاعفة الأزمة الاقتصادية، وزيادة الغلاء، وقلة فرص العمل والاضطهاد السياسي والعسكري للشباب الذين دفعهم ذلك إلى الهجرة خوفاً من الاعتقال أو السجن أو البطالة وقلة العمل، مما اضطر المرأة لتحل مكان الرجل في العمل في قطاعات مختلفة.ونظراً لاندماج المرأة في العمل الوطني، واجهت أشكال التعسف والاعتقال والاضطهاد من قبل سلطات الاحتلال، وحتى عام 1981م كان مجموع مَن دخل المعتقلات من النساء ثلاثة آلاف امرأة.

وشاركت المرأة في الاعتصامات، ورفع المذكرات، وإرسال البرقيات الاجتماعية، والمشاركة في الإضرابات والمظاهرات بالإضافة إلى بعض الأعمال العسكرية.وسعت إلى تشكيل اللجان الاجتماعية والسياسية، ففي عام 1978م تشكل «اتحاد ولجان العمل النسائي في المناطق المحتلة» وفي عام 1981م تأسس «اتحاد ولجان المرأة العاملة الفلسطينية» و «اتحاد لجان المرأة الفلسطينية» و «اتحاد لجان المرأة الشعبية».

وفي يونيو/حزيران 1982م تم الإعلان عن تشكيل «اتحاد ولجان المرأة للعمل الاجتماعي» واتسعت القاعدة الاجتماعية لهذه التنظيمات

الأربعة حتى غدت تضم زهاء ثمانية آلاف امرأة، بينما لم تكن عضوية المؤسسات الخيرية تتعدى المائتين وعشرين عضواً فقط[1].

من ناحية أخرى، لم يقتصر خروج المرأة والمشاركة في الثورة على فئة أو سن دون غيره، بل شمل الطبيبات والعاملات والطالبات والفلاحات والأكاديميات وربات البيوت اللائي انخرطن بروح موحدة في الثورة ونظمت الكثير من الاعتصامات والمظاهرات والمسيرات.

واستمرت المرأة الفلسطينية بعزيمتها القوية تتابع مسيرتها النضالية عبر جميع اشكال العمل الوطني وهي تدق أبواب الحرية والاستقلال وتمارس دورها في كل موقع، فقد ناضلت كأم تربي أطفالها على التحدي والنضال واخترقت بقوة إرادتها معظم الأطر الطلابية والنسائية لتمثل فلسطين في اتحاد المرأة الفلسطينية على صعيد الخارج وشاركت في النشاط السياسي والعمل الجماهيري الوطني داخل فلسطين المحتلة وخارجها، واستطاعت المناضلات الفلسطينيات تكوين الأطر النسائية في جميع المواقع حتى أصبح دور هذه الأطر يشغل حيزاً كبيراً من احتياجات جماهير شعبنا الفلسطيني في المخيم والقرية والمدينة، وبرز اتحاد المرأة للعمل الاجتماعي وشارك عبر تفاعله وعطائه اليومي في إيجاد البنية التحتية للانتفاضة الباسلة[2].

لا يمكنني تعداد الأعمال التي تقوم بها المرأة الفلسطينية في خضم هذا النضال، ولا يمكن إلا أن نعطي لها حقها الكامل المرئي واللامرئي، ولهذا لم أجد أحق من المرأة الفلسطينية الجدة والأم والأخت والابنة لأهديها هذا الكتاب. لقد أشرق تاريخ يوم الكرامة 21\3\1968م بنفس تاريخ يوم الأم، وهل هناك أعظم في دنيانا من الأم... الروح... والدم... والشوق... والدمعة... والقلب. والصوت... الأم. والحياة... وكل الأيام بيوم الكرامة... وهي روح الكرامة.

(1) دور المرأة في الانتفاضة، ط1، 1989.
(2) دور المرأة في الانتفاضة/مطبوعات الإعلام الموحد - تونس ص50.

موجز الانطلاقة الأولى لحركة «فتح»: 1965/1/1

أحمد موسى الدلكي
قائد عملية عيلبون

توالت الاجتماعات لقيادة «حركة فتح» وتركزت على تاريخ الإعلان عن الانطلاقة العسكرية للخروج من حالة اللاسلم واللاحرب العربية، وتم دراسة كافة المواقع الحساسة التي يمكن استهدافها، وتم استنفار كافة المجموعات في دول الطوق الأولى باستثناء مصر وكانت اللحظة التي أرخت للانطلاقة المعاصرة للثورة الفلسطينية المسلحة فجر 1965/1/1م بعد عملية نسف أنبوب المياه القطري في بلدة عيلبون داخل فلسطين المحتلة عام (1948م)[1] ، حيث قاد محمد شرف الدورية الفدائية الأولى لقوات العاصفة التي انطلقت من الأراضي السورية من الزاوية الجنوبية الغربية للجولان عند مثلث الحدود الفلسطينية السورية الأردنية، واستشهد من أعضاء المجموعة الثانية لدى محاولتها عبور نهر الأردن نحو فلسطين الشهيد المزارع أحمد إبراهيم موسى الدلكي[2] ولعل هذه العملية تشير الى بداية انطلاقة حركة فتح وجناحها العسكري الذي حمل اسم قوات العاصفة «عملية عيلبون».

(1) في اليوم الأول من عام 1965 صدر البلاغ الأول عن القيادة العامة لقوات العاصفة، وورد فيه: (اتكالاً منا على الله وإيماناً منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب، وإيمانا منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج، وإيماناً منا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم، لذلك فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة 1964/12/31م وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلة، وغادرت جميعها إلى معسكراتها سالمة)، وبعد البيان العسكري السادس عشر لقوات العاصفة التحم اسم فتح مع العاصفة.

(2) أول شهيد لحركة فتح أحمد موسى الدلكي لاجئ من قرية ناصر الدين/قضاء طبريا المدمرة عام 1948م، كان يعمل مزارعاً في القطاف غرب الشونة الشمالية شرقي نهر الأردن، وقد قدمت عائلته 23 شهيداً في صفوف حركة فتح، ودفن في مقبرة معاذ بن جبل على مداخل البوابة الشرقية للشونة الشمالية، ومن عناصر الدورية الثانية من الذين ما زالوا على قيد الحياة علي لافي (أبو عمر) من المقيمين في مخيم درعا جنوب سوريا، ووقع في الأسر الإسرائيلي محمود بكر حجازي الأسير الأول لحركة فتح وقوات العاصفة في معركة بيت جبريل في 1965/1/18م.

عملية عيلبون .. اختيار الهدف

بعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية عام 1948/5/15م بدأت حكومة إسرائيل بالتخطيط لسرقة المياه العربية عبر عدة مشاريع كان أحدها مشروع تحويل مجرى نهر الأردن، ففي بداية أعوام الستينيات باشرت اسرائيل بجر مياه نهر الأردن نحو خزان مياه طبريا ولكي تصل المياه إلى أراضي صحراء النقب جنوبي بئر السبع عبر ما أسمته بمشروع المياه القطري، وأمام هذا الاعتداء على حقوق شعوب المنطقة العربية المحيطة لمنبع ومجرى نهر الأردن اكتفت الدول العربية آنذاك بالشجب والاستنكار الإعلامي بهذا المشروع والتنديد بأفكار التوسع الاستيطاني الصهيوني على حساب الأرض العربية.

وقد أثار هذا الوضع الإخوة المناضلين حينما قرروا أن يكون عام 1965م بداية انطلاق حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح ،وتم الاتفاق بين الاخوة قيادة الحركة، وكان على رأسهم الأخ المجاهد ياسر عرفات، أن تكون شرارة الانطلاقة متوهجة من لهيب عمل نضالي يضرب باكورة مشاريع الاستيطان الصهيوني ويصيب بالخسارة المادية اقتصاده ويبتعد عن أي إصابة للخسائر البشرية موضحاً أن تكون أولى رسائله الجهادية بداية طريق العمل النضالي لاستعادة فلسطين، فقد وقع الاختيار على مشروع تحويل مجرى نهر الأردن بضرب أحد فروعه الحيوية المقام على بحيرة طبريا والذي يبدأ بضخ المياه عبر قناة مائية مكشوفة من شمال غربي البحيرة وحتى قرية عيلبون وسط الجليل وتصب القناة في بحيرة صناعية تحت اسم الصلمون وعبر محطة الضخ الناتج عنها مشروع توليد كهرباء تتصل القناة بالأنابيب المدفونة تحت الأرض لجرها لمحطة التوزيع في العوجا اليركون.

وأخذت القيادة بالحسبان أهمية الإعداد والتخطيط لتنفيذ هذه العملية التي تتطلب توفير الخبرات في التقنية الفنية العالية وتحتاج إلى مسح دقيق من الجانب الهندسي وكان هذا الرأي نابعاً من الخلفية العلمية للمجاهد ياسر عرفات بوصفه مهندساً مدنياً وقد اقنع هذا الرأي بقية الإخوة

في القيادة العسكرية. فتم الإيعاز للخلايا السرية العاملة داخل الأرض المحتلة والقريبة من محيط منطقة الهدف بتأمين كافة المعلومات الجغرافية والطبيعية والعسكرية حول قرية عيلبون وما نوعية التكنولوجيا العالية التي تستخدمها إسرائيل في تشغيل محطة التوليد الكهربائي المستفادة من تدفق المياه عبر بحيرة الصلمون والتي تشغل توربينات المحطة وتدفع المياه باتجاه النفق.

اختيار مجموعة التنفيذ :

بعدما وردت التقارير الاستطلاعية من الأرض المحتلة موضحا فيها بدقة كل تفاصيل المنطقة المحيطة بالهدف من بداية سير نفق المياه في الشمال الغربي لبحيرة طبريا مرورا بالقرب من مغارة الاميرة ثم ياقوق ويتعرج بالنزول حتى كلانيت ليصب في بحيرة الصلمون الصناعية وفي نهاية البحيرة العميقة يوجد سد مغلق يمر منه فتحات لتشغيل توربينات محطة توليد الكهرباء والتي بدورها تدير مضخات الدفع لتمرير المياه عبر الأقنية بعد قرية عيلبون من تحت سطح الأرض.

وبيّنت الرسوم والكروكات المرفقة مع التقرير أماكن تواجد المعسكرات وبرنامج عمل دوريات الحراسة موضحة التوقيت والفترات الزمنية بحساب دقيق الذي يفصل بين كل دورية وخط سيرها.

ومراعاة لكل هذه الظروف، دأب المجاهد ياسر عرفات على دراسة خطة محكمة بأسلوب هندسي يهتم بأدق التفاصيل ليحقق النجاح التام للعملية مع ضمانة وصول المجموعة وعودتها سالمة، واهتم،كذلك بأن يعطي الانطباع للعالم أجمع أن المقاومة الفلسطينية الوليدة بإمكانها أن توقع الخسائر المادية القائمة في كل منشأة وموقع تصل يد المقاومة له وحتى لا يتمكن العدو من تطوير مشاريعه الاستيطانية.

قبل نهاية ايام عام 1964م كان قد تم اختيار أربعة مجاهدين أشداء من ذوي الاختصاص والتدريب الجيد للقيام بتنفيذ المهمة، و تم تأمين الدليل المتمكن من معرفته لطبيعة الأرض المحتلة في المنطقة ما بين طبريا ومدينة صفد حتى الحدود مع شمال الضفة الغربية.

خطة سير العملية:

1. وصول مجموعة المجاهدين الأربعة إلى خربة ناصر الدين بالزي المدني وكان بانتظارهم العنصر الخامس وهو الدليل الذي كان متخفيا على شكل راع مع بعض من أغنامه.
2. الوصول بالقرب من كفر حطين مكان وجود النقطة الميتة المدفون تحتها الألبسة الخاصة بالعملية وحقيبة المتفجرات والأسلحة وهي عبارة عن بندقيتين سينوبال ورشاشتين كارول وحقيبة قنابل يدوية ومجموعة مخازن ذخيرة.
3. الوصول إلى منطقة المجدال القريبة من شاطئ بحيرة طبريا وبعد التفتيش بين أشجار الشاطئ عن مكان مناسب للاستراحة والمبيت وبعد ترتيب الحراسة أمضى المجاهدون ساعات الليل الأولى على دراسة الخطة وتوزيع المهام ليعود الدليل مع اغنامه لمسح الآثار وتواعدوا معه على أن يلتقي مع المجموعة وهم في طريق عودتهم عند قرية الشجرة.

بداية تنفيذ العملية :

1. تحركت المجموعة عبر الوادي المؤدي إلى عين رافيد، وتحت ثيابهم البدوية أخفوا الأسلحة والمتفجرات ومن بين شجيرات الوادي الكثيفة وصلوا إلى موقع العين ونصبوا كمينهم الأول تحضيراً للانتقال إلى الموقع.
2. وعند حلول الظلام تم توزيع المهام فيما بينهم وأرسلوا أحد العناصر للاستطلاع ومراقبة الحراسة القائمة على موقع الهدف، وباشروا بتحضير المتفجرات والتأكد من سلامتها ومراجعة خطة التنفيذ بانتظار انقضاء منتصف الليل لحين عودة الراصد الذي أكد لهم أن الخطة المرسومة تسير على ما يرام وحدد لهم مواقع الحراسة القابعة في أماكنها لأن الليل كان بارداً جداً وأصبح الهدوء يسود المنطقة بعد نهاية الاحتفالات بقدوم العام الجديد.

3. وصول عناصر التنفيذ إلى موقع الهدف، واتخاذ المجموعة كمينها، واستحكام كل مجاهد حسب موقعه في خطة الهجوم، وقبل آذان الفجر كان مهندس المجموعة قد أتم زرع المتفجرات عند جدار النفق وبين المضخات وتوربينات الطاقة الكهربائية وقد حدد توقيت التفجير لينطلق بعد 45 دقيقة لكي تتمكن المجموعة من الانسحاب إلى المرتفعات شمال منطقة الهدف لمراقبة نجاح التفجيرات.

4. وصول كامل عناصر المجموعة، وبعد 10 دقائق دوى صوت الانفجارات عالياً وشاهدوا أنوار النيران المشتعلة بالمحطة، ويبدو أن الحراس قد أصابهم الفزع لمدة 20 دقيقة حينما بدأ صوت منبهات الإنذار يعلو وكان هذا مبشراً على نجاح العملية، وتمكنت المجموعة من التسلل عبر الوديان وخلف المرتفعات من شمال دير حنا وأتموا مسيرهم حتى وادي عربة ومن خلف جبل البطوف تفرقوا للوصول بأمان مستغلين قلة حركة السير على الطرقات باعتباره اليوم الأول من السنة الجديدة.

5. نقطة الوصول عند موقع قرية الشجرة ليجدوا الدليل بانتظارهم وكان قد استطلع ما حدث ليلة التفجيرات وأخبرهم أن دوريات الجيش الإسرائيلي قد انطلقت من معسكر زيتيم باتجاه عيلبون، وبأن المروحيات العسكرية حلقت من معسكر يفائيل، فقررت المجموعة أن تتحرك بسرعة للوصول إلى قرية زبوبا شمال مدينة جنين وعند حلول الظلام وعند أول الشريط الفاصل بين الضفة وحدود ال-48 غادرهم الدليل لإخفاء الثياب والأسلحة وتفرقت المجموعة للعودة إلى قواعدها بشكل فردي، حيث أنهم لاحظوا أن الدوريات الأردنية شمال جنين قد ازدادت حركتها وتمكن ثلاثة مجاهدين من الوصول إلى قواعدهم سالمين باستثناء المجاهد أحمد الدلكي الذي علم لاحقاً بأنه استشهد.

خسائر العدو

حسب ما جاء على صفحات الجرائد العبرية بعد يوم من وقوع العملية في عيلبون ذكر الناطق الرسمي بوزارة الدفاع الاسرائيلية أن الانفجار قد

عطل المحطة ودمر مجموعة الطاقة الكهربائية وأحدث التفجير فتحة كبيرة في جدار سد بحيرة الصلمون، وقد تبين بعد مدة أن تصليح الأضرار بالمحطة استغرق ثلاثة شهور. وكان رد فعل رئاسة الأركان الإسرائيلية كما ورد على لسان اللجنة العسكرية المكلفة بالتحقيق في عملية عيلبون أن رجال فتح قد نفذوا العملية بتقنية عالية وخبرة لا يُستهان بها وعليهم أن يأخذوا العبرة من تقدم أسلوب عمل رجال المقاومة وقد انتهت العملية صباح يوم أول كانون ثاني 1965.

وفيما يلي أسماء الذين اشتركوا في عملية نفق عملية عيلبون مع الشهيد أحمد موسى:

1. محمد عبد الله إبراهيم الدلكي (أبو يحيى)
2. حسن حميدي حسين السهو
3. الشهيد حسين نمور.
4. وحش إبراهيم الحمد

وفي حينها وقبل أيام قليلة من انطلاقة العمل العسكري لقوات العاصفة أشرف المجاهد ياسر عرفات على توزيع المجموعات الفدائية على دول الطوق (سوريا - لبنان – الأردن) تطبيقاً لمقولة «ينبغي ألا نضع البيض كله في سلة واحدة»، وترأس الشهيد محمد يوسف النجار القيادة العامة لقوات العاصفة لفترة مؤقتة ليقيم في لبنان قبل أن يتسلمها المجاهد ياسر عرفات[1].

وفي هذه الأثناء تلا صدور البيان العسكري الأول لقوات العاصفة، صدور البيان السياسي الأول لحركة فتح في 1965/1/28م، وقبل ذلك كانت حركة «فتح» تعلن عن نفسها عبر المذكرات التي كانت ترفعها للملوك والرؤساء العرب في مؤتمرات القمة.

(1) انظر حوار مع سليم الزعنون (أبو الأديب) كتيب الانطلاقة... رصاصات فجرت ثورة حركة فتح/اقليم الكويت 1974/12/31، ص22.

خارطة (عملية عيلبون)
انطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»

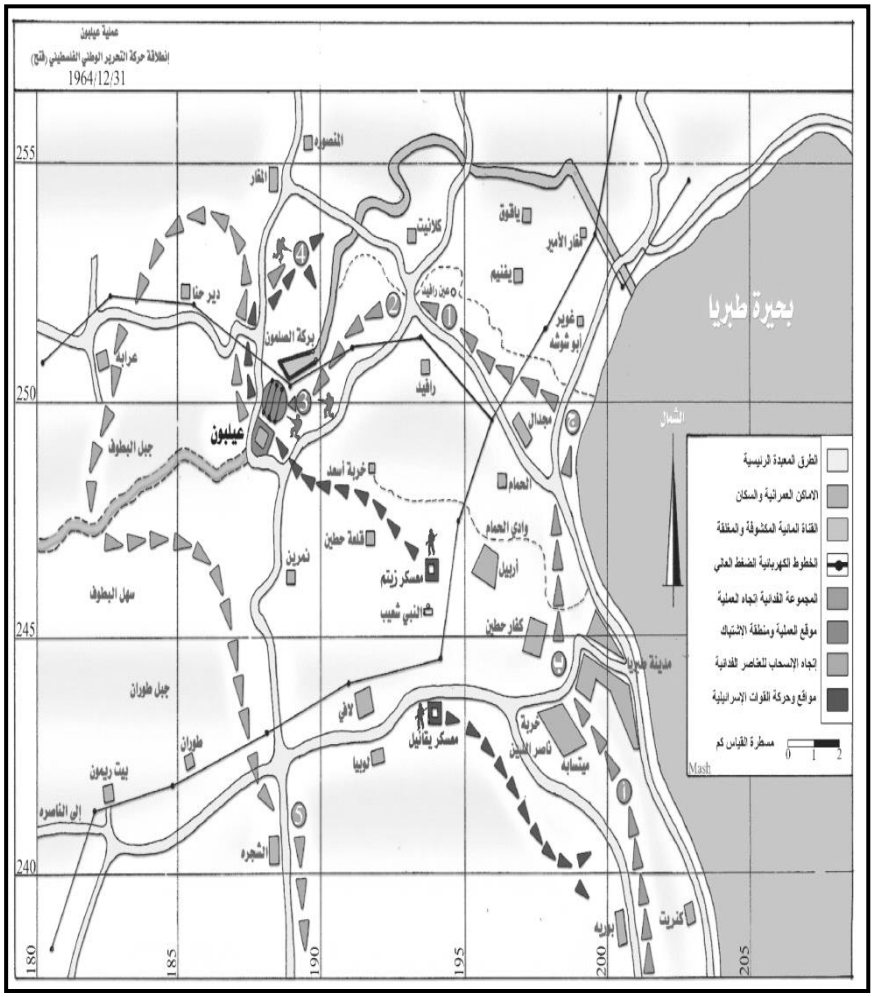

وفي هذا السياق، وأمام تسارع الخطى في نمو وتطور ظاهرة العمل الفلسطيني المستقل، وتعاظم خيارات العمل المسلح لم يعد ممكناً أمام التجمعات والكتل الحزبية الفلسطينية المنضوية في إطار الأحزاب القومية العربية أو المستقلة نسبياً عنها، سوى أن تبادر نحو تبني خيارات العمل الفلسطيني المقاوم الذي شقت دروبه حركة «فتح» وجناحها العسكري«قوات العاصفة»[1].

من جانب آخر وبحكم التداخل الكبير والمساحة المشتركة الواسعة التي تتحكم بالعلاقات والمصير المشترك، وبحكم موقع سوريا «الجغرافي والسياسي» من القضية الفلسطينية، وفي سياق صراع الكتل العربية وحالة التنافس الحاد (البعثي - الناصري) آنذاك، فقد لعبت الساحة السورية دوراً رئيساً في تهيئة ميدان العمل لانطلاقة الرصاصات الأولى لقوات العاصفة، حيث زار دمشق أول وفد رسمي من حركة فتح في 1963/5/7م الذي ضم سبعة أعضاء، حيث استقبلهم وزير الدفاع السوري في ذلك الوقت اللواء حمد عبيد، وأعطى في حينه توجيهاته بالموافقة على استخدام الأراضي السورية في الإعداد العسكري للعمل الفدائي الفلسطيني المسلح.

وشهدت الفترة ذاتها تعاونا بين القيادة السورية وحركة فتح توصل اليه كل من اللواء احمد سويداني رئيس هيئة اركان الجيش العربي السوري و المجاهد ياسر عرفات، وبموجبه تم رفد حركة فتح بالكفاءات العسكرية ممثلة بمجموعة من الكادر العسكري على رأسهم قائد الحرس

(1) تشكلت القيادة العامة لقوات العاصفة في مراحلها الأولى من: ياسر عرفات - كمال عدوان - خليل الوزير (أبو جهاد) نمر صالح (أبو صالح) - الشهيد أبو علي إياد - محمد راتب غنيم (أبو ماهر) قبل أن يتم توسيعها بشكل متتابع، ويشير اللواء محمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي في سوريا في مذكراته إلى نفسه باعتباره مَن أطلق على الجناح العسكري لحركة فتح اسم «قوات العاصفة « بينما تشير بعض المصادر بأن اسم العاصفة كان مؤقتا إلى حين التأكد من نجاح تجربة العمل المسلح من عدمه، ويقول اخرون بأن مَن أطلق اسم قوات العاصفة على الجناح العسكري لحركة فتح كان (نبيل حمدان) عادل عبد الكريم من أعضاء مجموعة التأسيس الأولى، ويتجه سليم الزعنون للقول بأن اسم العاصفة كان حلاً وسطاً بين مختلف الآراء التي خشيت على اسم حركة فتح في حال فشل الانطلاقة المسلحة، فإذا نجحت الانطلاقة يستمر اسم العاصفة اسماً للجناح العسكري: انظر حوار مع سليم الزعنون (أبو الأديب) كتيب الانطلاقة رصاصات فجرت ثورة حركة فتح/اقليم الكويت 1974/12/31 ص21.

- المصدر د.عصام عدوان حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح 1958- 1968 ص 16.

القومي والقائد للجيش الشعبي في سوريا اللواء محمد إبراهيم العلي (أبو ندى) وبالكفاءات العسكرية الفلسطينية المنضوية في إطار الكتيبة الخاصة التي حملت اسم الكتيبة 68 في الجيش العربي السوري التي التحق منها 30 كادراً في قوات العاصفة قبل وفور صدور بيانها الأول وفق الباحث يزيد صايغ، ومن الفلسطينيين المنضوين في إطار الكتيبة (20 حرس وطني) التي رابطت بعناصر على امتداد خط الجبهة بين سوريا ودولة الاحتلال من عرب الهيب والتلاوية وغيرهم، خصوصاً في المناطق المطلة على بحيرة طبريا من الجانب السوري كمناطق البطيحة والنقب وكفر حارب والتوافيق[1].

جرى اعتقال المجاهد ياسر عرفات وخليل الوزير وآخرين في سوريا في إبريل 1966م على أثر مقتل يوسف عرابي ومحمد ابو حشيمة، إثر محاولة نسف خط نفط التابلاين المار في أراضي هضبة الجولان السورية، وأودع سجن المزه العسكري، كما اعتقل في صيف عام 1966م في لبنان على رأس مجموعة فدائية من قوات العاصفة بعد عودتها من عملية عسكرية شمال فلسطين وذلك بعد دخولها الأراضي اللبنانية من قبل جهاز الأمن العام عند بلدة كفر كلا اللبنانية المجاورة للحدود الفلسطينية، حيث دام الاعتقال 45 يوما، بعد أن احيلت المجموعة الفدائية إلى مخابرات المكتب الثاني اللبناني ووضع قيد التحقيق من قبل الملازم أول «فريد أبو مرعي»، ليطلق سراح المجاهد ياسر عرفات والمجموعة الفدائية نتيجة تدخلات كبيرة جرت من قبل العديد من البلدان العربية[2]. وتلى إطلاق سراح المجموعة، اعتقال عضوين من مجموعتين من قوات العاصفة لدى عودتهما إلى جنوب لبنان، من عمليتين فدائيتين شمال

(1) انظر: صحيفة الحياة اللندنية، مقال وضاح شرارة يوم 2004/11/23.

(2) كانت المجموعة تتألف من 14 فرداً من قوات العاصفة هم: المجاهد ياسر عرفات، أبو علي إياد سعيد محاد، خالد أبو العلا، سعيد الشرعان، مصباح عبد الحق، مصطفى الصالح، أبو بسام، منير الشيخ صبري، أبو علي شمدين، شعبان الشاعر، حسين الهيبي، نعيم الوشاحي، حيث نقل المعتقلون إلى ثكنة مارطانيوس الحلو في منطقة المصيطبة في بيروت، ثم إلى ثكنة هنري شهاب قرب الرملة البيضاء (لقاء في مخيم اليرموك يوم 10\1\2008م مع عضو المجموعة مصطفى الصالح الملقب بالخوري، وهو الوحيد ممن بقي على قيد الحياة من أفراد المجموعة).

فلسطين المحتلة في منطقة الجليل، فخضع كل من الشهيد جلال كعوش من مخيم المية ومية لعملية تعذيب قاسية، استشهد جراءها داخل أقبية مخابرات المكتب الثاني اللبناني في منطقة اليرزة، حيث مقر وزارة الدفاع اللبنانية[1] فكان شهيد فلسطين وقوات العاصفة الأول فوق الأرض اللبنانية بتاريخ 1966/1/9م، واستشهد بنفس الطريقة رفيقه عطا أحمد الدحابره من مخيم عين الحلوه بتاريخ 1967/5/14م، وأحمد الأطرش استشهد في الهان بانفجار بتاريخ 28-2-1967م مع الشهيد منهل وجرح أبو علي إياد[2]، وبعد فترة قصيرة اغتيل في السياق ذاته الشهيد ابو علي المدني (أبو علي) أحد الكوادر البارزة في قوات العاصفة داخل منزل ذويه في مخيم اليرموك[3].

(1) كان سامي الخطيب هو مسؤولاً للمكتب الثاني في تلك الفترة.

(2) نهاية العام 1965م قامت مفرزة تابعة للمخابرات العسكرية السورية باعتقال المجاهد ياسر عرفات بتهمة التحضير لأعمال تخريبية، وذلك بعد تفتيش صندوق سيارته والعثور فيها على أصابع ديناميت، وقد أطلق سراحه بعد ساعات، لكن الحادثة بدت غريبة لأن عرفات كان ينقل الديناميت بعلم وتسهيل وبموافقة رسمية من اللواء أحمد سويداني، رئيس الأركان آنذاك، ما الذي حدث؟ صحيح أن أمر الاعتقال المباشر كان قد صدر عن رئيس فرع فلسطين التابع للمخابرات العسكرية السورية، غير أن الأمر الحقيقي بقي طي المجهول والتفسيرات المختلفة.

(3) الشهيد وليد المدني، من بلدة جبع قضاء حيفا ومن اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، اغتيل في مخيم اليرموك بداية العام 1968م، في حادث ما زال غامضا، وتعددت الروايات بشأنه. المصدر: صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني (علي بدوان)(ص50 - 53).

التحضير للانطلاقة الثانية لحركة فتح 8/28 – 1967/12/31م

عقد اجتماع لحركة فتح في دمشق في 12و1967/6/13م ضم العديد من قادتها، للبحث في جدوى استئناف الكفاح المسلح[1] واتفق المجتمعون على وضع خطة عمل للمرحلة القادمة، تضمنت الآتي:

1 - الانتقال إلى المرحلة الثانية من العمل متمثلة بحرب التحرير الشعبية، واتخاذ الإجراءات المناسبة فكرياً وإعلامياً وعسكرياً لتحقيق هذا الأمر.

2 - توطيد الحركة على مستوى الشعب الفلسطيني.

3 - تحقيق البعد العربي القومي للشعب الفلسطيني وقضيته من خلال إيجاد جبهات دعم لحرب التحرير الشعبية، وحماية الحركة من أعدائها، والاتصال بالحركات والقوى الشعبية العربية، وإيجاد كوادر الأنصار، والعناية بالاتحادات والنقابات العربية، لمناصرة أهداف الحركة.

4-إقناع الحكومات العربية بحياد «فتح»، والاتصال معها للحصول على الدعم المعنوي والمادي غير المشروط، والسعي لإنشاء معسكرات تدريب سرية فيها.

5 - الاتصال بالحكومات الصديقة والحركات المناهضة للاستعمار في العالم لضمان دعمها والاستفادة من تجاربها.

6 - الاتصال بالأفراد والتجمعات العالمية المناهضة للصهيونية لكسب تأييدها، وطلب العون المادي والمعنوي من الحكومات والشعوب الإسلامية، والعمل على كسب الصحفيين والمفكرين فيها.

7 - الاتصال بعناصر من جيش التحرير الفلسطيني ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية لإيجاد تعاون وثيق ضمن أفكار الحركة، والتنسيق

(1) صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، ص89، صايغ، رفض الهزيمة، ص9،خليل الوزير، «الكرامة الجديدة» شؤون فلسطينية عدد 77، ص24.

مع المنظمات الفلسطينية المستقلة الإرادة وعدم استعداء المنظمات الأخرى.

8 - تهيئة الأرض المحتلة للعمل العسكري من خلال: تخزين الأسلحة، رصد تحركات العدو، الاتصال بالوطنيين وتوجيههم، تهديد المتعاونين مع العدو، التعرف على آراء الجماهير الفلسطينية في مسألة استئناف المقاومة المسلحة للاحتلال، استطلاع مواقف العراق وسوريا ومصر والجزائر ومدى الدعم الذي سيقدمونه من (مال، سلاح، تدريب، وسائل اتصال لاسلكي، إعلام)، إقناع الذين تركوا الضفة الغربية بالعودة إليها، وتهيئة أماكن للاختباء بعيدة عن السكان. وعلى ضوء ذلك كله، يحدد موعد مباشرة المقاومة المسلحة داخل الأرض المحتلة مع الأخذ بعين الاعتبار استمرار المقاومة من خلال السعي ل-تأمين متطلباتها المالية والمادية.

9 - إمكانية تأمين إذاعة باسم الحركة لإثارة روح المقاومة في الأرض المحتلة ولتوجيه عناصر العمل العسكري فيها[1].

وقد شرعت الحركة في اتخاذ عدة إجراءات عملية منها:

- تفرغ محمد النجار وعبد الفتاح حمود وصلاح خلف للعمل الحركي.
- البدء في جمع السلاح من مخلفات الجيوش العربية في سيناء والضفة الغربية والجولان.
- القيام بحملة جمع تبرعات من فلسطيني الشتات والبلدان النفطية، وكلف بذلك محمد النجار وكمال عدوان ومحمود عباس وخالد الحسن وسعيد المسحال.
- توجه المجاهد ياسر عرفات على رأس مجموعة من الكوادر إلى الأرض المحتلة لدراسة الوضع عن كثب واستطلاع آراء كوادر

(1) الوزير، حركة فتح - بدايات، ص106 - 110.

الحركة هناك بشأن استئناف العمل المسلح، وتأسيس خلايا سياسية وعسكرية، وإنشاء مخابئ للأسلحة وقواعد ارتكازية.

- إقامة عدد من القواعد الفدائية على طول نهر الأردن وجنوب لبنان[1].

اتصلت الحركة بمصر فأيدت ذلك بدون تحفظ كما اتصلت بليبيا وتمكنت من جمع تبرعات بلغت 30 ألف دينار ليبي، واتصلت بالسعودية وأبدى الملك فيصل تأييده، واتصلت بالرئيس نور الدين الأتاسي لكنه حذرهم من مغبة هذه الأعمال وطلب منهم مهلة لالتقاط الأنفاس[2].

أما الموقف الأردني، فقد طالب كافة الدول العربية أن تتحمل المسؤولية إلى جانبه، وأن لا تقع التبعات التي تنجم عن العمل الفدائي على الأردن وحده، لأن قوته محدودة جداً بعد خروجه من حرب عام 1967م.

وفي أوائل تموز 1967م احتشد 35 شخصاً من فتح في منزل خليل الوزير بدمشق لمناقشة ما توصل إليه المجاهد ياسر عرفات وبعض زملائه الذين عادوا من الضفة الغربية وقدموا تقاريرهم، ومرة أخرى عارضت أقلية بدء العمليات العسكرية خوفاً من انتقام إسرائيل من السكان، بينما اعتبرت الأغلبية أن تلك العمليات سترفع معنويات السكان وتشجعهم على الصمود[3] وفي خطوة استباقية من المجاهد ياسر عرفات، أعلنت العاصفة أنها نقلت مقرها إلى الأراضي المحتلة في[4] 1967/7/3. وقد خشيت فتح أن تنسحب إسرائيل من الأراضي المحتلة حديثاً ضمن تسوية مع الدول العربية لا تكون فتح شريكاً فيها ويستثنى منها الفلسطينيون كطرف مستقل. وتم التمسك بخطى الإعداد لانطلاقة حرب التحرير الشعبية في الأراضي المحتلة[5].

(1) صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، ص 90، 91 - 92،95.
(2) الوثائق الأردنية لعام 1967، ص220، من حديثه في 1967/9/4.
(3) الوثائق الأردنية لعام 1967، ص220، من حديثه في 1967/9/4.
(4) جريدة الأهرام المصرية، 1967/7/4، عدد 29425، السنة 93، ص1.
(5) صايغ، رفض الهزيمة، ص10.

موعد الانطلاقة الثانية:

أسهمت عدة عوامل بتعجيل اتخاذ قرار الانطلاقة الثانية ومنها:

1- تصاعد المقاومة المدنية ضد الاحتلال في الأراضي المحتلة والاعتصامات والعرائض.

2 - تدفق أعضاء جدد على الحركة مما جعلها تستنتج أنها أكبر منظمة فدائية فلسطينية[1] وكانت الحركة قد أعلنت عن حاجتها إلى متطوعين فتقدم بذلك (18) ألفاً من القاهرة ومثلهم من العراق وبلدان أخرى، لكن قيود الأنظمة العربية منعت هذه الآلاف من التطوع سوى المتطوعين من لبنان الذين اشتركوا فعلياً في العمل المسلح[2]. كما لم تكن الحركة قادرة على استيعاب هذه الآلاف.

3 - كانت الحركة قد أرسلت مئات من أعضائها للتدريب في الجزائر ومصر وسوريا والصين الشعبية أثناء حرب حزيران 1967م، وبدأت هذه المجموعات بالعودة منذ شهر تموز 1967م وقامت (فتح) بدفعها إلى الضفة الغربية لتشكيل خلايا مسلحة محلية بما أسمته «فتح» (التعشيش) وبتوفر هذه الإمكانات البشرية، استعجلت «فتح» الانطلاقة المسلحة واتفاقها مع حركة القوميين العرب على تأجيل القتال حتى نهاية عام 1967م[*].

4- لا يمكن تجميد المنظمات والمقاتلين عن العمل بعد الدرجة التي وصلتها من التدريب والتنظيم وحشد السلاح لأن ذلك سيعرضها لمخاطر أكبر. لا سيما وأن العدو بدأ يشعر بوجود بعض القواعد السرية لفتح في الداخل[3].

---

(1) المرجع نفسه، ص 11.
(2) أحمد الفنجري، الطريق إلى النصر (الكويت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر 1968) ص145.
(*) جمال الراشد، المجتمع، عدد 624، ص 31.
(3) حسن خليل حسين، أبو إياد، ص 75.

5- كان أعضاء فتح في الداخل قد طالبوا أن تبدأ المقاومة في 1967/8/20م ولكن قيادة فتح في الخارج كانت ترى التأجيل - (ربما بسبب مفاوضاتها مع حركة القوميين العرب ومراعاة لمطلب سوريا بالتأجيل ولاستكمال الاستعدادات) - وهو ما يفسر قيام أعضاء فتح في قطاع غزة بالمقاومة المسلحة قبل اتخاذ قرار بالانطلاقة بأكثر من عشرة أيام[1]، الذين نفذوا عمليتين قبل الانطلاقة الثانية، الأولى في 1967/6/15م، والثانية في 1967/7/15[*].

وقد طالبت الحركة أعضاءها بالانتظار لحين اتخاذ القرار، فاجتمعت القيادة في دمشق في1967/8/20م واستعرضت تقارير المجاهد ياسر عرفات وآخرين من الأراضي المحتلة، وحددت موعد الانطلاقة ليتزامن مع انعقاد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم[2] في 1967/8/29م، فكانت الانطلاقة في 1967/7/28[3].

كل هذه الأسباب جعلت فتح تستعجل الانطلاقة، والواقع أن الحركة أدركت الأثر الذي يفعله العمل العسكري من رفع المعنويات ولذلك سارعت الحركة لكسب الجماهير المؤيدة للعمل العسكري، وفضّلت أن تعلن عن انطلاقة ثانية، في إجراء إعلامي دعائي.

---

(1) من حديث أبو إياد الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967، (رقم 283) ص 265؛ خلف، فلسطيني بلا هوية، ص 93 ذكر هذا التاريخ: محمد حمزة، أبو جهاد، ص 343، صايغ، التجربة العسكرية، ص 42؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967 (رقم 526)، ص 493. بينما ذكر خلف، فلسطيني بلا هوية، ص 93 أنه 1967/8/31 ثم ذكر أنه 1967/8/29 في حديثه في حزيران 1969، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969، ص265، وقد تزامنت هذه الانطلاقة، أيضاً مع الذكرى السبعين لانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال سويسرا. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص251.

(*)الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969، (وثيقة رقم 283)، ص 264.

(2) صايغ، رفض الهزيمة، ص 20-21.

(3) المصدر: كتاب المجاهد ياسر عرفات (إعداد الكاتب داوود إبراهيم)، صفحة (62).

التنفيذ:

دخل المجاهد ياسر عرفات الضفة الغربية في بداية تموز - يوليو 1967م خفية، ومعه بعض القادة العسكريين القدماء بأسماء سرية، وأقام في حي القصبة بنابلس، وكان يتنقل بين القرى بدراجة نارية ويشرف بنفسه على العمليات وعلى التدريب، وفي 1967/9/1م، وزعت القيادة العامة لقوات العاصفة منشوراً طالبت فيه السكان بتشكيل الخلايا ومقاومة الاحتلال، ودعتهم فيه إلى صنع قنابل المولوتوف ووضع الحواجز في الطرقات. ولتعويض النقص في عدد عناصر فتح شرعت في تدريب عشرات الشباب في سوريا وغيرها[1].

المجاهد ياسر عرفات في إحدى قواعد الكرامة

(1) يعاري، فتح، ص 12.

ولتسهيل عملية الاتصال بين القيادات المحلية في الضفة الغربية وبين الدوريات المطاردة التي كانت تتكون من 10 - 15 مقاتلاً استخدمت مناصرين من السكان، وكثير منهم من النساء أمثال سهام محمد زكارنة[1].

وبواسطة هؤلاء المناصرين تم توفير المؤن من طعام ودواء ومأوى مؤقت، بالإضافة لاتصال الدوريات المطاردة بالقرى العربية في بعض الأحيان وبخاصة أن الدورية ضمت عناصر ذات قرابة وثيقة، واتخذت قواعد لها قرب القرى أو المدن التي ينتمي إليها بعض أفراد الدورية المطاردة كي تضمن الحصول على مؤن وعلى اتصالات موثقة[2].

وقد استطاعت فتح من إقامة قواعد الارتكاز داخل فلسطين وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي فلسطين المحتلة عام 1948م، وكانت هناك مجموعة قواعد:

1	بيت فوريك	7	الخليل	13	بني نعيم	19	العوجا
2	طوباس	8	طولكرم	14	بيت أمر	20	وادي القلط
3	التياسير	9	جنين	15	التعامرة	21	وفي قطاع غزة: غزة
4	أريحا	10	قلقيلية	16	الرشادية	22	خان يونس
5	نابلس	11	العروب	17	الدهيشة	23	رفح
6	القدس	12	بيت فجار	18	بيت لحم	24	المخيمات الشمالية والوسطى والجنوبية

(1) سهام محمد زكارنة: من قرية قباطية. امرأة فلسطينية بسيطة، فلاحة، عريقة، شجاعة جمعت بين الحزم والذكاء وقوة القلب والجسارة. استطاع المجاهد أبو عمار أن ينظمها في صفوف الثورة في مرحلة المد الثوري،عندما كان يؤسس قواعد «فتح» في الأراضي المحتلة.

(2) صايغ، رفض الهزيمة، ص24-25.

وأقيمت الخلايا السرية في مناطق عام 1948 في الجليل والمثلث والنقب وحيفا وعكا، والذي أشرِف على قواعد الارتكاز داخل الأرض المحتلة وخارجها المجاهد ياسر عرفات (أبو عمار) وكان على رأس هذه المجموعات كوادر من القادة الأوائل.

وقد تمكن العدو من معرفة بعض من يقدمون المساعدات من الأهالي لهذه الدوريات المطاردة وذلك عن طريق عملاء العدو، وبسبب تهور مقاتلي «فتح» بالعمل العلني أحياناً، ولسد الثغرة فقد أنشأت فتح دائرة لمكافحة التجسس.

ومما ساعد فتح على القيام بحرب العصابات في الأراضي المحتلة عدة عوامل، منها:

1– عدم كفاية الترتيبات الأمنية التي اتخذها العدو في البداية وعجزه عن ضبط المناطق المحتلة الواسعة والحدود العربية - الإسرائيلية.

2 – اتساع قاعدة الثورة من خلال اشتراك أهالي الضفة الغربية وقطاع غزة في مساعدة الفدائيين.

3 – نجاح الحركة في جمع كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة المتخلفة وراء الجيوش في حرب 1967[1].

4 – توزع سكان الضفة الغربية على أربعة مدن كبيرة ومئات القرى مما سهل حركة الفدائيين[2].

5 – توزع الجيش الإسرائيلي على مناطق واسعة، احتلها حديثاً بالإضافة للأراضي المحتلة منذ عام 1948م، الأمر الذي سهل على الفدائيين ضربه، وإرهاقه.

- ومهما يكن من أمر فقد فشلت فتح في إشعال الثورة المسلحة في الأراضي المحتلة ضد العدو الصهيوني ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها:

---

(1) الهيثم الأيوبي، مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني خلال 15 عاماً، شئون فلسطينية، عدد 98 يناير 1980، ص37.

(2) صايغ، رفض الهزيمة، ص 22.

1 - الإجراءات الإسرائيلية المشددة في ملاحقة كل من يتعاون مع الفدائيين واعتقاله ونسف منازل ذويه[1] مما يعني فقدان «فتح» لمساعدة الأهالي تدريجياً.

2 - كانت القيادات المحلية في الضفة الغربية المرتبطة بالأردن تتوقع تسوية سياسية بين الأردن وإسرائيل لإنهاء الاحتلال لصالح الأولى، كما حدث في غزة سنة 1956، لذلك لم يكن هؤلاء يرغبون في عمل من شأنه أن يبدد احتمالات التسوية المرجوة، بل على العكس، فقد تعاون بعضهم مع الإسرائيليين لاقتلاع الفدائيين[2]، ونشأت فئات ذات مصلحة في استتباب الاستقرار ولو تحت ظل الاحتلال الإسرائيلي، مثل بعض الزعامات التقليدية، وزعماء القرى كالمخاتير وفئة من تجار المدن الذين أرادوا الانتفاع بالانفتاح على الاقتصاد الإسرائيلي[3].

3 - عدم اتخاذ فتح الاستعدادات اللازمة لهذه المهمة قبل البدء بها بمدة كافية، أو تأخير الانطلاقة الثانية مدة كافية، فهي لم تنجح في إقامة شبكات فدائية تنظيمية في الضفة الغربية وغزة قبل احتلال 1967م.

4 - الترهل وضعف التنظيم الذي عانته الخلايا الجديدة بسبب السرعة في إعدادها وعدم الدقة في اختيار عناصرها، مما أدى إلى انفلاتها وعدم التزامها بأوامر القيادة في بعض الأحيان[4].

ويعود هذا الترهل وضعف التنظيم إلى عدة أسباب أهمها:

1 - عدم اتخاذ احتياطات كافية عند اختيار الأعضاء الجدد، مع التقصير في التوعية الأمنية، مما جعل بعضهم يتفاخر بعمله عند عودته إلى قريته، مع عدم توعيتهم بأساليب الصمود في التحقيق في حال الاعتقال.

---

(1) كوبان، منظمة تحت المجهر، ص47.
(2) كوبان، منظمة تحت المجهر، ص75.
(3) يعاري، فتح، ص11.
(4) يعاري، فتح، ص12.

2 - احتواء المجموعات العاملة على عدد من المناضلين غير المدربين جيداً سوى أسبوع أو أسبوعين مع الإهمال في النواحي الأمنية، كمعرفة كوادر المجموعات العاملة بأسماء جميع أعضاء الشبكات التابعة لهم، أو عدم التكتم على هوية المتطوع أمام زملائه في المجموعة[1].

3 - عدم التطبيق الجيد لدروس فتح التي أعدتها في مجال بناء الخلايا واختيار أعضائها. حيث أعدت ال-حركة كراساً تحت عنوان (الخطوات الأساسية لتصعيد الثورة المسلحة في الأراضي المحتلة). تحدثت فيه عن دور التوعية والتوجيه المعنوي الذي يجب أن يقوم به عضو الحركة عند التقصي عن أعضاء جدد، وأدوات هذه التوعية. وتحدثت عن التنظيم وكيف يتصرف العضو المكلف بتكوين خلية في الأرض المحتلة، وكيفية تكوين الخلايا هناك. ثم تحدثت عن التدريب على مهمات الاستطلاع وكيفية دراسة واقع الشعب في الداخل ومهمات النسف والتخريب، ومهمات القتال والنضال[2]. بسبب هذه المعوقات لم تتمكن فتح من إشعال حرب التحرير الشعبية في الأراضي المحتلة، كما كانت تريد، رغم أنها حققت بعض الإنجازات المهمة، وأهمها رفع معنويات المتأثرين بهزيمة حزيران 1967م من العرب والفلسطينيين على السواء.

4 - لاح تهديد أكثر خطورة بالنسبة إلى فتح نتيجة التدهور المفاجىء في علاقتها بسورية. ففي البداية بعد الحرب، سمح لفريق من فتح بالتجول في مرتفعات الجولان بحثاً عن السلاح والإمدادات التي خلفها الجيش السوري عند تراجعه السريع. واحتفظ الفدائيون بكل ما هو مفيد لهم، وسلموا الأسلحة الثقيلة وذخيرتها إلى السوريين، وصرحت فتح في وقت لاحق، أنها جمعت عدد كبير من قطع السلاح من مختلف ميادين المعركة، لكن القيادة العسكرية السورية غيّرت رأيها فجأة بعد أسابيع قليلة، وأمرت فتح بالامتناع من تجميع الأسلحة. كذلك أمر كل من

(1) صايغ، رفض الهزيمة، ص 26-27.
(2) فتح: الخطوات الأساسية لتصعيد الثورة المسلحة في الأرض المحتلة. ص3-51.

رئيس الأركان، أحمد سويداني ورئيس جهاز الأمن القومي، عبد الكريم الجندي في ذلك الوقت، بمصادرة مخازن أسلحة «فتح» في عدة مناسبات «حفاظاً على الكرامة والسيادة السورية «. وكان وزير الدفاع، حافظ الأسد أكثر مرونة، إذ شجع «فتح» على العمل في الضفة الغربية وغزة (دون أن تعبر الخطوط السورية) وأعطاها كميات صغيرة من معدات القتال تسهيلاً لعملها هناك، كما وافق على إعطاء فتح أسلحة خفيفة من مخزون الجيش السوري في مقابل الذخيرة التي جمعتها من مرتفعات الجولان، ولا تقدر على الاستفادة منها، ومن أجل أن توثق «فتح» علاقتها بالأسد، زودته بتقارير الاستخبارات التي تصلها من الأراضي المحتلة بشان التوزيعات العسكرية الإسرائيلية.

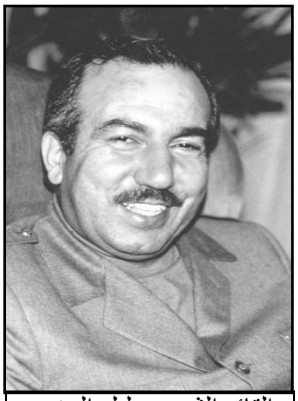
القائد الشهيد خليل الوزير

إلا أن ساعة الحقيقة دقت عندما أبلغ أبو جهاد الوزير[1] وفاروق القدومي أحمد سويداني رئيس الأركان أن «فتح» تعتزم استئناف الهجمات الفدائية ضد إسرائيل، وانزعج رئيس الأركان كثيراً من هذا الخبر، وقام بتذكيرهما لائماً بأنه « لا توجد دبابة سورية واحدة بين القنيطرة ودمشق «، وحذرهما من تنفيذ أي عمليات قتالية على جبهة الجولان. وأضاف قائلاً:» أنا صديقكم، وأحذركم من أن الآخرين في القيادة السورية سيحملونكم المسؤولية (عن العواقب)»،

(1) ولد الشهيد القائد خليل إبراهيم الوزير (أبو جهاد) عام 1936 في الرملة، أدى دوراً مركزياً وفاعلاً في مسيرة الثورة الفلسطينية. كان أول مَن تفرغ في حركة «فتح»... عام 1963... كان نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ومسؤول الأرض المحتلة وكما عرف كان أول الرصاص وأول الحجارة - كانت إسرائيل تحمله مسؤولية جميع العمليات العسكرية التي كانت تحصل داخل الأراضي المحتلة وكان بالنسبة لها العدو الأول قام العدو الإسرائيلي باغتياله في تونس في منزله في سيدي أبو سعيد ليلة 1988/4/16 وهو يحمل وسام الانتفاضة الأولى ومهندسها واستحق بشرف لقب (أمير الشهداء).

واعترض زائراه قائلين: إن نشاط فتح سيتم في الأراضي المحتلة، فاعترض بقوله: «إن إسرائيل مع ذلك ستحمل سورية المسؤولية» وطلب منهما التريث إلى أن تستكمل استعداداتنا، «علماً بأن السوفيات قد عوضونا بأسلحة جديدة»، وتم استدعاء أبو جهاد الوزير وفاروق القدومي في اليوم نفسه لمقابلة وزير الخارجية، إبراهيم ماخوس، الذي أعاد على مسامعهما الموقف نفسه، وكذلك فعل رئيس الحكومة، يوسف زعين. أما رئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي، فأنهى حديثه معهما بتحذير شديد قائلاً: «إذا أصررتم على هذا النهج فإننا سنضطر آسفين إلى تصفيتكم». وبدأت فتح نقل رجالها وسلاحها إلى الأردن بهدوء، لكنها توقفت بعد أن تم حل الأزمة في اجتماع بين حافظ الأسد والمجاهد ياسر عرفات الذي عاد من الضفة الغربية في نهاية شهر تموز.

فديمومة الثورة مرتبطة بالقدرة على امتلاك قاعدة آمنة كحد أدنى في البداية ومن ثم تطويرها إلى قاعدة ارتكازية، وعندئذ يمكن الحديث عن التخطيط وعن امتلاك أدوات حرب التحرير الشعبية ومن ثم خوض حرب الشعب، إن جيفارا العظيم لم يستطع أن يصنع ثورة بوليفيا لأنه فشل في إقامة قاعدة آمنة له. إن هذا الوعي النظري لمعنى القاعدة الآمنة كانت تعيه «فتح» كما كان يعيه أيضا «موشي دايان» الذي أمضى فترة طويلة مع القوات الأمريكية في فيتنام يدرس حرب الشعب والحرب المضادة لها والذي قال قبيل معركة الكرامة بكل وضوح ما معناه: «إننا لا نستطيع الوقوف موقف المتفرج من جيش من المخربين يتشكل على بعد عدة كيلو مترات قليلة من حدودنا.» وهو القائل أكثر من مرة: «إن الخطأ الأمريكي في فيتنام هو أنهم بدأوا مقاومتهم للفيتناميين متأخرين».

عملية بيت فوريك (*)

اختيار الهدف

منذ انطلاقة حركة فتح عام 1965م كثفت خلايا المقاومة عملها داخل الأراضي المحتلة عام 1948 من خلال تمركز عدة قواعد منتشرة لها في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة ونخص بالذكر تلك المتواجدة في محيط قرى نابلس من قرية سالم وبيت فوريك وبيت دجن وصولاً إلى عقربا وعورتا حتى روجيب.

وساعدت طبيعة الطريق الوعرة المؤدية نحو سفوح المرتفعات المطلة غربا باتجاه أريحا وضفاف نهر الأردن، على توفير ممر آمن بين عدة مغاور كانت تساعد عناصر المقاومة على سرعة التواصل أثناء عملهم واجتماعاتهم في تعبئة الكوادر الجديدة وتدريبها على أعمال المقاومة، حتى دخل الاحتلال الإسرائيلي عام1967/6/5م منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تجمد عمل المقاومة في الشهور الأولى منذ نهاية أحداث النكسة وقبل أن يمضي العام الأول للاحتلال أعادت حركة فتح ترتيب قواعدها داخل الأرض المحتلة وبدأت تستعيد نشاطها من جديد.

وبناءً عليه فقد أكدت التقارير الواردة من نقطة الرصد والمراقبة في منطقة نابلس تزايد حركة دوريات الجيش الإسرائيلي بين معسكر حوارة والقرى المحيطة به ما بين سالم و عقربا، علما بأن هذا المعسكر يقع جنوب مخيم بلاطة على الطريق الرئيس بين نابلس ورام الله، وقد أدت حركة دوريات الجيش الإسرائيلي إلى إعاقة نشاط العمل الفدائي الذي كان آخذا بالتنامي بشكل واسع.

(*) بيت فوريك : من أكبر قرانا الفلسطينية في محافظة نابلس، تبعد شرقا عن مدينة نابلس 6 كيلومترات، ومن مدخل القرية وحتى حدود التماس مع الأردن، تبعد حوالي 60 كيلو متراً وآخر حدودها مع الحدود الأردنية تبعد خمسة عشر كيلو متراً، يبلغ عدد سكانها ثمانية آلاف وستمائة نسمة وتبلغ مساحتها 36 ألف دونماً، صادرت السلطات الإسرائيلية 17 ألف دونماً لإقامة مستوطنة «مخوارة» أطلق عليها عام 1974م بلدة الشهداء والمناضلين، قدمت البلدة 42 شهيداً وألف معتقل، الشهداء رفاق «أبو عمار» الذين غادروا معه واستشهدوا في هذه البلدة التي أصبحت بعد التحرير «بلدية» بناءً على تعليمات المجاهد أبو عمار شخصياً لاهتمامه الشخصي بها.

فمنذ الاحتلال الجديد لأراضي الضفة تكثفت عمليات المطاردة والتفتيش عن رجال المقاومة وخاصة من كان منضوياً في صفوف حركة فتح. وقبل أن تقرر القيادة تغير مواقع قواعدها داخل الأرض المحتلة والانتقال لاستراتيجية العمل السري، رأت أن تتوج عملها هذا بتنفيذ عملية فدائية لضرب حركة قوات الاحتلال المتزايدة بالذات في محيط معسكر حوارة داخل منطقة نابلس.

اعتمدت القيادة في حركة فتح التقارير الواردة من مصادر الرصد والمراقبة والتي تتحدث عن خطة العدو لوضع نقطة مراقبة دائمة مشرفة على مخيم بلاطة.

وشرحت المعلومات حول خط سير دوريات الجيش الإسرائيلي التي تقوم بمرافقة وحراسة الآليات الهندسية العاملة يومياً منذ خروجها في الصباح من معسكر حوارة باتجاه مرتفع قرب روجيب، والعودة معها قبل ساعات المساء إلى المعسكر نفسه الذي تبيت فيه.

استناداً إلى ذلك قررت القيادة أن يكون الهدف المراد ضربه هو أحد موقعين ويتم التخطيط لتنفيذ أحدهما راجع على تقدير الموقف الذي تقرره مجموعة التنفيذ في حينه، وضعت الخطة الأولى لضرب الموقع المحدد بالنقطة رقم (1) وهو موقع مراقبة أقيم حديثاً على **تل حاييم** بين قرية روجيب ومعسكر حوارة، أما الخطة الثانية وضعت لضرب الموقع المحدد بالنقطة رقم (2) الذي تجري عليه الأشغال ليكون نقطة المراقبة الدائمة على مخيم بلاطة بالقرب من قرية روجيب.

اختيار مجموعة التنفيذ :

اختارت القيادة العسكرية ستة مناضلين مختصين من ذوي الخبرة تم فرزهم من بين عدد كبير من المتطوعين للقيام بتنفيذ مهمات قتالية داخل المناطق المحتلة عام 1967م فقد كانت الهمم عالية والروح المعنوية مرتفعة وحب الفداء خالصاً للوطن إذ لم تمر شهور قليلة على أحداث النكبة الأليمة واحتلال الضفة والقطاع. ونشير هنا إلى أن القيادة ولأول مرة مهدت سراً استنفار كافة العناصر المتواجدة في محيط القرى القريبة من موقع الهدف وذلك تحسباً لأي طارئ.

في الأيام الأولى لشهر كانون الأول للعام 1967م انطلقت مجموعة تنفيذ المهمة للبدء بعملها حسب الخطة الموضوعة مسبقاً وتوزعت مهامهم على النحو الآتي:

أولا : يتوجه قائد المجموعة ومساعديه عند الموقع (أ) حيث النقطة الميتة والمتواجد بها حقيبة مجهزة بالخرائط اللازمة ومخازن ذخيرة وعدد من القنابل اليدوية وبندقيتين آليتين من طراز كلاشنكوف.

ثانياً: تلتقي المجموعة ببقية عناصرها الأربعة المتبقية عند الموقع (ب) وتصبح المجموعة بكامل عددها وبكامل عدتها المكونة من بقية الأسلحة وهي عبارة عن قاذف بازوكا عدد اثنين، وحقيبة ذخيرة، وأربعة مسدسات براوينغ، ورشاشين كارلوستاف بكامل ذخيرتها.

ثالثاً: تتوقف المجموعة عند الموقع (ج) لتوزيع المهام قبل المبيت وتجهيز الحراسة وإرسال العنصر المكلف بإجراء المراقبة والاستطلاع عند الموقع (د).

رابعاً: تتحرك المجموعة مع ساعات الفجر الأولى لليوم التالي لخط سير منفرد ومتتابع مجهزين بكامل عتادهم وعدتهم متبعين خطى الفدائي المكلف بالاستطلاع ومتجهين للموقع (ه-) واجتمعوا لاتخاذ قرار على أي من الهدفين يقومون بضربه وحينها سمعوا هدير مروحية قادمة من بعيد تقوم بعملية التمشيط قبل ساعات من تسيير المعدات الهندسية باتجاه الموقع رقم (2) اتخذت المجموعة قراراً بتنفيذ الهجوم الذي بدا مع ظهور المروحية العسكرية فبادرتها المجموعة بإطلاق قذيفة باوزكا أصابتها مباشرة واشتعلت بها النيران وتمايلت لتسقط بعيداً عن موقع المجموعة التي استعدت للانتشار خلف الصخور ، حينها تحركت دوريات الجيش الإسرائيلي بالقرب من الموقع رقم (3) ودارت معركة بكل أنواع الأسلحة التي تملكها المجموعة موقعة خسائر فادحة بين صفوف جنود العدو وتمكنت أيضاً من تدمير مجنزرة بقذيفة باوزكا وإصابة طاقمها، وازداد الخناق على أفراد المجموعة بقدوم مدرعات استعملت رشاشاتها الثقيلة ،وحينها سقط أول شهيدين من أفراد المجموعة البواسل وهما

الشهيد «سعيد عريفة»، والشهيد «محمد خير خرطبيل» وجرح أيضاً المناضل غازي نايف غبن، وهنا قررت بقية المجموعة أن تنسحب مع الجريح قبل نفاذ الذخيرة إلى الموقع (و) وقد فضل المجاهدون أن يبقى في الموقع اثنان لمشاغلة دوريات الجيش وينسحب الثالث مع الجريح الرابع إلى الموقع (ي)، واستمر الاشتباك مع قوات العدو الذي عزز تواجده بدفع عدد كبير من جنوده من خلال إنزالهم من المروحيات العسكرية، وزاد ذلك بقدوم عدد من المجنزرات المدرعة لحماية إخلاء جرحاهم وقتلاهم من ساحة المعركة وقد فاق عدد خسائرهم أكثر من ثلاثين إصابة بين قتيل، وجريح و تجاوز الاشتباك ساعات ما قبل الظهر عندما سقط المجاهدون الأربعة شهداء بعد أن خاضوا ملحمة بطولية جعلت الأعداء يصبون نار غضبهم على جثث الأبطال الستة؛ حيث جمعوهم في مكان واحد وقاموا بالتمثيل فيهم وتمزيقهم بالرصاص الحاقد وهم مذعورون من عدة هجمات جانبية قام بها الثوار الذين هبوا من بعض القرى المجاورة لنجدة إخوانهم لشدة ما سمعوه من أصوات انفجارات وهدير صوت المروحيات التي دأبت على تمشيط المنطقة بكاملها بنيران رشاشاتها الثقيلة.

وهكذا انتهت هذه العملية البطولية باستشهاد أبطالها الستة وهم:

1. سعيد عريفة.
2. خالد أبو سويد.
3. وليد زامل.
4. محمد خرطبيل.
5. مصطفى بخيت.
6. غازي نايف غبن.

وقد بلغت خسائر العدو بإسقاط مروحية ومقتل طاقمها وتدمير أربع آليات مدرعة وقتل وجرح ما يقارب الثلاثين جندياً إسرائيلياً. وانتهى ظهر

يوم 7 كانون أول 1967م بالمجد والخلود لشهدائنا الأبرار، وكان لهذه العملية الأثر الكبير على معنويات السكان وزادت من صلابتهم رغم ظروف التفتيش والاعتقال والمتابعة لشهور بعد العملية ولكن ذلك لم يمنع بان العدو قد جمد لعدة شهور من حركة إقامته لمراكز المراقبة الدائمة وخفف كثيراً من تجوال دورياته بين القرى.

عملية بيت فوريك - ٧ / ١٢ / ١٩٦٧

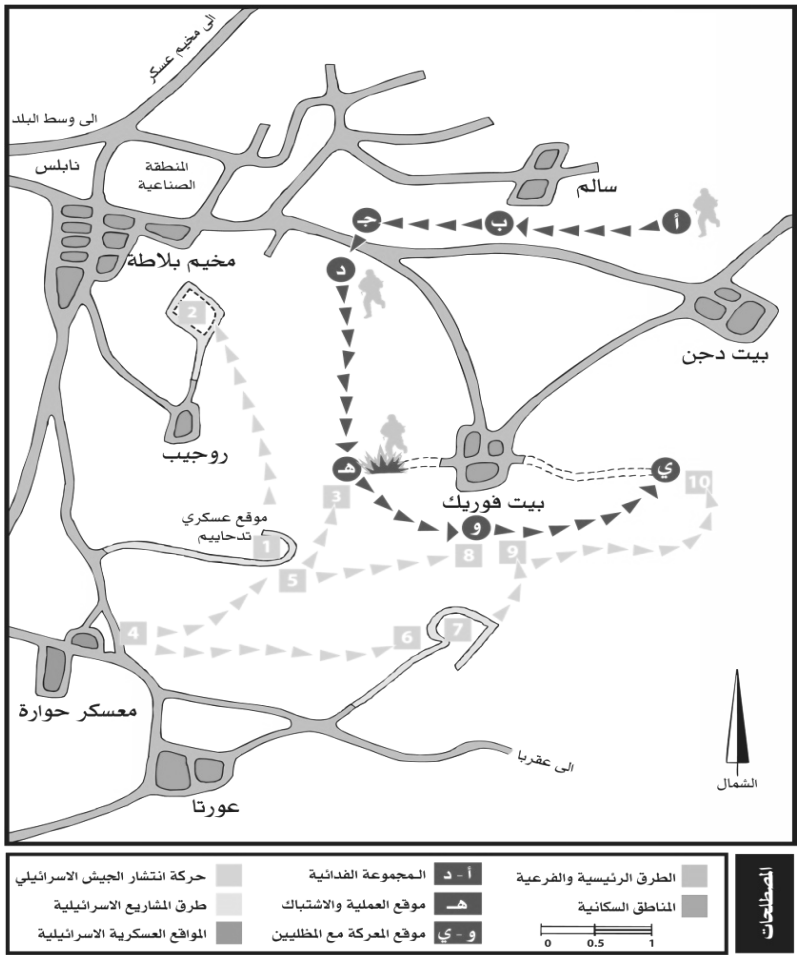

القاعدة الآمنة:

ضمن استراتيجية تجنب المعارك الحاسمة جرى البحث عن قاعدة آمنة تحدثت عنها فتح: « تجربة الشهور الماضية أقنعتنا بأن علينا أن نكتفي بما حققناه من نتائج وأن تنتهي مرحلة المشردين الهائمين بسرعة، لأن القتال بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون استراتيجية طويلة الأمد، إذ أن الاستنزاف الذي يعاني منه كل المشردين الهائمين نظراً لعدم القدرة على التعويض السريع للخسائر، يجعل إنماء الذات أمراً صعباً»[1]. وهذا القول يفسر دوافع الانتقال لهذه المرحلة أو هذا التكتيك، ويؤكد في الوقت نفسه عدم مقدرة فتح على خلق ثورة فلسطينية تتبناها كافة جماهير الأرض المحتلة، فتكون تلك الجماهير هي القاعدة الآمنة العريضة للثورة، وبسبب الفشل في تحقيق ذلك، أصبح مناضلو فتح في الأراضي المحتلة كالهائمين، مطاردين وبلا مأوى، وكان لا بد من اتخاذ خطوة جديدة لإعادة البناء واعتبرت هذه المرحلة من علامات النجاح «لكن الثورة يقاس مدى نجاحها وتقدمها، بقدرتها على تخطي مرحلة المشردين الهائمين والانتقال إلى مرحلة القاعدة الآمنة» وتراجعت الحركة عن مفهومها لحرب العصابات واعتبرتها غير كافية للتحرير وأنه لا بد من إيجاد إدارة عسكرية تؤدي للتحرير، فقررت إقامة القواعد الآمنة في أغوار الأردن «فقد أثبتت تجربة الأشهر الثلاثة أنه ليس بالإمكان أن نقيم قاعدة آمنة في الضفة الغربية... فمن شروط القاعدة الآمنة... أن يستطيع الثوار أن يعملوا بها علانية، وبدون انقطاع، وأن تكون في مكان وسط الجماهير، وفي تماس مع العدو، وأن يكون الدفاع عنها أمراً ممكناً. وأن الضفة الغربية هي ساحة القتال ولكنها ليست القاعدة الآمنة»[2]. وهكذا قررت الحركة مع مطلع عام 1967م إقامة القاعدة الآمنة في الأغوار، وبدأت في الكرامة وغور الأردن[3].

(1) فتح، كفاحنا المسلح، ص 20؛ Fateh. Political and Armed.p.34.
(2) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، (وثيقة رقم 526) ص 493.
(3) المصدر نفسه.

ومرة أخرى اضطرت الحركة للعمل من فوق أراض عربية معرضة نفسها للمضايقات وللشروط العربية والتدخل العربي، مما أفقدها القدرة على الاستمرار في عملها دون الاحتكاك بالدول العربية وخاصة المضيفة منها.

وفقاً لنظرية القاعدة الآمنة قامت فتح ببناء قواعد عسكرية ثابتة في غور الأردن مما أدى إلى: تزايد فاعلية الثورة، وتصاعد العمل الإسرائيلي المضاد[1]، فقد أعلنت فتح عن تنفيذ 68 عملية منذ مطلع 1968م وحتى معركة الكرامة، وكانت العمليات على النحو الاتي[2]:

عدد العمليات	68 عملية		
عدد قتلى اليهود المحددين	98 قتيلاً	تدمير سيارات وآليات	58 آلية
عدد قتلى اليهود غير المحددين وبتقدير أدنى	142 قتيلاً بينهم 4 ضباط	تدمير مباني	18 مبنى على الأقل بينهم 3 مصانع
عدد جرحى اليهود المحددين	16 جريحاً	تدمير منشآت مياه	3 منشأة
عدد جرحى اليهود الغير محددين وبتقدير أدنى	179 جريحاً	تدمير منشآت كهرباء	3 منشأة
عدد شهداء العاصفة	20 شهيداً	تدمير دبابة	2 دبابة
جرحى العاصفة	5 جرحىً	تدمير منشآت نفط و غاز	2 منشأة
عدد أسرى العاصفة	أسيرين	اشتباك	7 اشتباكات على الأقل

- ملاحظة: هذا الكشف لغاية 3/21 /1968.

(1) الهيثم الأيوبي، مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني خلال 15 يوماً، شئون فلسطينية، عدد 98.
(2) الجدول من إعداد الباحث عصام عدوان بالاستناد إلى البلاغات العسكرية 91-105 للفترة من 1968/3/20 -6/1، أنظر فتح، الوثائق العسكرية، ج 1، ص 123-143.

وقد ذكر سجل شهداء حركة «فتح» أسماء 37 شهيداً للفترة نفسها[1]. مما يعكس مدى مصداقية البلاغات العسكرية للحركة. وقد دفعت هذه الأعمال، التي انطلقت في معظمها من الأراضي الأردنية، إسرائيل إلى اتهام مستمر للأردن بمساعدة الفدائيين، تبريراً للعدوان عليه منذ بدء انطلاقة العمل المسلح في الأراضي المحتلة على يد حركة فتح بعد حرب حزيران. ففي الفترة من 1967/8 – 1967/12/31م كان هناك 25 قصفاً متبادلاً بين القوات الإسرائيلية والقوات الأردنية، كل منهما يتهم الآخر بالبدء[2].

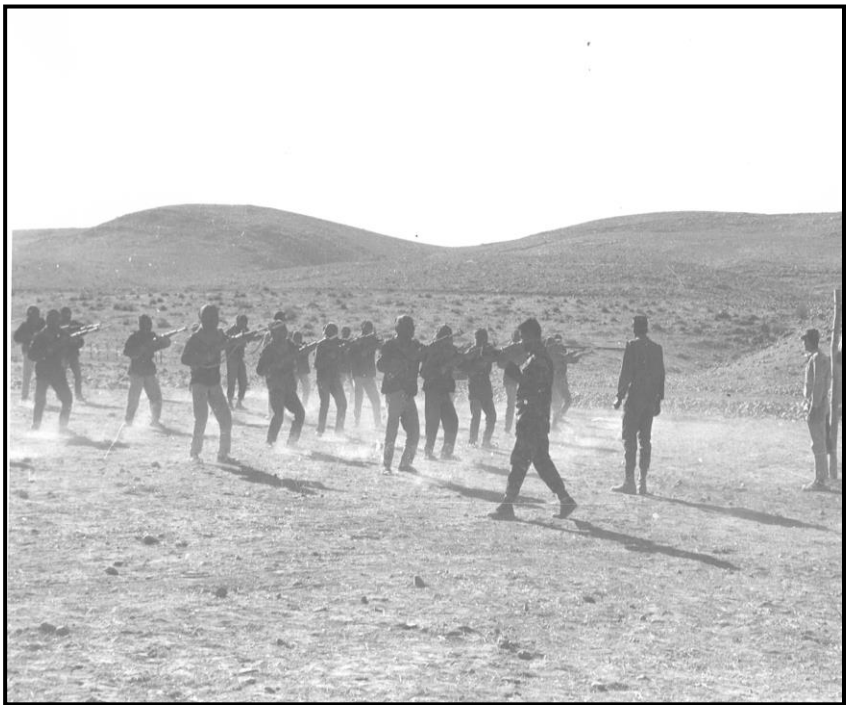

قواعد التدريب

(1) الكتاب السنوي لفتح لعام 1968، ص 391-393.
(2) الوثائق الأردنية لعام 1967م، ص 160، 167-8، 176-7.

ومنذ أقامت «فتح» والفدائيون قواعد عسكرية لها في غور الأردن، ازداد القصف الإسرائيلي للأردن بشكل ملحوظ. في محاولة للزج به في المعركة وذلك بغرض إيجاد جهة رسمية يمكن تحميلها مسؤولية الغارات الفدائية التي تشنها «فتح» وغيرها، ففي الفترة من 1968/11 – 1968/3/20م كانت الخسائر على النحو الاتي :

عمليات القصف المتبادل بين إسرائيل والأردن	41 عملية
خسائر مادية إسرائيلية اشتملت	تدمير 8 آليات + 17 دبابة + 6 طائرات
قتلى يهود	3 قتلى
جرحى يهود	4 جرحى
شهداء أردنيون	96 شهيداً بينهم حوالي 11 عسكرياً
جرحى أردنيون	127 جريحاً بينهم حوالي 31 عسكرياً

ووفقاً لتصريحات الناطق العسكري الإسرائيلي كانت حصيلة العمليات الفدائية من 1968/1/1 – 1968/3/20 كما يلي:

عمليات فدائية	36 عملية	قتلى اليهود	17 قتيلاً
قصف أردني لإسرائيل	11 قصفاً	جرحى اليهود	71 جريحاً
قتلى الفدائيين	78 شهيداً	قتلى أردنيون	18 شهيداً
جرحى الفدائيين	62 جريحاً	جرحى أردنيين	59 جريحاً
أسرى الفدائيين	18 أسيراً		

فإذا قارنا هذه الأرقام بتلك التي صرّح بها موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي في 1968/2/13م: « أن خسائر إسرائيل بلغت 15 قتيلاً و 74 جريحاً منذ حرب حزيران « وأنه يعتبر أن كثيراً من هذه الحوادث جاء

نتيجة لتأييد فعلي للفدائيين من وحدات تابعة للجيش الأردني[1] فذلك يعني أن حصاد الثلاثة الشهور الأولى من 1968 تقارب حصاد ثمانية شهور منذ حزيران 1967م، أي أن العمليات تصاعدت بشهادة الإسرائيليين أنفسهم. في محاولة للزج بالأردن في الصراع والذي أصبحت تئن بسببه المستعمرات الإسرائيلية. ولذلك جاءت الإشارة إلى أن الأردن يساعد الفدائيين، وذلك تمهيداً لإجراءات عسكرية ضده كان منها أحداث يوم 1968/2/15م.

والواقع أن حجم الخسائر الإسرائيلية كان أكبر مما ذكرته المصادر الإسرائيلية، فهي دائماً تقلل من خسائرها لأغراض الحرب النفسية ضد العدو، وللحفاظ على صمود مستوطنيها ،وعلى هيبة الجيش الإسرائيلي، فبينما تعترف إسرائيل ب- 36 عملية ما بين 1/1 – 1968/3/20م و 17 قتيلاً و 71 جريحاً إسرائيلياً. تقول «فتح» أنها نفذت في الفترة نفسها 68 عملية وقتلت خلالها 142 إسرائيلياً (وهي الأرقام الواردة في بلاغاتها فقط) بخلاف 98 قتيلاً يمكن تقديرهم كحد أدنى، و 16 جريحاً بخلاف جرحى آخرين لم تحدد عددهم يمكن تقديرهم ب 179 جريحاً.

(1) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968م، ص 604.

الاستعدادات قبيل المعركة

توالت عمليات العاصفة في أيام 12و17 و23 و28 كانون الثاني من عام 1965م، وبعد أقل من شهر على انطلاقة «فتح» دخلت حركة الصراع الفلسطيني والعربي مع العدو الإسرائيلي مرحلة جديدة وصعبة دفعت بالموقف العربي إلى اتجاه يبتعد كثيراً عن تقديم الشكاوى للمحافل الدولية ومجلس الأمن والأمم المتحدة وبعد البلاغ العسكري الرابع يوم 1965/1/28 أخذت الصحف الإسرائيلية تعترف لأول مرة بالعمل الفدائي الفلسطيني الذي أخذ يؤثر في الإسرائيليين فقالت صحيفة حيروت «إن تسلل عصابات عربية على رؤوسها صناديق الموت، هو أمر يجعلنا نتذكر عدد أولادنا وأفراد عائلاتنا، إن تصريح بن غوريون في أعقاب حملة سيناء عن تطهير الفدائيين اصبح أمرا مضحكاً، وعلى بن غوريون أن يراجع بيان الناطق العسكري».

لقد اعترفت إسرائيل بأن الهجمات والعمليات الفدائية دمرت مضخات تحويل نهر الأردن ونفق عيلبون في سهل البطوف وهو أهم مراكز تحويل مجرى نهر الأردن واعترفت إسرائيل بتدمير أنابيب ومضخات توزيع المياه في النقب.

وعلى إثر هذا الاعتراف بعمليات العاصفة قام ليفي اشكول رئيس وزراء العدو باستدعاء السفير الأمريكي واروت باربور وبحث معه خطورة الموقف، ثم قام مردخاي كدرون مدير شؤون التسليح بوزارة الخارجية الإسرائيلية بتسليم أودبول رئيس هيئة الرقابة الدولية على الهدنة في فلسطين مذكرة جاء فيها : أن إسرائيل تعتبر الموقف على خطوط الهدنة موقفاً لا يطاق.

كانت إسرائيل حتى يوم الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني 1965م تقوم هي باعتداءاتها على الدول العربية المجاورة لفلسطين وتلجأ الدول العربية دائماً بالشكوى لمجلس الأمن إلا أن الصورة اختلفت في يوم

1965/1/28م ولأول مرة استطاعت قوات العاصفة إجبار إسرائيل على اللجوء إلى مجلس الأمن بالشكوى.

قبل هذه الفترة كانت قوات العاصفة قد قررت مضاعفة عملياتها العسكرية حيث قامت مجموعة من قوات العاصفة في 1966/9/7م بالدخول إلى مستعمرة كفاريوفال في الجليل الأعلى واشتبكت مع القوات الإسرائيلية في معركة ضارية وأنزلت بالجيش الإسرائيلي خسائر كبيرة في الأرواح واستشهد في هذه المعركة **الشهيدان: «موسى قاسم جمعه»، و «محمد يوسف حسن».**

واستمراراً لقرار التصعيد قامت وحدة من قوات العاصفة في ليلة 1966/11/10م بالإغارة على مستعمرة «شارياشوف» وتمكنت من قتل ثلاثة جنود إسرائيليين وجرح أربعة آخرين.

وقد نظرت القيادة الإسرائيلية بمزيد من القلق إلى المستوى الذي وصلت إليه قوات العاصفة من التدريب وقررت الرد بشكل انتقامي ولكن على الجبهة الأردنية في الضفة الغربية في صبيحة يوم 1966/11/13 حشد اللواء المدرع الإسرائيلي السابع قواته على الحدود الأردنية، دخلت منه قوة بقيادة العقيد **يواف شاهام** مكونة من 400 جندي محمولين في عربات نصف مجنزرة و20 دبابة وانقسمت إلى قوتين.

اتجهت القوة الأساسية إلى قرية **السموع**[1] والأخرى ذهبت باتجاه آخر بقصد التضليل. وتصدت لها كتيبة صلاح الدين الأيوبي التابعة للواء المشاة حطين من الجيش الأردني يقودها العقيد الركن بهجت المحيسن و تذرعت إسرائيل بوجود قواعد للمقاومة الفلسطينية في السموع. ودمرت أكثر من 150 منشأة مدنية منهم 120 منزلاً بصورة تدمير شامل وقتلت وجرحت 162 مواطناً واصطدمت بهم القوة الأردنية في قتال شرس. اضطرتهم في نهاية ذلك اليوم للانسحاب كما استطاعت حماية خروج

(1) قرية السموع تقع إلى الجنوب من مدينة الخليل وقد اعتبرت إسرائيل أن القرية تشكل قاعدة ومنطلقاً للفدائيين.

الأهالي من القرية بأقل الخسائر الممكنة بالأرواح المدنية وقتل العقيد الإسرائيلي، وجرح قائد اللواء الأردني أثناء احتدام القتال[1].

وانفجرت بعد ذلك «حرب الإذاعات» بين الدول العربية وحدث التشهير السياسي والبيانات المضادة بين المحاور العربية التي كان كل منها يتهم الآخر بالتقاعس عن مواجهة إسرائيل. على هذه الصورة كان عام 1966م قد انتهى بعد ان أثبتت حركة «فتح» وقوات العاصفة وجودها العسكري والسياسي على الأرض وفرضت حركة فتح خطها السياسي ورؤيتها على خريطة الصراع العربي الإسرائيلي.

وبعد حرب عام 1967م لم تصمت إسرائيل طويلاً في وجه هذا التحدي الذي أعلنته حركة «فتح» و«قوات العاصفة» بل ردت إسرائيل على إعلان حركة «فتح» عن نقل قيادتها الرئيسة إلى داخل الأرض المحتلة وعن مباشرة قوات العاصفة لعملياتها البطولية ضد الكيان الصهيوني، قامت إسرائيل بتحرك عسكري سريع وواسع شمل الأرض المحتلة بأكملها. فقد فرضت إسرائيل نظام منع التجول في مناطق عدة في الأرض المحتلة وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة. واستقدمت القوات العسكرية ورجال مخابراتها واستخباراتها ونشرتهم في الضفة الغربية وقطاع غزة ولجأت إلى اعتقال المئات من المشتبه بهم في تعاونهم مع حركة فتح ثم عمد الجيش الصهيوني إلى تقسيم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مربعات لعملياته وأعلنها مناطق عسكرية وعمد إلى تمشيطها بانتظام من أجل كشف جميع الأماكن والمعابر ونقاط ارتكاز الفدائيين التابعين لحركة فتح بهدف مهاجمتها بطائرات الهيلوكبتر والقوات المحمولة جوا والقوات البرية.

وترافق الجهد الأمني الإسرائيلي الواسع داخل القرى والمدن والمخيمات وعلى الحدود مع الإجراءات الشاملة التي اتخذتها ضد المدنيين الفلسطينيين وخصوصا ضد التظاهرات والعصيان المدني ومع تشديد الحصار على الحدود إلى اعتقال أكثر من 1250 مناضلاً من حركة

(1) المصدر موقع ويكيبيديا (http://ar.wikipedia.org).

«فتح» وزجهم بالمعتقلات وكان ذلك حتى نهاية عام 1967م وتم في هذه المرحلة استشهاد 63 مناضلاً من قوات العاصفة أغلبهم من الكوادر والقيادات الفتحاوية من الصف الثاني (الإطار الثاني لحركة فتح) وتم تنفيذ 92 عملية عسكرية حتى يوم الكرامة وكانت فتح تقيم قواعدها الارتكازية داخل الأرض المحتلة وعلى طول الحدود في كل من غور الأردن وجنوب البحر الميت وجنوب لبنان[1].

وفي الوقت الذي بدأت فيه «فتح» تقيم وتنشئ قواعد ارتكاز جديدة في غور الأردن وخصوصاً حول مخيم الكرامة بعد أن تمكنت طلائعها بقيادة المجاهد ياسر عرفات «أبو عمار» من تركيز وجودها داخل مخيم الكرامة باتخاذ وخلق التلاحم القوي والفعال مع ج-ماه-ير شعبنا هناك.

صورة المجاهد ياسر عرفات في إحدى القواعد في منطقة الأغوار

(1) تعتبر أول دورة عسكرية أرسلت إلى مصر قبيل معركة الكرامة هي دورة خاصة في حلمية الزيتون، وهي دورة مكثفة للتدريب على صواريخ 3.5 بوصة، والكمائن، والطوبوغرافيا لمدة شهرين. انتهت في شهر 1967/10 والمشاركين الاخوة الشهيد: نمر صالح (ابو صالح) عضو اللجنة المركزية وكان قائدا للمجموعة، منذر الدجاني (ابو العز)، كايد يوسف، عبد الإله الاتيري، الشهيد بشير كامل داوود (أبو أمية)، الشهيد كامل فزعرو، حمزة يونس (مدرس اللغة العبرية) الشهيد إبراهيم استامبولي، الشهيد سيد حجاب، الشهيد مازن أبو غزالة غادر المجموعة واستشهد في معركة طوباس الشهيرة - أما المشرف المصري عن الدورة فهو المقدم مروان.

في ذلك الوقت بدأ العدو يتلمس خطر تلاحم جماهير شعبنا مع الثورة التي تقودها «فتح» وخطر تنامي قواعد «فتح» في غور الأردن وعلى طول الحدود مع فلسطين، الأمر الذي يعني انتشار الثورة أكثر وأكثر ومن هنا بدأ العدو يحضر للهجوم على قواعد رجال العاصفة بهدف تصفيتها والقضاء على قيادتها وعلى الثورة الفلسطينية وأعلن عن ذلك بوضوح في تصريحات متعددة وتنال أيضا من الدور الأردني.

كانت تلك التصريحات بمثابة التهديدات لثورانا في غور الأردن والكرامة وتحديهم بصورة سافرة. فبدأ رجال العاصفة وعلى رأسهم المجاهد أبو عمار يدرسون ويناقشون تلك التصريحات جيدا ويدرسون الموقف السياسي والعسكري، حتى وصلوا إلى ثقة مطلقة وكاملة في تقدير الموقف بأن العدو خلال شهر واحد فقط سيهاجم الكرامة وبمنتهى العنف والوحشية، وبدأت القيادة الفتحاوية السياسية والعسكرية تضع الخطط العسكرية على أساس هذا الموقف وقامت القيادة السياسية والعسكرية باتخاذ عدة خطوات في مخيم الكرامة أهمها:

1- إنشاء مواقع دفاعية استخدم فيها الإسمنت المسلح.
2- إحاطة الكرامة ومواقع وقواعد الفدائيين بحقول الغام تحكمت في حجمها الإمكانيات المحدودة المتوفرة لفتح في ذلك الوقت ولقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني.
3- التدريب على حرب الشوارع التي تنسجم مع طبيعة شوارع الكرامة.
4- اعتماد المجموعات ذات العدد القليل من 3 - 4 مقاتلين لمضاعفة إمكانات القوة المتوفرة لدى حركة فتح في ذلك الوقت من جهة ويقلل الإصابات من جهة أخرى.
5- العمل على توفير أسلحة متنوعة من قاذفات RBG2 وألغام ومدافع الهاونات 82/60 ملم والقنابل اليدوية داخل مخيم الكرامة.
6- تركيز الاستطلاع والرصد داخل الأرض المحتلة لمتابعة تحركات الجيش الإسرائيلي وحشوده العسكرية.
7 - إقامة نقاط مراقبة أمامية على طول نهر الأردن وخصوصاً مقابل الكرامة.

إلى جانب هذه الخطوات العسكرية كانت هناك الاجتماعات اليومية لكوادر الحركة وقادتها ومقاتليها الأبطال من قوات العاصفة، يطرحون خطط العدو على بساط النقاش ويدرسون الخطط المضادة لها، ثمة سؤال طرح مرة واحدة فقط... هل نصعد الجبال وكان القرار الذي اتخذ بالإجماع هو الصمود والقتال والتحدي وجهاً لوجه مع العدو الصهيوني. وهذا كان يعني أن حركة فتح قبلت التحدي... ومضت الاستعدادات للمعركة سائرة على قدم وساق حتى يوم المعركة الخالدة.

الدوافع المباشرة للاعتداء الإسرائيلي على الكرامة في 1968/3/21م:

شرعت إسرائيل في تضخيم انفجار لغم بحافلة في جنوب النقب في 1968/3/18 وأعلنت أن الرأي العام يطالب بالرد على هذا الحادث وأعلن رئيس الحكومة ليفي أشكول في الكنيست (1968/3/18): « إن الأردن لا يفعل شيئاً ليضع حداً لأعمال الفدائيين التي تنطلق من أراضيه، والأردن مسؤول عن الخرق المستمر لوقف إطلاق النار والنتائج التي يمكن أن تسفر عن ذلك، وسنضطر لحماية أمننا»[1].

وقتل في اليوم نفسه أيضاً جنديان إسرائيليان في اشتباك مع مجموعة فدائيين، وحذّر مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة من العواقب محتفظاً بحق الرد دفاعاً عن النفس، ومعتبراً هذا الحادث ذروة لحوادث انتهاك وقف إطلاق النار ولحملة إرهاب مصدرها الأردن، مذكراً بأن 36 هجوماً وعملاً فدائياً قد وقع منذ 1968/2/15[2] انطلاقاً من الأردن.

أدرك الأردن أن تسليط إسرائيل الأضواء على هذا الحادث وتقديمها مذكرة احتجاج لدى مجلس الأمن مؤشر لخطوات أكبر، وتمهيد لهجوم على الأردن. ولذلك بعث مندوب الأردن الدائم في الأمم المتحدة برسالة إلى رئيس مجلس الأمن « أعلن فيها أن إسرائيل تعد العدة لشن هجوم كبير على الأردن، يمكن أن يؤدي إلى تجدد القتال في الشرق الأوسط « مؤكداً خطورة الوضع وضرورة اتخاذ خطوات لتجنب الهجوم[3].

(1) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص 610.
(2) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص 611.
(3) المصدر نفسه والصفحة.

تصاعد مسرح عمليات الجيش الاسرائيلي تمهيدا لمعركه الكرامه

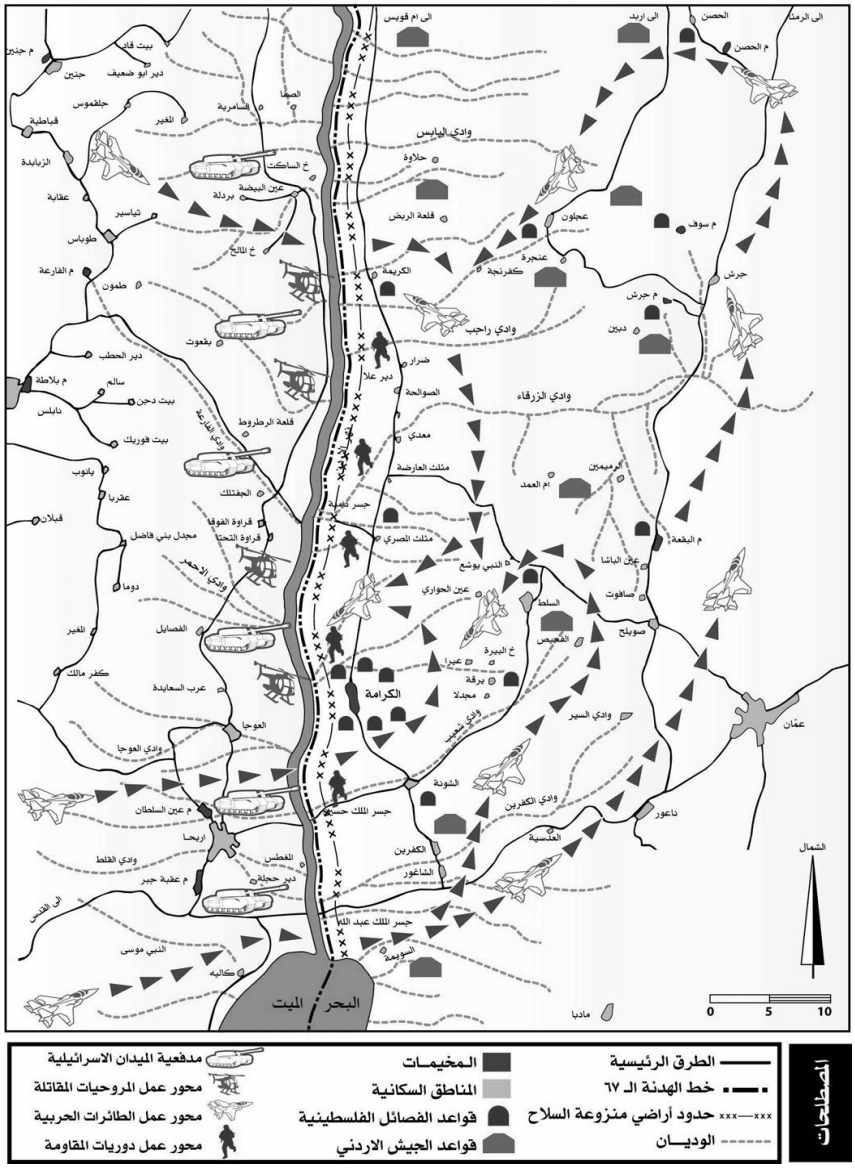

ملحق: أوامر عسكرية بتنفيذ عملية رقم ٣ ضد منظمة «فتح» في الكرامة

سري للغاية

عملية رقم ٣

عام:

١. مركز ينفذ عملية ضد قواعد «فتح» في منطقة الكرامة.

توجيه:

٢. مركز يصفي قاعدة «فتح» في الكرامة وضواحيها.

٣. يهدم كافة منازل «فتح» في الكرامة وضواحيها.

٤. يظهر وجود جيش الدفاع الاسرائيلي في الميدان وينسحب بموجب أمر.

التنفيذ:

٥. تنفيذ عملية في وضح النهار، والسيطرة وتدمير قواعد «فتح» في الكرامة من خلال تأكيد وجود جيش الدفاع الاسرائيلي في المنطقة، كل هذا بواسطة قوات مدرعة، ومشاة يتم نقلهم بواسطة آليات مصفحة، وقوات تنقل جوا بواسطة مروحيات بهدف سد منافذ انسحاب عناصر فتح من منطقة الكرامة شمالا وشرقا بمساعدة من سلاح المدفعية وسلاح الجو.

٦. يوم ال«ع» الخميس ٢١ آذار ١٩٦٨ الساعة «ش».

صدر بيوم ١٩ آذار ١٩٦٨.

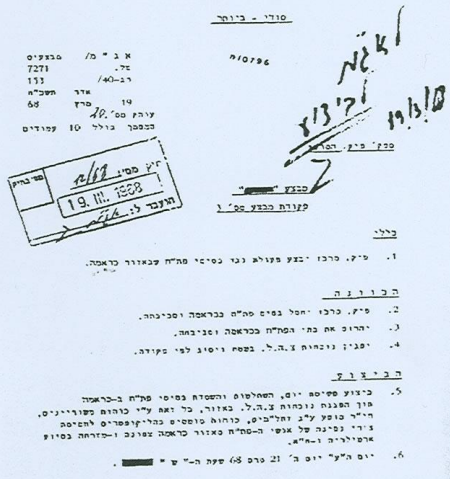

صورة لأمر تصفية «فتح» في الكرامة

عملية موشيه ديان - حولون

اختيار الهدف:

إن التحول الكبير الذي أحدثه احتلال إسرائيل عام 1967م للضفة الغربية وقطاع غزة، خاصة على صعيد الحياة المدنية وتنقل السكان ما بين القطاع ومناطق ال- 48 مكَّن خلايا المقاومة من العمل بنشاط بين حدود قطاع غزة الشمالية ومدينة يافا القديمة والتنقل بهيئة صيادين للأسماك ذهاباً وإياباً بين المدينتين فقد تأكد لجهاز الرصد والمراقبة التابع لقواتنا العسكرية داخل الأرض المحتلة والعاملة ضمن نطاق هذه المنطقة أن موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلي يتردد وباستمرار على مستعمرة حولون الواقعة جنوبي مدينة يافا وعلى الطريق السريع المؤدي إلى عسقلان وغزة وهي منطقة تمتد بانحدار نحو الشاطئ يتخللها بعض الهضاب الترابية تمر بمساحة واسعة عبر آثار بيزنطية قديمة.

تم خلال الاجتماع بين القيادة السياسية والعسكرية لحركة فتح استعراض هذه المعلومات المهمة الواردة لجهاز الرصد والمراقبة، وبدأت مشاورات لاتخاذ قرار بتنفيذ خطة عسكرية الهدف منها ضرب موشيه ديان في عقر داره، وتم الاتفاق لتحديد الموعد المناسب لتنفيذ العملية مع توضيح الظروف الملائمة التي لا تعطي الانطباع بأن الهدف منها هو الثأر من موشيه ديان بالذات، ولكن لأهمية وطبيعة المنطقة الجغرافية أعطى المجال لعناصر الرصد بأن تعيد رسم كروكي عسكري لدراسة الطبيعية الجغرافية المحيطة بمنطقة الهدف وحتى تكون أصداء العملية حين تنفيذها تؤكد حق المقاومة المشروعة ضد الاحتلال الاستيطاني لفلسطين وليس فقط عقاباً لمجرم الحرب موشيه ديان على جرائمه التي ارتكبها بحق شعبنا الفلسطيني منذ حرب 1956 حتى 1967م.

قامت مجموعة الرصد والمراقبة داخل الأرض المحتلة بتنفيذ المهمة الموكلة لها بدقة ورسمت كروكة توضيحية لمنطقة الهدف تبين فيها أن المشار إليه بالرقم 2 هو أحد المكاتب التابعة لوزارة الدفاع والذي يتردد

عليه باستمرار وزير الدفاع موشيه ديان، وحين عودته بعد الظهر يتخذ المسار المشار إليه بالرقم 3 للذهاب إلى الطريق المطل على الموقع الأثري البيزنطي المتواجد تحديداً جنوب تل يونس. وتأكد أيضاً لأفراد المجموعة أن هذه المنطقة الترابية أسفل المنحدر باتجاه البحر تجري عليها أعمال إنشائية تمهيدية من خلال حركة الجرافات العسكرية والشاحنات الكبيرة ولا يتواجد عليها حراسة مكثفة.

انعقد الاجتماع الثاني لقيادة الحركة لدراسة هذه المعلومات الجديدة الواردة من عناصر مجموعة الرصد والمراقبة حيث لمست القيادة تزامناً منطقياً مع المعلومات الواردة من الرصد الخارجي، وبالتحديد من المناطق الأوروبية، بأن إسرائيل تهيئ الظروف الدولية لاستقبال عدد كبير من المهاجرين الجدد وخصوصاً من الأعمار الشابة وأن وزارة الدفاع الإسرائيلي تعد هذه المنطقة على الساحل الغربي لمستعمرة حولون لإنشاء موقع استقبال وتدريب خاص لمجموعات المهاجرين الجدد، وعلى إثر ذلك قررت القيادة اعتبار موكب موشيه ديان هو الهدف المتاح ضربه من خلال عملية تفجير عن بعد بواسطة الأسلاك لسيارته عند مرورها بالمنطقة المحددة بالرقم 3، و اعتبرت القيادة أن هذه العملية لها عمق استراتيجي على الحالة النفسية المتصاعدة بالغرور بعد نصر إسرائيل في حرب ال-67 وأيضاً لأن موشيه ديان قد وسع من مهام رئاسة الأركان وأعطاها الضوء الأخضر لشن هجمات لاحقة لضرب قواعد حركة فتح على طول الجبهة الأردنية للضفة الشرقية لنهر الأردن وبعمق يصل حتى حدود مرتفعات جبال السلط وأطراف المخيمات الفلسطينية وذلك رداً على تصاعد العمل الفدائي داخل حدود 1967م ومناطق 1948م.

اختيار عناصر التنفيذ:

تكونت المجموعة من ثمانية أفراد من ذوي الاختصاص والخبرة في مجال التفجير إضافة إلى عناصر القتال وخبراء في الطرق والتسلل، وتوزعت المهام على النحو الاتي:

- المجموعة الأولى: ضمت عنصرين مجهزين برشاشين كارلو، ومناظير مهمتهم تأمين الاستطلاع المتقدم وتمهيد الطريق للدخول إلى منطقة الهدف من أسفل الجسر تحت الطريق السريع بين تل أبيب وعسقلان وبين (أ) و (ه-) مروراً بالطرق الفرعية بين الجهة الغربية لمستوطنة حولون حتى الطريق المؤدي إلى جنوبي تل يونس وصولاً إلى المنحدر موقع الهدف بين النقاط (ب) و (ج) و (د) على الطريق المطل شرقاً نحو الآثار البيزنطية.
- المجموعة الثانية: وتتكون من عنصرين مجهزين بمسدسات ورشاش «برن» مع حقيبة المتفجرات، ومهمتها زرع الألغام على الطريق المستخدم من قبل سيارات موشيه ديان وتمديد سلك التفجير بعيداً عن الطريق أسفل المنحدر عند النقطة (ج) وربطها بعلبة التفجير الكهربائي انتظاراً لساعة الصفر.
- المجموعة الثالثة: وكانت بأربعة عناصر مجهزين ببندقيتين سينوبال ورشاشين كارلو وعدد من القنابل اليدوية ومهمتهم تتلخص في تمركز عنصر متقدم عند النقطة (ب) لمراقبة الطريق ورصد الهدف وإعطاء إشارة التنفيذ لعناصر التفجير عند النقطة (ج) وتوزع باقي أفراد المجموعة الثلاثة عند النقطة (د) حيث يكون في الوسط حامل الرشاش وإلى جانبه اثنان من القناصة مجهزين بالقنابل اليدوية ومتهيئين للاشتباك والتدمير والحماية وذلك في حالة فشل التفجيرات أو وصول أي من دوريات الجيش الإسرائيلي للنجدة وأيضاً لتأمين انسحاب بقية أفراد المجموعة إلى النقطة (هـ).

عملية التنفيذ:

في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم 20 آذار 1968م أُعطيت الإشارة من منطقة المراقبة (ب) تفيد باقتراب ثلاث سيارات جيب عسكرية نحو موقع التفجير، حيث قام عناصر التنفيذ بالضغط على علبة المفجر الكهربائي وعلى إثره أصيبت السيارة الثانية التي كانت بالوسط إصابة مباشرة وتم تدميرها وقتل مَنْ كان بداخلها من جنود.

وأصاب الانفجار الثاني مؤخرة السيارة الأولى ما أدى إلى انقلابها نحو المنحدر ولم يتبين مدى إصابة مَن كانوا فيها، أما السيارة الثالثة فقد كانت إصابتها من الأمام خفيفة ما أدى إلى هروب أفرادها مذعورين وتم التعامل معهم من خلال مجموعة الاشتباك التي ألقت عليهم القنابل اليدوية وأمطرت بقية الجنود بوابل من رصاص رشاشاتهم حتى ساد المنطقة هدوء ولم يعد يسمع صوت طلقات من قبل جنود العدو سوى أصوات استغاثة وعويل من هول الصدمة، حينها قررت المجموعة الانسحاب سريعاً قبل وصول أي نجدات من دوريات الجيش الإسرائيلي، وتم لهم ذلك حين سلكوا الطريق التمويهي للانسحاب إلى المنطقة (ه-) وهي معاكسة لمنطقة الدخول وتمكنت المجموعة من العودة إلى قواعدها سالمة.

نتائج العملية:

أُصيب وزير الدفاع موشيه ديان بكسر في يده اليمنى جراء انقلاب سيارته العسكرية إثر الانفجار، حيث اتضح أنه كان يركب السيارة الأولى وليس الثانية التي تم تدميرها بالكامل ومقتل جنودها الأربعة، وقد جرح سائقه، ونتيجة الاشتباك والتفجير وإلقاء القنابل اليدوية تبين أن خسائر العدو كانت بمقتل سبعة من جنوده وجرح اثنين، ولم تعترف مصادر العدو الرسمية بمقتل أي من جنودها أو إصابة وزير دفاعها حتى طالعتنا صحفهم الرسمية في اليوم التالي بأن الوزير موشيه ديان قد تعرض لإصابة طفيفة في يده إثر سقوطه عن سور قديم بينما كان يتفحص موقعاً أثرياً في منطقة تل يونس.

غربت شمس يوم 20 آذار 1968 وكان ذلك بفارق يوم واحد من وقوع معركة الكرامة حيث لم يتمكن وزير الدفاع موشيه ديان من الإشراف على جيشه الذي هزم وانسحب خائباً من أرض الكرامة دون تحقيق أهدافه بالقضاء على قواعد الفدائيين خارج حدود فلسطين.

عملية موشيه ديان - حولون - ٢٠ / أذار / ١٩٦٨

يقول القائد صلاح خلف أبو إياد في كتابه» فلسطيني بلا هوية»[1]

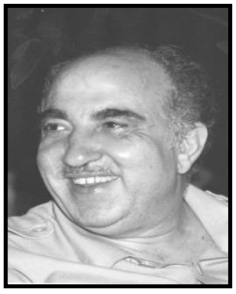

«وكان مما يزيدنا شعوراً بالراحة هو أننا أقمنا قواعد فدائية قرب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يوفرون حماية مثلى لنشاطاتنا وجعلنا من إحدى القواعد القريبة من تجمع الكرامة مقر قيادة عملياتنا، وبما أنها كانت تقع بين تلال تبعد أربعة كيلومترات عن نهر الأردن فإنها كانت تحتل موقعاً استراتيجياً.»

الشهيد القائد صلاح خلف

وفي مطلع شهر آذار/مارس 1968م تلقينا رسالة من مسؤول في الاستخبارات العسكرية الأردني هو غازي عربيات يلتمس فيها إجراء محادثة مع قادة «فتح» وقد ترددنا ، أنا والمجاهد ياسر عرفات، بادئ الأمر في إعطائه جواباً بالإيجاب، فنحن لم يسبق لنا أن قابلنا ممثلاً عن النظام الأردني، ثم إننا لما كنا نختلج بضرب من البراءة السياسية في تلك الحقبة، فإننا كنا نعتقد أن أي اتصال، سيكون محرجاً، بل غير لائق بحركة ثورية.

(1) من كتاب أبو إياد صلاح خلف (فلسطيني بلا هوية)، من ص 104- 107 الشهيد القائد صلاح خلف (أبو إياد) هو أحد مؤسسي حركة «فتح»، وهو عضو اللجنة المركزية، وقد تمكن من القيام بمسؤولية قيادة الأجهزة الأمنية الفلسطينية بنجاح وحكمة وصرامة، عرف بصلابته، وخبرته الواسعة، وحظي باحترام الأصدقاء العرب وغير العرب، قارع الاحتلال الصهيوني، وأجهزته في الخارج وخاصة الموساد. أسهم بشكل أساسي في تكوين الفكر الاستراتيجي لحركة فتح مستفيداً من تجاربه السابقة. تعرض شهيدنا البطل للعديد من محاولات الاغتيال حيث كان يمتلك القدرة على معرفة ما يدور حوله من مخططات أسهمت فيها عدة أجهزة مخابرات دولية كانت متواجدة خصوصاً في الساحة اللبنانية. خاض حوارات واسعة مع مختلف الفصائل الفلسطينية من أجل تقريب وجهات النظر، وتحقيق الوحدة الوطنية، ولذلك كان يحظى باحترام وتقدير مختلف قيادات هذه الفصائل. ارتبط اسم القائد أبو إياد بكتاب «فلسطيني بلا هوية» الذي كان عبارة عن لقاءات أجراها الكاتب الفرنسي إريك رولو مع الشهيد القائد. استشهد القائد الصلب أبو إياد مع الشهداء: أبو الهول، والشهيد أبو محمد العمري في حادثة مفجعة علي يد عملاء الامبريالية والصهيونية.

إلا أن إلحاح عربيات دفعنا إلى أن نقبل في النهاية أن تجري المحادثة يوم 10 آذار/مارس 1968م في أحد منازل الكرامة، وقد أطلعنا عربيات على معلومات مصدرها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (السي. اي. ايه) تفيد بأن إسرائيل سوف تشن هجوماً واسع النطاق على قواعدنا المقامة على طول نهر الأردن، ونصحنا من باب الصداقة بالتروي ودعانا للذهاب إلى عمان لمقابلة رئيس الأركان العامة «اللواء عامر خماش» الذي يود التباحث معنا حول هذا الموضوع.

وقد حدثنا اللواء خماش في يوم الاثنين 18 آذار/مارس 1968م بحديث أكثر وضوحاً وأشد إحكاماً، وأخبرنا أن الهجمة الإسرائيلية ستتم خلال الأيام الثلاثة المقبلة، وأن الحكمة تقضي بأن يتلافى الفدائيون أية مواجهة وأن ينسحبوا إلى داخل الأراضي الأردنية. ثم ألّح قائلاً بأن قيادة «فتح» ترتكب خطأً جسيماً إذا ما عرضت نفسها لضربات العدو، وأنه إنما ينبغي لنا أن نقي أنفسنا ذلك بأسرع ما يمكن.

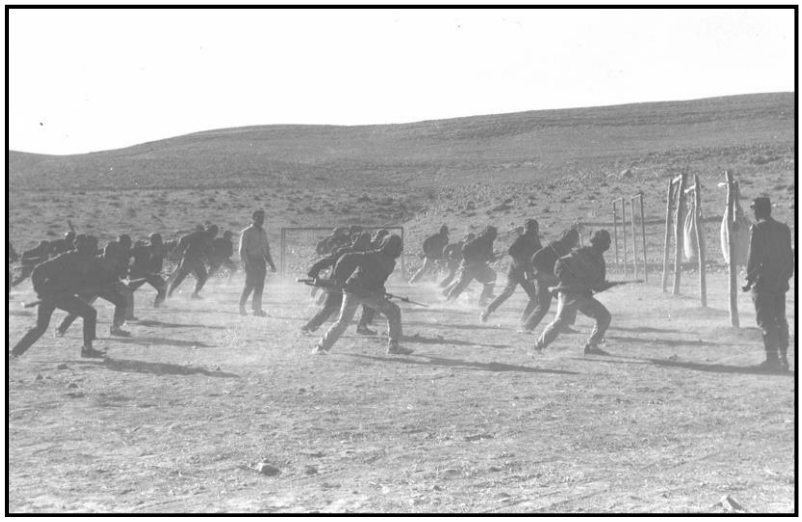

قواعد تدريبات قوات العاصفة

كان اللواء خماش محقاً، في المطلق فالفدائيون بحكم قانون حرب العصابات، لا يخوضون معركة مع جيش نظامي، وفعاليتهم رهن بقدرتهم على الحركة، إلا أن اعتبارات سياسية دفعتنا إلى أن نخالف نصائح محدثنا. وقلنا له مفسرين: «أن الفلسطينيين، ثم أن العرب بصورة عامة، لن يفهموا أن نخلي الساحة مرة أخرى أمام الإسرائيليين. إن واجبنا هو أن نعطي الأمثولة وأن نبرهن على أن العرب أهل للشجاعة والكرامة، إننا سنقوض وسندمر، إذا ما أمكن أسطورة الجيش اليهودي الذي لا يقهر».

وأمام تصميمنا ويأسه من إقناعنا، فإن **اللواء خماش** اقترح علينا أن نطلب مقابلة الملك حسين، فرددنا عليه دعوته بأدب متحججين بقلة ما تبقى لدينا من وقت لكي نستعد للدفاع عن قواعدنا على طول نهر الأردن.

ولدى عودتنا إلى الكرامة في اليوم نفسه استدعينا كافة المسؤولين العسكريين في المنطقة لنعلمهم بالهجوم الإسرائيلي الوشيك ولنطلب إليهم أن يقرروا ما إذا كان ينبغي تلافي المواجهة أم لا، ولم نشأ (عرفات وأنا) أن نؤثر في الحكم الذي ينبغي لهم أن يصدروه؛ ولذلك فإننا قررنا ألا نطلعهم على الرأي الذي أبديناه بحضور اللواء خماش، وكان النقاش مختصراً، فالجميع مجمعون على أنه لا ينبغي للفدائيين بأي حال من الأحوال، أن يتراجعوا أمام العدو، ولكن على أعضاء القيادة بالمقابل أن يغادروا المكان كإجراء أمني، إلا أن عرفات وفاروق القدومي وأبو صبري وأنا قررنا أن نشترك في المعركة، وتوزعنا في مختلف قطاعات الكرامة واستقر كل منا في مغارة على خاصرة التلال المحيطة بها.

وفي 21 آذار/مارس 1968م، أي بعد ثلاثة أيام من تحذير اللواء خماش أيقظني أحد الفدائيين عند الفجر ليعلمني ببدء الهجوم الإسرائيلي، كان في وسع المرء أن يميز أرتال مصفحات الجيش الصهيوني وهي تجتاز نهر الأردن تتبعها تشكيلات من المشاة وبدأت المدفعية بالقصف، بينما راحت الطائرات المروحية الهيلوكوبتر تلقي بالمظليين خلف خطوطنا، وهكذا فقد اندفع حوالي ال-15000 جندي من قوات العدو للهجوم على قواعدنا على جبهة تمتد ثمانين كيلومتراً تقريباً.

إلا أنه كان بادياً أن الهجوم الرئيسي يتجه نحو الكرامة التي كان علينا أن ندافع عنها، واستقبلت الدبابات الإسرائيلية في الكرامة بإطلاق نار غزير من بنادق الآر بي جي وبوابل من القنابل اليدوية. وهبط الفدائيون من التلال ليخوضوا المعركة مجابهة وجسما لجسم أحيانا وبالسلاح الأبيض. وأبدى بعض منهم بطولة انتحارية فقد رأيت مثلاً أحد شبابنا من رجال الكوماندوز وهو يدمر دبابة بأن يُلقي بنفسه تحت زردها (جنزيرها) وقد لف نفسه بحزام محشو بالمتفجرات.

دبابة إسرائيلية استهدفها الفدائيون في معركة الكرامة

جيل النكبة جيل الثورة

ذاكرة الطفولة والوعي :

هو في الواقع الجيل الذي أنتمي إليه، أمضى جلّ عمره في الهجرة، يحوم به الحنين على ديار الوطن في فلسطين القريبة روحاً والبعيدة جغرافياً. ومع مرور السنين كبرنا وكبر الحلم معنا، الحلم بالعودة.

فمنا من أصبح مهنياً أو تاجراً أو معلماً أو كاتباً أو مهندساً أو طبيباً إلا أنه ظل عاشقاً حالماً للبعيد، ودون أن يتخلى عن خصوصية اللقب الذي التصق به « لاجئ فلسطيني» في دول الشتات.

ومن الحطام إلى القيام ارتسمت علامات المخيم الفلسطيني وفرادته، فبنى اللاجئون الفلسطينيون الذين «يتمتهم النكبة». فلسفتهم الخاصة في حدود المخيم الفسيحة في عمقها، ومن رقعته الجغرافية الضيقة إلى الحدود اللامتناهية من التفاؤل والحلم المشروع فيما بدأ السلم الاستعماري حركته اللولبية داخل هذا المجتمع اللاجئ على يد النظام الرسمي العربي ومَن شايعه من الذين اعتقدوا بأن آلام الفلسطينيين «مدخل لتجارة السياسة بدلاً من تهذيب ورقي السياسة» في بلاد وأحزاب عربية وفلسطينية حاكمة ومحكومة وغير حاكمة.

ومن مأوى الأجساد المتلاصقة في الشتات، وفي ساحات مدارس الأونروا المتراصة في مخيم الكرامة كما هي الحال في عموم المخيمات الفلسطينية في الداخل والشتات، امتلأت طرقنا المتعددة والمتجددة، المتنورة والمتطورة بنتاج الحنين والعصف والأنين. اقترن فينا الوعي بالفتوة النقية والرأي بالشجاعة، وفي السياق على طريق غد قادم يتجسد فيه حلمنا الفلسطيني المشروع.

في لحظات الحقيقة الفلسطينية، لم يكن من متسع أمامنا سوى أن نجبل هذا الوعي الطفولي مع البيئة المعاشة، ومع الهم الوطني في دوائره المتسعة، حيث التداخل البريء الصافي بين فكرة الانتماء الكلي الفلسطيني

والعربي، و الفلسطيني والأممي، وبين العدالة المطلقة والعدالة في فلسطين وأي مكان في العالم.

إنها الفلسفة المعاشة، حيث الوعي ينمو من مخزون ذاكرة الطفولة وعيونها وإدراكاتها الأولية، إنه الوعي الفطري المسيج بالأفق القومي المنساب في بحر العطاء الإنساني، بينما راح تجار السياسة يمعنون في استغلال الألم الفلسطيني وتشظي الذات وجراح قاع الروح التي رسبت عبر عقود النكبة.

ذاكرة الطفولة لا تغيب عنها أبداً علاقات المخيم بالمخيم، لقد لعب الشتات في حياة شعبنا دوراً أساسياً في بناء صلات جديدة بين أبناء شعبناً، حيث تعارف الناس بعضهم ببعض، فقد تمكن ابن الشمال أن يتعرف إلى ابن الجنوب وابن الوسط أن يتعرف إلى ابن الساحل.

لقد اختصرت المسافات وضاقت المساحات، وراح الشباب من المناطق المختلفة ومن المشارب المتعددة يتعرفون إلى بعضهم، وعنوان أحاديثهم وسهراتهم وحواراتهم وتعارفهم هو الوطن، الغربة والحنين والمأزق والبديل. لا فرق بين اللاجئ في الوطن أو اللاجئ خارج الوطن فالكل في مأساة الغربة سواء، والكل في إحساس الضياع متساوون، والناس للناس وعلاقات أبناء القرية والبلدة والمنطقة اللاجئة من فلسطين بأبنائها في المخيم تتوطد وتتزايد.

كان في سويداء قلبي من كل هذا المعمعان، وكانت جميع شرائح شعبنا ممثلة بهذا المخيم المناضل، سواء أولئك القادمون من المدن أو القرى. من أبناء **يافا، وحيفا واللد، والرملة، وبيت دجن، وبيت محسير، والفالوجة، وأبو زريق، وأبو شوشة، وجمزو، وعجور ويازور، وعنابة، وعرب العمايرة، وأبو كشك، وبيسان، كلّ في تواصل وتفاعل.**

ذاكرة الطفولة أشد التصاقاً وثباتاً في الوعي الأولي، وأكثر تأثيراً في الوعي الحاضر، حيث ترى كل أسماء الأماكن والمناطق في الوطن السليب مدونة على لافتات الدكاكين والشوارع في المخيم، في ساحاته

وشوارعه ومدارسه، حيث اشتياق وحنين، وذاكرة الطفولة المحمولة في وعي أبناء مخيم الكرامة والمرسومة على أجساد غضة طرية بريئة.

عندما أنشئ «مخيم الكرامة» كما أسماه **الملك عبد الله** عام 1950 كانت جموع الجماهير من جيل النكبة تئن تحت وطأة حمل تنوء به الجبال، فكانت مؤسسات الرعاية الاجتماعية والإنسانية، مثل وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) تحاول رفع جزء من الأحمال المعيشية الثقيلة، فظهرت بطاقة الإعاشة للأونروا أو «الكرت الأزرق»، وبطاقة مؤسسة اللاجئين أو «الكرت الأحمر».

عبد الرحمن الهباب أول مدير للمخيم، الرجل الاجتماعي المناضل المتواصل مع الناس كان لا يمل التردد على كبار السن يعطف عليهم ويقول جملته المشهورة: «ليس أمامكم سوى أن تعلّموا أبناءكم وتأخذوا أموركم بأيديكم وفي النهاية لن يكون الحق إلا لكم ومعكم». وفعلاً كان هناك أربعة أسباب للاهتمام الفلسطيني غير العادي بالتعليم.

أ - تطور قطاع التعليم في بلدان اللجوء والدور الذي لعبته وكالة الغوث.

ب- استقر اللاجئون الفلسطينيون والذين معظمهم من أصل قروي في مخيمات قرب أو داخل المدن التي توجد بها مرافق متقدمة للتعليم.

ج- خسارة الأرض وشعورهم بأن التعليم سيقوم من الناحية الاقتصادية بالتعويض عنها جزئيا.

د- عدم وجود فرص عمل، وانتشار البطالة الأمر الذي حد من ظاهرة تسرب الأطفال من المدارس للعمل.

الرومانسية الحالمة التي شكلتها بدايات الوعي الطفولي تأثرت وتناغمت مع البيئة في الوسط الفلسطيني المجتمعي في المخيم بمناسباته العامة والخاصة وفي تراثه وفولكلوره الجميل المؤثر، الذي يبدأ من سرد يوميات النكبة والوطن الفلسطيني ومتوالياته، سواء في التجمعات و(القعدات) العفوية والمنظمة، وفي مقهى أبو عجوة، أو في مركز الشباب الاجتماعي مركز (الأونروا) لتعود ذاكرة الطفولة بنا إلى الماضي القريب

فتطرب أذن الفلسطيني مع أهازيج الأعراس الشعبية، وصوت الحادي وألحان (الشبابة) التي يعزف عليها أبو علي المنسي.نتذكر الشاعر الوطني **خليل زقطان**[1] وحرارة أبيات قصائده، ونستذكر صوت القهوجي العبد نجاتي وهو يصرخ بأعلى صوته 6 شاي و2 قهوة وصلحهم، مع استذكارنا لصوت موزع الطحين والتموين في مركز الإعاشات أبو درويش التلاوي وهو يهتف بصوته العالي منادياً: أحمد علي فودة سبعة أنفار، فاطمة عياش أرملة نفران وتشاهد صبحية العون وهي تقوم بجمع بطاقات الإعاشة لجلب الحليب حتى تقوم بصنع اللبن منه، هذه المرأة المناضلة رغم كبر سنها كانت تعيل عدداً كبيراً من أولادها.

ويستكمل الفولكلور فينا إيقاعاته في النشيد الصباحي لطلبة مدارس الوكالة (الأونروا) عائدون، عائدون، إننا لعائدون.....

من هذا الواقع بدأ شباب المخيم يبحثون عن حلم جديد ووسيلة جديدة تُبقي على قصص أهاليهم عن الوطن والأرض حية في ذاكرتهم؛ فكانت الحلقة الأولى الانتماء إلى الأحزاب والحركات السياسية التي ظهرت مع بداية الخمسينات ومن أبرز هذه الحركات (حركة القوميين العرب) التي حملت في شعارها شرارات التغيير.

لقد شكلت حركة القوميين العرب الجناح الثاني في الحركة القومية الفاعلة في المشرق العربي حضوراً وعملاً إلى جانب حزب البعث، كما شكلت الوعاء الحاضن الأكثر اتساعاً للفئات والمجموعات والأفراد من اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات ومواقع اللجوء في البلدان المضيفة نظراً لعدة اعتبارات يقف على رأسها قدرة الحركة على التغلغل في أوساط اللاجئين من أبناء فلسطين، لا سيما أن العنوان الفلسطيني هو العنوان الذي

---

(1) من أبيات خليل زقطان:
ولدي إذا كبرت خطاك وسرت في درب الرجال
وسألت عن إرث الجدود وهل هناك (راس مال)
ستسوق أمك قصة حمراء دامية الظلال
قد عشتها وأبي ووالده جواباً للسؤال
وشعارنا (أنا إن سقطت فخذ مكاني في النضال)

تشكلت الحركة من أجله أساساً، بالرغم من حالة التنافس الحاد للحركة مع حزب البعث العربي الاشتراكي عربياً، إلا أن حركة القوميين العرب كانت الأوسع انتشاراً فلسطينياً، حيث استطاعت أن تؤسس إطارها بين جمهور اللاجئين الفلسطينيين وتحديداً بين أبناء المخيمات في الشتات والضفة الغربية وقطاع غزة، ومع ذلك احتفظت بنفوذ واسع في الشارع العربي.

لقد تجمعت نذر الثورة والمقاومة والتغيير داخل كل مواقع الشتات الفلسطيني في قطاع غزة، ولبنان وسوريا والأردن، فضلاً عن القدس والضفة الغربية، وشكلت أوساط اللاجئين الفلسطينيين حالة استقطابية فاعلة في ظل المد القومي الذي اجتاح المنطقة سنوات الخمسينات والستينات، لا سيما مع اندلاع ثورة الجزائر الكبرى عام 1954 واكتساح الخطاب الناصري ميدان الفعل والعمل الجماهيري إثر اعتلاء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سدة الرئاسة في مصر.

لقد كانت حصة مخيم الكرامة من هذه الأحزاب حصة كبيرة، فكان هناك:

1- **حركة «الإخوان المسلمين»**: أحمد خالد، ومحمود شاهين.

2- **حركة «القوميين العرب»:** د. وديع حداد - د. توفيق رمضان - عمران الطرشة - ا. محمود الفجاوي - حسين طباخة - عمر الكلباني.

3- **حزب البعث:** أ. سليمان الكعكوري - درويش داوود - زكي نصار.

4- **الحزب الشيوعي:** محمد غيث - كامل المحسيري - يوسف عبيد - محمد صدقي - محمد الكواملة.

كان الكثير من قياديي حركة القوميين العرب بقيادة وديع حداد متواجدين بمخيم الكرامة بحكم المهمة أو الوظيفة، ونذكر منهم: د. توفيق رمضان، ومسؤول وكالة الأونروا «عمران الطرشة»، ا. محمود الفجاوي، وياسر الفجاوي، وعمر الكلباني، وحسين الأمريكاني. ونرى هنا أنه كان في المخيم قيادة فاعلة ومرموقة للقوميين العرب وكان المخيم

بأغلب سكانه يميل لهذه الحركة، وكنت أنا وجميع أبناء جيلي بنسبة 60% بتقديري ممن انضموا إلى صفوف حركة القوميين العرب.

وبدأ التناحر بين هذه الأحزاب وبدأت حالة من التنافس الجديدة تلوح بين حركة القومين العرب وجماعة الإخوان المسلمين، وكان التنافس شديد بين الحركتين، ولأن أكثر مدرسي وموظفي وكالة الغوث (الأونروا) كانوا من حركة القوميين العرب فلقد كان التنظيم يحظى بالأكثرية في المخيم، خاصة أن الشباب كان يحتك كثيراً بموظفي أو مُدرسي الوكالة سواء في توزيع المؤن، أو مجال التدريس. وكان من بين الحزبيين ا. سليمان الكعكوري صاحب الدور المميز في تعبئة الشباب الصاعد والأكثر اجتذابا لهم، وكان النصر من نصيب حركة القوميين العرب.

بدأت مسيرتنا كشبيبة في هذه الحركة وكان لي بين أقراني نشاط مشهود وحركية لم يحد منها صغر السن بل كان من عوامل اشتدادها وتميزها.

يشدنا الحنين نحن أبناء الكرامة إلى محيطنا في المزارع القريبة، ومنطقة الكرامة امتداد طبيعي لمنطقة الشونة الجنوبية، فكنّا نتسلل إلى مزارعها التي هي من أملاك عائلة العدوان، وهي عائلة متجذرة قديماً في هذه الأرض، عائلة كريمة استقبلت أفواجاً من اللاجئين عام 1948م وعملوا في المزارع وبعضهم استقر بها... واستقبلوا أيضاً نازحي عام 1967م حيث تتوسط الشونة الطريق إلى السلط - عمان.

وعندما انطلق العمل الفدائي تولى عدد من رجالاتها العناية بالفدائيين، وأذكر من هؤلاء الرجال المميزين المختار أبو عامر، كان رجلاً دمثاً... كريماً... مرحاً لا يترك في نفسك شعوراً بالتعب والقنوط، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويراقبها ويضعها في مقامها... هكذا كان أبو عامر الرجل القوي... وأذكر أننا كنا في الانتخابات النيابية ننتخب نائب العدوان عن المنطقة، وكان المرشح يؤمّن المواصلات... وتغطي ساحات الشوارع في الكرامة والشونة اليافطات الكبيرة، وكانت في حفل بهيج هذا الواقع خلق تحالفاً صامتاً بين عشيرة العدوان وسكان الكرامة.

«فتح» والاشتباك مع العدو الإسرائيلي:

جاء في أحد الأيام صديقي خالد وأحد أفراد تنظيم خليتنا في حركة القوميين الذي كان يعمل في سد زقلاب (وقاص) ليخبرنا أن هناك مجموعة فدائية تسمي نفسها (فتح الإسلام) تتسلل من سوريا لتقطع نهر الأردن غرباً متوجهة إلى الأرض المحتلة، وتقوم بتنفيذ عمليات عسكرية ضد العدو وتعود للضفة الشرقية. أثارنا الأمر كثيراً وحرك فينا الحلم والأمل والرغبة في العمل الإيجابي فطلبنا من سعيد فودة أحد زملائنا في حركة القوميين العرب الذي درس القانون في جامعة دمشق، أن يسافر إلى دمشق للسؤال والتعرف على تلك الجماعة وكان ذلك في منتصف العام 1965م.

ذهب الأخ سعيد فودة [1] إلى دمشق والتقى عدداً من قيادات «فتح»، ثم عاد ليخبرنا بفرح بأنهم تنظيم وطني يضم عدد كبير من الفلسطينيين الوطنيين ويسعى لتحرير فلسطين عبر الكفاح المسلح من خلال تنظيم كافة قطاعات الشعب وطلائعه في حرب شعبية طويلة الأمد.

علمنا حينها أن أبناء أبو سردانة وهم: أحمد صالح أبو سردانة الملقب (أحمد نفيسة)، ومحمد صالح أبو سردانة (أبو راشد) من بلدة الفالوجة وهم من أعز أصدقائي - كانوا منظمين بحركة «فتح» سراً، وكانت موكلة لهم مهمة دقيقة هي رصد الطريق الواصل من الضفة الشرقية للأردن» للعبور» إلى الضفة الغربية عبر نهر الأردن، وذلك عبر منطقة الكرامة، ولأن أبناء أبو سردانة كانوا صيادين يقومون بصيد الأسماك من نهر الأردن، فكانت مهمتهم ذات تغطية مناسبة وغير مكشوفة.

(1) سعيد موسى فودة: من الكوادر الأساسيين في تنظيم الكرامة، تفرغ في حركة «فتح» وعمل ضمن جهاز الرصد المركزي منذ تاسيسه عام 1968 حتى الانتقال إلى لبنان عام 1970، عمل كمسؤول للأمن في القطاع الغربي ووصل إلى رتبة مدير عام وما زال موجوداً في غزة حتى يومنا هذا. كان سعيد موسى فودة حساساً وعاطفياً يتأثر برواية الشيوخ والمعاقين، وبجهد شخصي بادر إلى تاسيس «جمعية بلسم للتأهيل المجتمعي» وما زال رئيساً للجمعية.

حينئذ حسمت أمري وقررت الانتماء إلى حركة « فتح» وكان ذلك في 1 - 1 - 1966 وهكذا مزجت القول بالفعل وتناغمت مع إرادة المبادرة والحركة التي كنت أسعى لها ولم تتوقف عند حدود الحنين والحلم، فالتقيت بأولاد أبو سردانة وتكاشفنا معاً بعد أن عرفت انتماءهم وشرحوا لي طبيعة مهمتهم.

منذ ذلك الوقت بدأوا يستعينون بي وبعدد من الإخوان، حيث تم تكليفنا بالتمهيد لإقامة قواعد في المنطقة التي تمتد من الشونة الجنوبية إلى الشونة الشمالية، انتقلنا جميعاً من حركة القوميين العرب إلى عضوية حركة «فتح» وكنا خمسة وستين عضواً، وبدأنا فعلياً في إنشاء قواعد لحركة فتح على طول هذا الخط الحساس، وساعدنا في مهمتنا أن الكثير منا كانت لهم علاقات جيدة مع أصحاب المزارع، ومع عمال مضخات (ماتورات) المياه، ومع سائقي الآليات العاملين في المشاريع الإنشائية في المنطقة مثل سد الكفرين وسد زقلاب.

ومن أولى مهامنا كان الذهاب إلى أصحاب المزارع المتواجدة على نهر الأردن ومحاولة تنظيمهم، وفعلاً نجحنا في تنظيم الكثير من أصحاب المزارع والبعض الآخر من العاملين فيها ومنها مزرعة عوض الغزاوي - مزرعة حسين جبريل - وهي من أوائل المزارع التي قمنا بتنظيمها، ومن ثم مزرعة محمد عبد الفتاح العتال وأولاده - مزرعة محمد أبو راس - مزرعة الجريري - مزرعة أبو مشرف - مزرعة محمد الناصر العامل فيها خميس فودة - مزرعة فايز طوطح العامل فيها صلاح فودة - مزرعة سنقرط - مزرعة الحاج يوسف - مزرعة قطان والعاملين فيها عقل حمودة وحسين غزالة - مزرعة مسعود وعطية العامل فيها أبو حسين الضيف. ومن ثم توجهنا إلى مدارس وكالة الغوث (الأونروا) وكانت مدرسة البنات وسط الكرامة حيث كانت مديرتها وجدان عويضة ومدرسة البنات مقابل مركز التموين وكانت مديرتها خالدية العلمي، ومدرسة ذكور الكرامة كان مديرها محمد النونة، من أجل تنظيم أكبر عدد من العاملين والطلاب في هذه المدارس.

كانت تربطني علاقة صداقة عائلية مع الدكتور توفيق رمضان الذي كان طبيباً في وكالة الغوث ويعتبر من قيادة «حركة القوميين العرب» البارزين، وفي بيته تعرّفت على الرائد فايز عبد المجيد الملقب «بالرائد خالد» وبدأت العمل معه مباشرة، ولا بد أن أذكر بأن الرائد خالد كان من خيرة القادة الذين تفتخر أن تعمل معهم، فقد كان قائداً متميزاً، مخلصاً، متفانياً. شهماً وعلى قدر عال من القدرة والأخلاق.

وبدأنا بتنظيم الشباب وإرسالهم للتدريب في **معسكر الهامة**[1] بسوريا، حيث أرسل من تنظيم جبل عمان حي المصاروة أكثر من 55 شاباً للتدريب في دمشق وبعد تدريبهم عادوا لمنطقة الكرامة.

واخذ تنظيمنا المسمى بـ «**تنظيم الكرامة**» وهو بالأصل من سكان بلدة الكرامة وسبق أن شرحت عن وضعه في تقديم كل ما تطلبه الحركة في منطقة الأغوار سواء من تركتورات لنقل المياه للقواعد أو لحفر الخنادق، وقام شبابنا بجهد كبير في حفر الخنادق وذلك لامتلاكنا بعض الآليات الثقيلة وغير الثقيلة ولمعرفتنا في المنطقة معرفة جيدة لأننا من سكانها، وكانت قاعدتنا وحلقاتنا عند دكان « خليل عليان « الملقب (أبو الشيخ) والمذكور كان من طلائع تنظيمنا «الكرامة» .

وبناء على طلب القائد أبو صبري حيث كان المسؤول عن إنزال الدوريات من الضفة الشرقية للأردن إلى الضفة الغربية لفلسطين بتأمين جميع حاجيات الدوريات من وصولهم وحمايتهم، طلب منا إحضار بعض الحبال لنقوم بربطها على ضفاف النهر وكان يسمى نهر الأردن بهذه المنطقة عند الفلاحين والمزارعين « الشريعة» حيث يكون الحبل واصل ما بين الضفة الشرقية للأردن إلى الضفة الغربية لفلسطين حتى يتمكن من

(1) تعتبر قاعدة الهامة العسكرية ومعها معسكر ميسلون القريب منها، نقطة الانطلاق التي تدفق منها فدائيو قوات العاصفة أثناء التمدد الفلسطيني نحو أغوار الأردن وجبهة جنوب لبنان ومن قاعدة الهامة انطلق مقاتلو معركة الكرامة في 21\3\1968م، وفي قاعدة الهامة العسكرية كان الأخ أبو عمار وفي مراحل الانطلاقة الأولى، يقضي معظم أوقاته إلى جانب القائد الأول للمعسكر الشهيد أبو علي إياد. وفي آخر عملية قصف جوي إسرائيلي «جنوني» تعرض لها معسكري الهامة وميسلون عام 1973 استشهد 30 عنصراً، على رأسهم قائد المعسكر انذاك الشهيد أبو الأدب، ومن شدة القصف الجوي تطايرت الأتربة والحجارة التي أغلقت طريق دمشق بيروت القديم لبعض الوقت.

يقومون بعبور النهر بالإمساك به - خاصة وأن النهر في طقس الشتاء كان يرتفع منسوبه وسرعة جريانه وكان يشكل خطراً كبيراً على دورياتنا - ومن هذه المنطقة انطلقت المجموعة التي نفذت عملية بيت فوريك الكبرى 7 - كانون الأول 1967م.

إن خطة فتح كانت عملية إعادة البناء في الداخل تتطلب وجوداً قوياً داعماً في الخارج، وقريباً من خطوط الاختراق، وذلك للنقل السريع للمقاتلين والمعدات، بدلا من إرسالهم من سوريا إلى الأردن بدون دعم حقيقي لنقلهم إلى الداخل، وكان من بعض المسؤولين لهذه القواعد:

منذر ارشيد [1] وهو يقطع نهر الأردن (*)

(1) منذر ارشيد: مواليد حيفا 1947، أقام في جنين حتى عام 1967، التحق بحركة «فتح» مجموعة «أبو إياد» في الكويت 1967، ساهم في إدارة معسكر الهامة عام 1967، ومعسكر حلمية الزيتونة في القاهرة عام 1967 وتخرج من عدة دورات عسكرية، ودورة الصين عام 1969، كان رجلاً واضح المواقف، وبعد دخول السلطة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة عمل نائباً لمحافظ بيت لحم.

(*) هذه عينة من بعض ما كانت تقوم به حركة «فتح» من بناء جسور حتى تستطيع الدوريات المرور عليه.

1 - الحاج إسماعيل - كانت قاعدته تجمع مَن حضر من الشام ولبنان للتدريب والتحضير للعبور للضفة الغربية.

2 - وليم نصار - كان يحضر ليرأس دورية للداخل.

3 - صلاح التعمري - كانت قاعدته تجميع أكبر عدد من الأشبال لتعبئتهم وتدريبهم، وكانت مهمته الأولى تعبوية أكثر منها عسكرية.

4 - قاعدة عبد الله الأتيري - كانت مهمة هذه القاعدة إرسال المقاتلين إلى الأرض المحتلة وخاصة لمنطقة نابلس.

وجاء أبو صبري بعد عودته على رأس دورية كانت عائدة من الداخل من بيت فوريك وكان تنظيمنا يقوم برصد ومتابعة جميع الوافدين من الضفة الغربية حين اتضح لنا أن الجيش الأردني قام ببناء جسرين عسكريين: جسر أسماه (المندسة)، والجسر الثاني أسماه (أم الشرط) وهما جسران عسكريان، وقد قام الجيش الأردني بتدميرهما أثناء حرب 1967م وبقيت بعض أجزاء من هذه الجسور، بحيث أن كثيراً من الأشخاص العاديين كانوا يقومون بالتهريب عبر هذه الجسور - فكنا نرصد هذه الجسور، وذلك بناء على طلب الأخ أبو صبري، حيث أن هناك الكثير من الكوادر قاموا بالعبور للضفة الغربية عبر هذه الجسور، ومع تطور الوجود الفدائي في منطقة الأغوار بدأ الناس يحسون بأن احتمالات القضاء على الفدائيين وقواعدهم الناشئة في الأغوار قد تراجعت وانحسرت واعتبروا هذه التطورات انتصاراً رمزياً لصمود الفدائيين، ولهذا بدأت حركة تطور واندفاع نحو الانضمام للثورة وتزايد عدد المتطوعين يوما بعد يوم كما جاء الأخ أبو عمار وأبو صبري بزوارق حديثة من لبنان حيث بدأت تنقل الدوريات بشكل مستمر.

وأذكر في مرة قام الأخ أبو صبري بإحضار زورق صغير وكان يتسع ما بين 2 إلى 3 أشخاص، وكان أول زورق تقوم حركة « فتح» بتجربة نقل الدوريات عبره، وأذكر أن بعض الكوادر الذين عبروا من خلال منطقة الكرامة منهم وليم نصار والأخ الشهيد (حمدي) وكان ذلك في الثلاثين من كانون الأول سنة 1967م.

رجال الكرامة :

في ذاكرتنا رجال، قادة، مشاعل ورموز على طريق الحرية، صناع أوقات الفخر والاعتزاز لأمتنا، قدموا أرواحهم قبل أي شيء، وبإيمان عميق أن النصر آت اجتمعوا طلاباً، والتقوا مهندسين وأطباء ومعلمين وقضاة وتجار... تفرقوا في أركان الأرض، واجتمعوا ثانية لينيروا الطريق الواصل إلى قلب الوطن... تركوا مباهج الحياة، وأنانية الامتلاك، ورفاهية الأحلام وقرروا استعادة حقهم في وطنهم الذي شردوا منه، وعاشوا مرارة اللجوء والتشرد واليتم، واضطهاد القريب قبل البعيد، أرادوا إعادة الحلم الكبير إلى الواقع... وسقط الشهداء منهم عشرات... مئات... آلاف... ولم يبق شبر من أرض فلسطين وما يحيطها إلا وارتوى بدمهم، لا يمكن تعدادهم... ولا تصوير أحلامهم... وقصص استشهادهم... وآمال ذويهم. مشاعل لا تكفي كل الكتب من تدوينها، وبقي القليل من هؤلاء الرجال القادة بعدد أصابع اليد... وما زالوا على الطريق... ونذكر هنا قادة معركة الكرامة على سبيل المثال لا الحصر ضمن بوتقة الذاكرة، هؤلاء الذين أعدوا القواعد الارتكازية وجهزوا الإمكانات ولو المتواضعة للمقاتلين... للفدائيين... الذين عاشوا مع المقاتلين في خيامهم وتحت أشجار الموز والزيتون في المغاور والكهوف... على امتداد غور الأردن بضفتيه الشرقية والغربية... وهؤلاء هم: المجاهد ياسر عرفات... الذي عرف بعد معركة الكرامة (بأبي عمار)، وصلاح خلف (أبو إياد)، وممدوح صيدم (أبو صبري)، وفاروق القدومي (أبو اللطف)، وعبد الفتاح الحمود (أبو صلاح) وخليل الوزير (أبو جهاد)[1].

(1) شهداء اللجنة المركزية لحركة «فتح» الرئيس المجاهد ياسر عرفات، المهندس عبد الفتاح حمود، أبو علي إياد، (وليد أحمد نمر نصر الحسن)، ممدوح صيدم (أبو صبري)، محمد يوسف النجار (أبو يوسف)، كمال عدوان، ماجد أبو شرار، اللواء سعد صايل سلمان (أبو الوليد)، نمر صالح (أبو صالح)، خليل إبراهيم الوزير (أبو جهاد)، هايل عبد الحميد عيسى (أبو الهول) صلاح مصباح خلف (أبو إياد) صبحي عبد الحميد أبو كرش (أبو المنذر)، خالد الحسن (أبو السعيد) الشهيد فيصل عبد القادر الحسيني.(أبو العبد)، وبقي على قيد الحياة من القيادة المؤسسة كل من: محمود عباس (أبو مازن) فاروق القدومي (أبو اللطف)، محمد راتب غنيم (أبو ماهر)، سليم الزعنون (أبو الأديب).

كانوا يتوزعون الأدوار، ولكل منهم مهمته... وعلى صلة بكل فدائي... يرسمون الخطط والخرائط... ويناقشون المهمات الفدائية والإمكانيات والطرق... بل وكانوا ينقلون من مواقعهم إلى مناطق الأهدا ف... ويدرسون نتائج المعارك .. عندما حضر الأخ أبو عمار إلى الكرامة... اتخذ من منزل محمد تيم - من بيت محسير - مقراً له، حيث كان يتواجد به الرائد خالد، وكان المنزل عبارة عن غرفة عمليات، وفيها تجتمع القيادة المكونة من الإخوة أبو إياد وأبو اللطف، وأيضا الأخ أبو صبري، بحكم أنه كان قائد لمنطقة الأغوار، ولا تذكر معركة الكرامة إلا ويُذكر معها القائد الشهيد ممدوح صيدم (أبو صبري)[1] الذي تميز بعطائه وجلده وقدرته على التحمل، كان يعتني بكل خلية في الأرض المحتلة، وبعناصر كل قاعدة على الضفة الشرقية، يشرف على إرسال المجموعات التي تدخل إلى الأرض المحتلة، بل ويشارك في إيصال بعضها... وكان له دور كبير في عملية بيت فوريك. وعند بداية معركة الكرامة كان الشهيد قد قام بتوزيع المجموعات وإعطاء الأوامر لها مع الأخ أبو عمار.

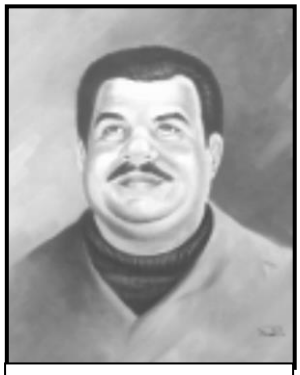

الشهيد القائد ممدوح صيدم

(1) الشهيد القائد ممدوح صيدم (أبو صبري) (1940 – 1971)قائد فلسطيني وعضو في اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»، وعضو القيادة العامة لقوات العاصفة واللجنة العسكرية للثورة الفلسطينية، وكنيته «أبو صبري». ولد في قرية عاقر قضاء الرملة، وفيها أتم دراسته الابتدائية ، ثم حصل عل إجازة في الجغرافيا من كلية الآداب في جامعة الاسكندرية سنة 1963م. التحق بحركة «فتح» قبل انطلاقتها سنة 1965، وانتقل إلى الجزائر فور تخرجه حيث عمل مدرساً، ثم ترأس البعثة الثقافية الفلسطينية في مكتب فلسطين في العاصمة الجزائرية، والتحق بكلية شرشال العسكرية الجزائرية، وأتم تدريبه العسكري بها، ثم دراسته العسكرية العليا في كلية نانكين في جمهورية الصين الشعبية. عاد إلى الأرض العربية وتفرغ للعمل في حركة «فتح» وفي حرب 1967م اسندت إليه قيادة منطقة جنين فعبر حدود الوطن المحتل وشارك في معارك كثيرة مع العدو الصهيوني، من أشهرها معركة بيت فوريك (يوم 1967/12/7م) تكبد فيها العدو خسائر كبرى، كما اشترك في معركة الكرامة 1968/3/21م . اختير نائباً للقائد العام لقوات العاصفة لشؤون العمليات. أوائل سنة 1971، أصيب بمرض عضال ،وتوفي في 1971/7/24، ودفن جثمانه في مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك في دمشق.

وبحكم أن الأخ أبو عمار لم يكن يحب المكوث في مكان واحد أخذ من منزل يوسف عبيد "وفا" قيادة تبادلية له، وفي كثير من الأحيان كان ينام في هذا الموقع. كان الأخ أبو عمار حريصاً على زيارة كل القواعد التابعة لحركة فتح، والاجتماع مع قادتها ومقاتليها، ويرافقه في هذه الزيارات الإخوة أبو إياد، وأبو اللطف، وأبو صبري. كان يخاطب المقاتلين قائلا:"إن حركتكم وضعت خطة تقوم على أساس البدائل المتوقعة في لحظة الصدام... ويتساءل: هل ستكون «فتح» وحدها في المعركة... أم ستشترك معها قوى أخرى... وكما ترون يا أخوتي إن الصف الأول لقيادتكم رفضوا المغادرة... وكذلك جميع المسؤولين العسكريين... إن العدو يهدف إلى تدمير ثورتكم والقضاء نهائياً على شعلة الكفاح في شعبكم... ولهذا قررنا أنا والأخ أبو إياد وأبو صبري وأبو اللطف أن نستشهد سوياً أو ننتصر سويا... وبعد شرح الموقف... أخذ يحثهم على القتال والمواجهة ومقاومة أي عدوان تتعرض له المنطقة»... وكانت له مقولة شهيرة: "ستدخل الكرامة التاريخ... وستكون الكرامة ستلنغراد الثانية... وهي بدر الأولى لحركة فتح... وإنني أرى النصر في عيونكم"

وكانت القيادة تتوقع هجوماً عسكرياً عنيفاً وشيكاً، وخاصة بعد المعلومات التي أوردها رئيس الاستخبارات العسكرية الأردنية، ورئيس هيئة الأركان، وكذلك المعلومات الواردة من الحشودات الإسرائيلية التي كان ينقلها القادمون من الضفة الغربية... بالإضافة إلى الإعلانات الإسرائيلية المتواصلة...

الشهيد القائد ابو علي اياد

وكانت الدوريات تنقل الأسلحة إلى الحدود السورية - الأردنية، حيث يتم تجميعها داخل الحدود الأردنية في موقع اسمه (الحمرا)، وكان الأخ إبراهيم صيدم (أبو الخل) يستقبل الدوريات الوافدة من قبل الأخ خليل الوزير (أبو جهاد) وأبو **علي إياد**[1]، ويقوم بالاتصال والتنسيق مع الأخ أبو صبري بمساعدة من الإخوة في الجيش العراقي الذين كانوا متواجدين بالمنطقة، وكذلك المنزل الذي يقيم فيه إبراهيم صيدم مع ضابط من الجيش العراقي كان مسؤولاً عن المدفعية في المنطقة وكانت القوات العراقية **(قوات صلاح الدين)** تقوم بمساعدتنا في التحرك دون علم قيادتها حيث كانت تقوم بنقل الدوريات من الحمرا إلى الكرامة وحتى إلى النهر.

كان الأخوة كوادر وعناصر حركة «فتح» المتواجدين في الكرامة يفتقرون إلى الخبرة العسكرية الجيدة، باستثناء بعض قيادات المجموعات التي اكتسبت خبرة عسكرية من الضباط الذين كانوا في بعض الجيوش

(1) الشهيد القائد أبو علي إياد وليد نمر (1934 – 1971) قائد فلسطيني، وعضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» وعضو القيادة العامة لقوات العاصفة. ولد في مدينة قلقيلية وأنهى فيها دراسته الابتدائية والثانوية، فحصل على شهادة المترك سنة 1953 والتحق سنة 1954م بدورة تدريبية للمعلمين في بعقوبة بالعراق. انتقل الأخ القائد أبو علي إياد إلى المملكة العربية السعودية، فعمل مدرساً ثماني سنوات (1954 – 1962) وانتقل بعد ذلك إلى الجزائر عقب استقلالها فأمضى ثلاث سنوات مساهماً في عملية التعريب فيها. التحق بحركة «فتح» قبل انطلاقتها، وفي السنة التالية انتقل إلى الضفة الغربية، فأوكلت إليه مسؤولية الإعداد للعمل العسكري في الأرض الفلسطينية المحتلة سنة 1948م قاد عدة عمليات عسكرية ضد العدو منها عملية مستعمرة (بيت يوسف في 1966/4/25) والهجمات على مستعمرات (المنارة - وهونين وكفر جلعادي). انتقل بعد ذلك إلى سوريا وقام بتدريب عناصر قوات العاصفة فيها، وقد أصيب خلال التدريبات في إحدى عينيه، وعقب عدوان حزيران 1967م، انتقل إلى الأردن فأوكلت إليه قيادة قوات الثورة في منطقة عجلون، وقد وجه مجموعاته عبر نهر الأردن، لتقوم بعمليات ناجحة ضد العدو وقواته ومستعمراته، وعقب أحداث أيلول سنة 1970م في الأردن انتقل بقوات الثورة الفلسطينية إلى منطقة جرش وعجلون. وقد استشهد يوم 1971/7/27م فخسرت الثورة باستشهاده مناضلاً صلباً وقائداً كبيراً وهو المعروف بقوله حينما قرر الشهادة قال في برقيته الشهيرة «قررنا أن نموت واقفين ولن نركع».

العربية، والتحقوا بالحركة... ومن هؤلاء الأخ فايز حمدان الملقب باسم **(الرائد خالد عبد المجيد)**[1].

الرائد خالد عبد المجيد

(1) جبهة النضال الشعبي تأسست في القدس اب اغسطس 1967م على يد عدد من المناضلين الفلسطينيين من أصحاب الجذور القومية في حزب البعث وحركة القوميين العرب والمستقلين، نذكر منهم بعض القيادات: الدكتور صبحي غوشة - بهجت أبو غربية - الرائد خالد عبد المجيد (فايز حمدان) كمال النمري الدكتور سمير غوشة (محمد حمدان) أبو عدوي، أبو جمال عسكر. يسجل لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني الدور البارز الذي لعبه مسؤولها العسكري العميد الركن أبو جمال عسكر عضو المجلس العسكري الفلسطيني الأعلى في توفير أشكال من الدعم اللوجيستي لوحدة المغاوير المصرية التي نفذت عملية نسف السفينة الإسرائيلية ايلات عام 1968م عندما كان قائداً لقاعدة فدائية لجبهة النضال بين العقبة وجنوب البحر الميت، أما الشهيد فايز محمود حمدان (الرائد خالد) فقد ولد سنة 1938م في صور باهر قضاء القدس وعمل الشهيد في الجيش الأردني وسرح برتبة نقيب وانتدب ممثلاً لجبهة النضال الشعبي في الضفة الغربية منطقة القدس لبناء قواعد ثورية لهم، وفي القدس تعرف على الأخ المناضل عبد الحميد القدسي والمذكور كان مسؤول التنظيم لحركة فتح لمنطقة القدس وحينما تم اعتقال الأخ عبد الحميد القدسي فر الرائد خالد هاربا من الضفة والتحق بمعسكر الهامة وانضم لحركة «فتح»، وقام الأخ أبو عمار بترفيعه لرتبة رائد وانتدب من القائد أبو عمار ليكون مسؤولاً عن منطقة الأغوار ويتبع عسكرياً للشهيد أبو صبري، وفعلاً كان له دور مميز في بناء هذه القواعد وقبل معركة الكرامة انتدب من قبل مركزية فتح، حيث ذهب على رأس وفد لمقابلة محمد حسنين هيكل من أجل ترتيب لقاء للأخ أبو عمار مع المرحوم عبد الناصر وأثناء فترة سفره حصلت معركة الكرامة وعاد بعد المعركة مباشرة وثم نقل مقر قيادته من الكرامة إلى مرتفعات السلط وبما انه كان مطلوب لإسرائيل أخذت تبحث عنه في كل مكان إلى أن استطاعت طائراتها قصف مقر قيادته. وسقط شهيداً بتاريخ 4 - 8 - 1968م واستشهد معه المهندس عمر علي محمد السرطاوي (أبو علي) شقيق عصام السرطاوي في تلك الغارة.

وكان سر نجاح أبو عمار الحقيقي انه يمتلك موهبة القيادة ويتميز بشخصية متعددة القدرات والطاقات، أتاحت له أن يصبح عن جدارة رمز شعب ومقاومة، بعقله الثوري يشرف على الأعمال العسكرية والانتفاضة، وبعقله المخابراتي يملك المعلومات ويدبر العمليات الأمنية والسرية وبعقله الإعلامي يحرك الرأي العام الفلسطيني والعربي والعالمي، وبعقله السياسي، وهو الأهم والأشمل، يعمل من أجل إقامة دولة فلسطينية على أرض فلسطين، يكون هو رئيساً وتكون القدس عاصمتها **امسك بالقيادة لأنه قاتل ومن يقاتل يَقُدّ**. يتصل بمقاتليه ويعرف مشكلاتهم الشخصية ويتواجد في كل معركة[1].

في هذا الأثناء تصاعدت العمليات العسكرية في الأراضي المحتلة، وكانت على شكل زرع الألغام، والهجمات بالقنابل اليدوية، وطلقات البازوكا وقذائف صاروخية، الأمر الذي رفع معنويات الناس... لكن في نفس الوقت دفع الإسرائيليين لممارسة أقسى أنواع القمع، وقاموا بموجات اعتقالات شملت كل المناطق وعدداً كبيراً من مناضلينا، وعمل الإسرائيليون على زرع بعض العملاء والمخبرين في المدن والقرى... وتم إرسال بعضهم إلى مناطق الأغوار لمراقبة حركتنا وقوتنا وبناء على ذلك أنشئت دائرة مكافحة التجسس التي تولى قيادتها فاروق القدومي (أبو اللطف) قبل أن تسند إلى صلاح خلف (أبو إياد) في نهاية عام 1967م بتشكيل جهاز الأمن والذي اصبح يسمى جهاز الرصد المركزي حيث استبدل هذا الجهاز «بجهاز الأمن العسكري» أول من شكل جهاز الأمن العسكري الأخ **زكريا عبد الرحيم**[2].

(1) كتاب المجاهد ياسر عرفات سيد فلسطين والشهيد الخالد (اعداد. أحمد محمد الرفاعي صفحة 11).

(2) المنظمة الفلسطينية الثورية اسسها في لبنان عام 1964 زكريا عبد الرحيم (ابو يحيى وانضمت إلى فتح مع الاعلان عن انطلاق قوات العاصفة) اعتقل زكريا عبد الرحيم مع المجاهد ياسر عرفات في دمشق، وكان زكريا عبد الرحيم أول من شكل جهاز أمن في حركة فتح وتولى قيادته وسمي بالأمن العسكري وكان من خيرة القادة والمناضلين بصفوف هذه الحركة، عُين سفيراً لمنظمة التحرير الفلسطينية في قبرص ومن ثم أصبح مسؤولاً عن ملف اللاجئين بعد وفاة توفيق الصفدي وبعد ذلك عُين سفيراً في الصين وأصبح مديراً عاما في الدائرة السياسية ،وهو الآن عضو مجلس ثوري.

كان معظم شباب تنظيم الكرامة مسلحين على نفقتهم الخاصة، وحين حضر الأخ صلاح التعمري إلى الكرامة تم التعرف عليه. وكان له دوراً مميزاً في الكرامة من ناحية التنظيم والتوعية الفكرية حيث كان محبوباً لدى الشباب، وقبل المعركة جاءت قوات من الأمن العام الأردني وكانت تريد أن تضغط على الفدائيين بالخروج من بلدة الكرامة حتى لا تقصف إسرائيل البلدة ويسقط عدد من المدنيين... ألا أن صلاح التعمري ترجل يومها إلى (جامع زرنوقه) وأخذ يخطب مخاطباً الجيش الأردني وقام عدد من السكان بالالتفاف حول الجامع إلى ان تم تسوية الوضع وقامت قوات الأمن بالانسحاب طبعا بالمحبة... واصبحنا منذ ذلك التاريخ نحن تنظيم الكرامة على علاقة حميمة مع صلاح التعمري، وكان أول من أنشا ودرَّب وأسس مؤسسة الأشبال، وأذكر انه قبل المعركة بأيام كانوا قد حضروا للاحتفال بتخريج دورة الأشبال، وأثناء المعركة كان الأشبال متواجدين في الكرامة حيث قام صلاح بإخفائهم في ملجأ بالقرب من منزل أم يوسف.....في ليلة 21\3\1968م وكنا نقوم بالتحضير في هذه الليلة على قدم وساق لمواجهة قوات العدو الإسرائيلي، حيث كانت جميع وسائل الإعلام تقول إن العملية سوف تقوم بين الليلة وضحاها.

دورة الأشبال

كان لنا اجتماع نحن تنظيم الكرامة وكانت موجودة معنا المرحومة «أم يوسف» كانت تلقب بـ «أم الفدائيين «، حيث طلبت منا بأن نقوم بإحضار بعض الإسعافات الأولية لأنها لم تكن متوفرة بكثرة في عيادة وكالة الغوث بالكرامة لم تكن لنا عيادات خاصة إلا بيت أم يوسف وكان يتواجد في كثير من الأحيان الدكتور عبد الله حجازي والأخت رقية عبد الرحيم[1]، بعد أن قامت إسرائيل قبل أسبوع بقصف الكرامة وحرقت جميع مستودعات الوكالة فطلبت منا بأن نرسل أحد كوادرنا إلى عمان لإحضار بعض مستلزمات الإسعاف... وقررنا نحن تنظيم الكرامة بعد الاجتماع أن نقوم بإحضار كمبريصة لحفر الإسفلت لنقوم بوضع الألغام فيها وفعلاً تقرر أن أذهب أنا وصلاح الشاويش، وتحركت فعلاً في نفس ليلة 1968/3/20 وذهبت إلى الحاجة «تودد» والتي كانت تسكن في عمان «شارع وادي السير بالقرب من مطبعة الحرية» وللأسف لم نجد الحاجة في المنزل وذهبت إلى حي المصاروة وهنا انضم إليَّ الشهيد فائق علي سالم، حيث قمت بالاتصال بـ «راسم الغول» الذي كان منظماً معنا وذهبنا إلى ورشة كانت تابعة لـ «سعيد الناطور» وأحضرنا الكمبريصة.

كان هذا في صباح يوم 1968/3/21م حيث بدأت المعركة 5.5 صباحاً وفي الساعة 9.5 صباحاً وصلنا من عمان إلى وادي شعيب حيث كان هناك حاجز للجيش الأردني يمنع مرور السيارات لمنطقة الكرامة أوقفنا سيارتنا البيكب مع الكمبريصة بجانب المشتل في وادي شعيب وأخذنا نتسلق الواد متجهين إلى جبال عيرة ويرقة، ولأننا أبناء المنطقة كنا نعرف الطريق جيداً وقد أطلقت علينا النار أكثر من بندقية صديق لأنه كان هناك بعض الإنزالات الإسرائيلية، حيث كان بعض الإسرائيليين يرتدي لباس الجيش والبعض الآخر يرتدي لباس الفدائيين حتى وصلنا مرتفعات عيرة ويرقة كانت الساعة 1.30 ظهراً، بهذه الساعة أخذ القصف يخف وأخذنا نحن

(1) رقية عبد الرحيم. كانت تلازم أم يوسف في تقديم الخدمات الطبية للإخوة المقاتلين وهي ابنة الشهيد القائد عبد الرحيم محمود الذي استشهد في معركة الشجرة والقائل:

سأحمل روحي على راحتي وأُلقي بها في مهاوي الردى
فأما حياة تسرُّ الصديق وإما ممات يُغيظ العدى

الأربعة التمركز في المرتفعات للاستعداد للتصدي لأي إنزال... وبقينا مع الكثير من المجموعات وكانت مشتركة من جميع المنظمات...

آثار دمار عيادة الطبيب في المخيم

وفي الساعة 4.30 مساءً أخذ القصف يتوقف وبدأ الإسرائيليون في لملمة قتلاهم وجرحاهم استعداداً للانسحاب، وبدأت جميع العناصر المتواجدة في تلك المرتفعات بالنزول إلى الكرامة حتى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الخميس...

فعلا بدأ جيش العدو بالانسحاب وبدأنا نحن في تفقد المخيم وهنا اكتملت صورة المعركة من هدم جميع بيوت المخيم وسقوط عدد من الشهداء، وأثناء تفقدنا برفقة القيادة وعلى رأسهم الأخ أبو عمار قمنا بتجميع جميع الشهداء في منطقة وسط الكرامة «مقهى أبو عجوة» وأثناء تفقدنا وتجميع الشهداء وجدنا بعض سكان المخيم بين الشهداء ومنهم أولاد

أبو جرادة وبنت أخرى من بلدة البرير وأخرى جريحة من بيت أبو جابر دودح من بيت دجن حيث نقلتها طائرة الهيلوكوبتر للعلاج...

يقول اثنان من كوادرنا (تنظيم الكرامة) سعيد الناطور وحسين عبد الفتاح صالح (حسين صبحية) بعد انتهاء المعركة تقابلنا مع الأخ نصر يوسف (نصر الجولان) عند منطقة العدسية واقترحنا عليه أن يذهب معنا إلى مخيم الحسين لنرتاح تلك الليلة في بيتنا - فوافق الأخ نصر يوسف وذهب معنا وما أن وصلنا المنزل حتى طلب مني أن أحضر له صديقه زهير الصالحي، وهذا الرجل صديق حميم للأخ نصر، وفعلاً تحركنا وأحضرنا الرجل فطلب منه الأخ نصر أن يقوم بإحضار سيارتين محملتين بالتموين وبعض البطانيات، وفعلاً قام الرجل بإحضار السيارتين والمحملتين بجميع المواد التموينية، وطلب منا الأخ نصر أن نذهب بها إلى مخيم الكرامة لتزويد مقاتلينا بها، وفعلاً تحركت أنا وسعيد الناطور الساعة الخامسة توجهنا على طريق السلط وادي شعيب حيث وصلنا الساعة السابعة صباحاً 1968/3/22 برفقة الأخ نصر، وعندما سألنا عن الأخ أبو عمار أفادونا بأنه في نقطة التجمع وذهبنا فوجدناه جالساً على الأرض وبجانبه الأخ فراس أبو الرب وكانت نقطة التجمع هي مقهى ابطيط في وسط الكرامة رددنا عليهم السلام وأبلغناه عن سيارتي التموين التي جئنا بهما من عمان فطلب منا ان نقوم بتفريغهم في نقطة التجمع وكان أول من دخل الكرامة بعد المعركة المناضل **يحيى فودة**[1] وكان الآخر قد أتى بسيارتين محملتين بالمواد التموينية إلى الكرامة...

أمر الأخ أبو عمار بتجميع الشهداء في مقهى كان يسمى (قهوة أبو عجوة) وكانت في وسط البلدة وقد قمنا نحن تنظيم الكرامة بعمل حاجز على كل مدخل من الشارع خوفاً من تدفق الأشخاص حيث كان يوجد بعض الألغام التي لم تنفجر، وقد أمر الأخ أبو عمار ان يتم نقل عشرة شهداء إلى عمان ليتم تشيعهم أما باقي الشهداء فدفنوا في مقبرة جماعية

(1) يقول يحيى فودة حينما ذهبنا ثاني يوم المعركة لأخذ بعض المواد التموينية من المحلات لإرسالها إلى الكرامة - كنا ندخل على البقالة نطلب بعض المواد من صاحب البقالة كان يقول لنا احمل كل هذا الرف دون تردد كان عطاء شعبنا بعد المعركة صورة لا توصف.

وفعلاً تم ذلك حتى الآن يعرف هناك بصرح الشهيد لهذه المقبرة الجماعية «**الذي نأمل أن تتم العناية به**». وفي اليوم التالي تم تشييع عشرة شهداء في عمان خرجت جنازة كبيرة لهؤلاء الشهداء وقد انطلقت الجنازة من الجامع الحسيني الكبير وسط مدينة عمان إلى مقبرة موجودة بالقرب من مخيم الوحدات والتي عرفت فيما بعد بمقبرة الشهداء..... وأثناء التشييع فوجئ الناس بحضور الأخ أبو عمار إلى المقبرة كما شارك في التشييع جميع القادة الفلسطينيين وبعض الرسميين من الجانب الأردني. وطلب الأخ أبو عمار من الأخت تودد عبد الهادي ان تلقي كلمة التأبين، وقام السيد كامل عريقات رئيس مجلس الأعيان بإلقاء كلمة التأبين عن الجانب الأردني... وبعد مراسم التشييع ذهب الأخ أبو عمار إلى السلط حيث كانت نقطة التجمع وكنا نحن برفقته ومنها توجه مرة أخرى إلى الكرامة لتفقد ما تبقى من المقاتلين.

جنازة شهداء الكرامة

خريطة مخيم الكرامة المناطق السكانية والمرافق لعام 1968

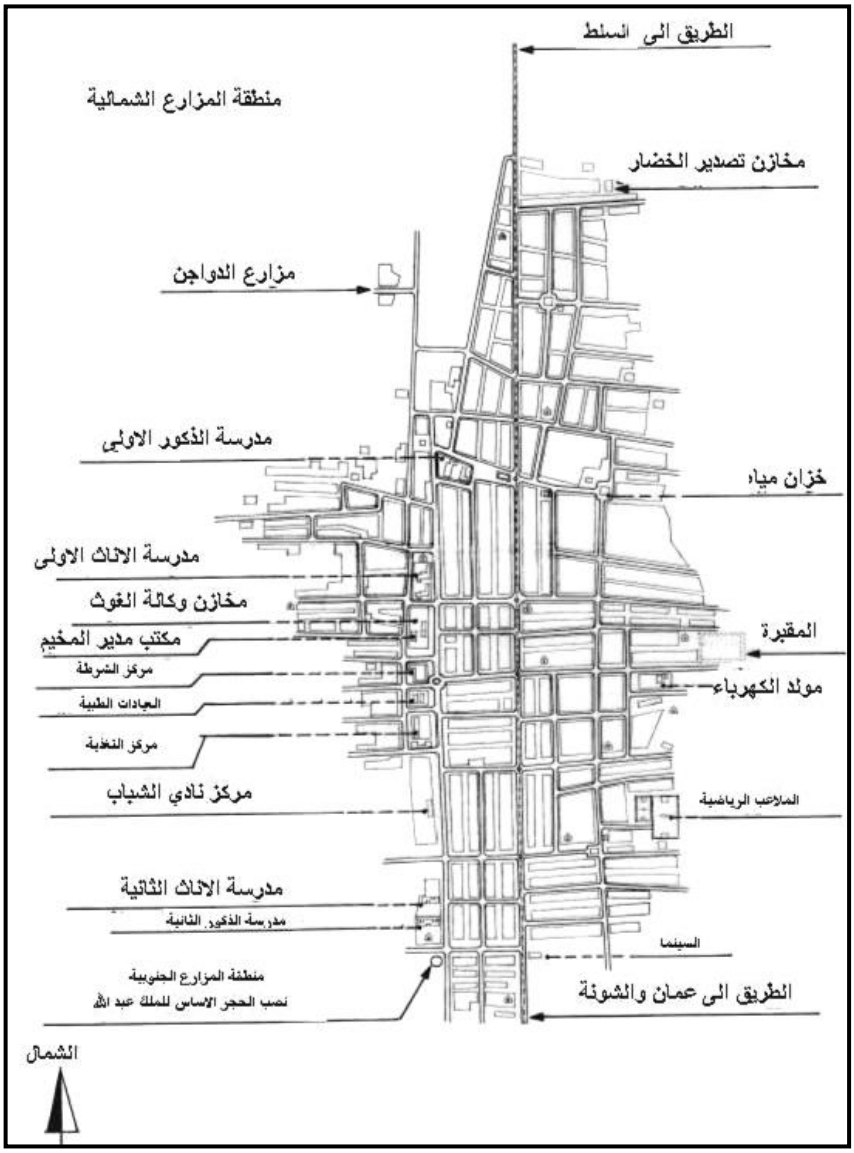

الكرامة

أ ـ الموقع الجغرافي من الناحية التاريخية :

عندما نراجع صفحات التاريخ لفلسطين وغور الأردن والموقع الذي حدثت فيه معركة الكرامة نرى أن هذه المنطقة هي البوابة إلى فلسطين، ومَن يطلع على حقائق التاريخ في هذه المنطقة، ومن يريد استئناف مسيرته النضالية والجهادية وخاصة لجيلنا الذي يأتي من بعدنا، يحدثنا تاريخ هذه المواقع «الكرامة» وغور الأردن (بوابة فلسطين) أنها كانت حافلة بالمعارك والأحداث التاريخية الهامة والفاصلة ضمن مسار الصراع الذي شهدته المنطقة بين الأمم الغازية وشعوب هذه المنطقة وما معارك العرب المسلمين وجيوش الروم والصليبيين في أجنادين واليرموك وحطين وفحل ومؤتة وعين جالوت التي استغرقت هذه الحروب مئات السنين، وما شهدته المنطقة في بداية القرن العشرين من محاولات الإنجليز والفرنسيين لتقسيمها بينهم على شكل مناطق نفوذ حسب اتفاقية (سايكس - بيكو) وإعطاء اليهود حقاً في فلسطين، كما أشار ذلك (وعد بلفور) وما شهدته المنطقة من أحداث ومعارك كان عنوانها معركة الكرامة 21 آذار 1968م بين الفدائيين والإسرائيليين. وعندما اختارت قيادة فتح قواعد الارتكاز للانطلاق إلى داخل فلسطين من غور الأردن والكرامة استعادت تاريخ هذه المنطقة وأنها اختارت البوابات إلى فلسطين والقدس من الكرامة.

ب ـ الناحية الدينية:

إن أرض الكرامة تمثل أرض الرباط في سبيل الله، حيث أن إبراهيم عليه السلام هاجر إلى فلسطين يحمل إليها رسالة الله ماراً من منطقة الكرامة عندما دخل إلى فلسطين قادماً من العراق ثم توالى الأنبياء والرسل إلى أرض فلسطين وكانت بوابة الكرامة هي المدخل إلى فلسطين ثم انطلقت كتائب الإسلام من المدينة المنورة لنشر الإسلام في فلسطين عابرة في ذلك موقع الكرامة في غور الأردن.

جعل الله فلسطين بحكمته مفتاح الشرق فما من أمة حاولت ان تغزو الشرق إلا مرت من غور الأردن ونهر الأردن ومنطقة الكرامة (فعن أبي إمامة الباهلي قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم مِنْ لَأْوَاءَ حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قالوا يا رسول الله: وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»). ان هذه المنطقة منطقة الكرامة وغور الأردن هي أكناف بيت المقدس وليس أدل على ذلك من تواجد قبور وأضرحة الصحابة في غور الأردن القريبة من منطقة الكرامة (كأبي عبيده عامر بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل وضرار بن الأزور) وغيرهم من الصحابة.

ج- ـ الناحية الاستراتيجية والعسكرية:

إن كتب التاريخ والجغرافيا تؤكد أن هذه المنطقة تشكل امتداداً لفلسطين، نقطة المركز في قلب الوطن العربي وفيها تلتقي خطوط مواصلاته إلى الشرق، وان منطقة غور الأردن كانت البوابة التي تعبر منها الجيوش إلى فلسطين سواء كانت الجيوش قادمة من الشرق أو الغرب أو من الشمال أو الجنوب، فالجيوش الرومانية واليونانية والصليبية القادمة من أوروبا عبرت أيضاً من هذه المنطقة، وكذلك جيوش الفتح الإسلامي التي جاءت من المدينة المنورة عبرت إلى فلسطين من غور الأردن. كذلك البطل صلاح الدين فلم يدخل فلسطين من مصر بل دخلها من منطقة الشونة الشمالية ثم عبر نهر الأردن إلى حيث موقع حطين في فلسطين. والسلطان «قطز» لم يواجه جيوش المغول في مصر بل جاء إلى منطقة غور الأردن وقاتل المغول في عين جالوت.

إن هذه الشواهد التاريخية والاستراتيجية العسكرية هي أكبر دليل على أن منطقة غور الأردن ومرتفعاته الشرقية والغربية في فلسطين التي تشكل أكناف بيت المقدس هي أرض الرباط في سبيل الله، وأن القائد الفلسطيني ياسر عرفات مع قيادة «فتح» جاؤوا إلى الكرامة وغور الأردن لإقامة قواعدهم المؤقتة للانطلاق إلى فلسطين كانت الكرامة وغيرها، بل طول منطقة غور الأردن هي نقاط ارتكاز للعبور إلى فلسطين.

د ـ دراسة طوبغرافية لمسرح العمليات:

أولاً: نهر الأردن

يشكل نهر الأردن فاصلاً جغرافياً بين الضفة الغربية والأردن، وهو الجزء الممتد من بحيرة طبريا وحتى البحر الميت، ويبلغ طوله 105كم، وهذه المنطقة تنخفض عن سطح البحر، وتتخللها الأودية الضيقة ولا يزيد عمق هذه الأودية المحاذية للنهر عن 50 - 100م.

تتدفق مياه نهر الأردن في مجراه الذي يعبر غور الأردن من شماله إلى جنوبه وبسبب تعرجاته، فان طوله يبلغ ثلاثة أضعاف الخط المستقيم الواقع بين بحيرة طبريا والبحر الميت، والذي يبلغ طوله المتعرج حوالي 330كم.

إن اجتياز نهر الأردن غير سهل، وبصعوبة يمكن اجتيازه في ذلك الحين وذلك للأسباب الآتية:

أ - عرض نهر الأردن يتراوح بين 25 - 35 متر، وأقصى عمق له يتراوح بين 3 - 4 م (أمتار)، فإن تدفقه السريع من الشمال إلى الجنوب بسبب الفارق الكبير الذي يبلغ 180م بين مصدر النهر من بحيرة طبريا وبين المكان الذي يصب فيه وهو البحر الميت هذا الارتفاع من الشمال يؤدي إلى سرعة جريان النهر، ولذلك يعتبر نهر الأردن من أسرع الأنهار في العالم.

ب- يأخذ النهر طريقة ومجراه عبر أشجار متشابكة وكثيفة أحياناً وتغطي هذه الأشجار ضفتي النهر وتشكل عائقاً للعبور في بعض الأحيان أمام من يجتاز النهر شرقاً وغرباً.

ج- يغير نهر الأردن مجراه أحياناً بسبب كثرة تعرجاته وينقل اتجاهه نحو الغرب أكثر من ناحية الشرق، ولا بد من وجود دليل يعرف تعرجات النهر ومخاضاته لكل من يريد اجتياز نهر الأردن.

د- المنطقة الفاصلة بين ضفتي النهر شرقاً وغرباً التي يجري فيها النهر مفتوحة ومتقطعة، وتتكون من سلسلة من هضاب الحور الناعم (الكتارات) التي تعيق الاجتياز غرباً وشرقاً.

إن أكبر كمية للمياه تتدفق في نهر الأردن في شهر شباط وآذار وكانون الثاني، ويحدث في هذه الأشهر فيضان النهر على الجانبين شرقاً وغرباً، وذلك بسبب تدفق المياه القوي لنهر اليرموك إلى نهر الأردن. ويمكن عبور نهر الأردن بسهولة في أشهر الصيف والخريف، وذلك عن طريق اجتياز المخاضات وخاصة مخاضات أم الشرط ومخاضة المندسة ومخاضة أم سدرة ومخاضة كركر ومخاضة أم نخلة ومخاضة التركمانية ومخاضة الجنيدية ومخاضة وادي المالح، وهذه المخاضات تقع في غور الأردن الشمالي والأوسط والجنوبي[1].

نهر الأردن

(1) هذه المواصفات كانت سنة 1967-1968م وقد تغيرت بعد ان قامت إسرائيل بسحب مياه النهر.

ثانياً: غور الأردن :

يطلق غور الأردن على جانبي نهر الأردن ويبلغ طوله من بحيرة طبريا إلى البحر الميت 105كم، وهو منخفض عن سطح البحر ومقسم إلى أودية منحدرة لا يزيد عمقها في الشمال عن 50 - 100م، أما في الجنوب فيتخذ غور الأردن شكل السهول والأودية المنحدرة، وغور الأردن على الضفة الشرقية مأهول بالسكان أكثر منه في غرب النهر، وهناك غرباً أريحا - العوجا - الجفتلك - الفصايل - عين السلطان، وأما في الشرق في غور الأردن فتوجد القرى والمدن - العدسية - والشيخ حسين - ووقاص والشونة الشمالية - الوهادنة - المشاريع - معدي - شرحبيل - الكريمة - المثلث المصري - الكرامة - الشونة الجنوبية - الكفرين - غورنمرين - سويمة وغيرها.

ومنطقة الغور غير موحدة في عرضها، فهي ضيقة للغاية في الجزء الشمالي، وتأخذ في الاتساع من جسر الأمير محمد (دامية) جنوباً، وأقصى عرض له يبلغ 10كم غربي النهر و13 كم شرقي النهر، أما في المنطقة الشمالية فهي ضيقة جداً ويتراوح عرضها في منطقة العدسية وتل الأربعين بين 1 - 2كم غربي النهر.

ويمكن في المنطقة الواسعة من غور الأردن شرقاً وغرباً الممتدة من جسر الأمير محمد شمالاً وحتى البحر الميت جنوباً يمكن ان تدور معارك متحركة بين الدروع، ويمكن اجتياز نهر الأردن بالمدرعات والآليات والدبابات وذلك عبر الجسور المقامة، ويمكن إقامة جسور في زمن الحرب لا تأخذ وقتاً أكثر من نصف ساعة من الزمن تقريباً.

أما غربي غور الأردن فتقع السفوح الشرقية للسلسلة الجبلية في الضفة الغربية، وتتراوح المسافة من النهر وحتى السفوح الجبلية من 10 - 15كم، واستطاع فدائيو العاصفة والثورة الفلسطينية من الوصول إلى هذه الجبال خلال مسيرة ليلة واحدة من النهر رغم الصعاب الكبيرة المتمثلة في الكتارات وطبيعة الأرض الرملية التي تعيق السير، والفدائي كان يمر عبر نقاط المراقبة ويتجاوزها في أحيان كثيرة، وقدمت قوات العاصفة منذ

الانطلاقة الثانية بعد حرب حزيران خيرة الشباب والكوادر شهداء في هذه المنطقة وخاصة في منطقة العوجا شمال أريحا.

واستطاعت قوات العاصفة من إقامة قواعد الارتكاز في هذه السلسلة الجبلية ابتداءً من جبال طوباس الشرقية وجبال بيت فوريك ومناطق التياسير وجبل القرنطل وأودية ومناطق العوجا وأريحا.

وقامت قوات العاصفة بعشرات العمليات العسكرية ضد دوريات ونقاط العدو الصهيوني في هذه المنطقة، وأوقعت بها خسائر جسيمة وخاصة في المنطقة المؤدية إلى الضفة الغربية والقدس العربية.

وكانت المستوطنات في القاطع الشمالي لغور الأردن قريبه جداً من النهر، واستطاع الفدائيون من قوات العاصفة أن يوقعوا الخسائر الجسيمة في هذه المستوطنات وحولوا حياة ساكنيها إلى جحيم وخاصة مستوطنات « كفار روبين» اشدود ويعقوب» ماعوز حاييم « بيت يوسف « جيشر « بيسان « الحميدية . وكان الوصول إلى هذه المستوطنات يتم بشكل دائم وكذلك عمليات العاصفة كانت يومياً ضد هذه المستوطنات المسلحة. واستطاع فدائيو «فتح» المتمثلة بقوات العاصفة ان يقيموا قواعد ارتكاز قريبة من هذه المستوطنات شرقاً على طول نهر الأردن.

أما في القاطع الجنوبي من البحر الميت فكانت مستوطنات « عين عروس» «مستعمرة الحصب»، «مستعمر تمناع»، ومصانع النحاس»، «مستعمرة مسعدة»، «عين جدي غربي البحر الميت»، «مستعمرة مساداً»، «مصانع البوتاس غرب البحر الميت»، «مستعمرة ومدينة إيلات على خليج العقبة».

في غور الأردن وشرقي نهر الأردن من شمال البحر الميت وحتى بحيرة طبريا كانت تنتشر مزارع الحمضيات والموز وبساتين الخضراوات، وساعد وجود بعض مخيمات اللاجئين والنازحين في مخيم الكرامة والكريمة وغور نمرين ووادي اليابس، وتواجد القرى الكثيفة في غور الأردن وتعاطفهم مع الفدائيين جعل إقامة قواعد الانطلاق إلى داخل الأرض المحتلة قريبة من نهر الأردن.

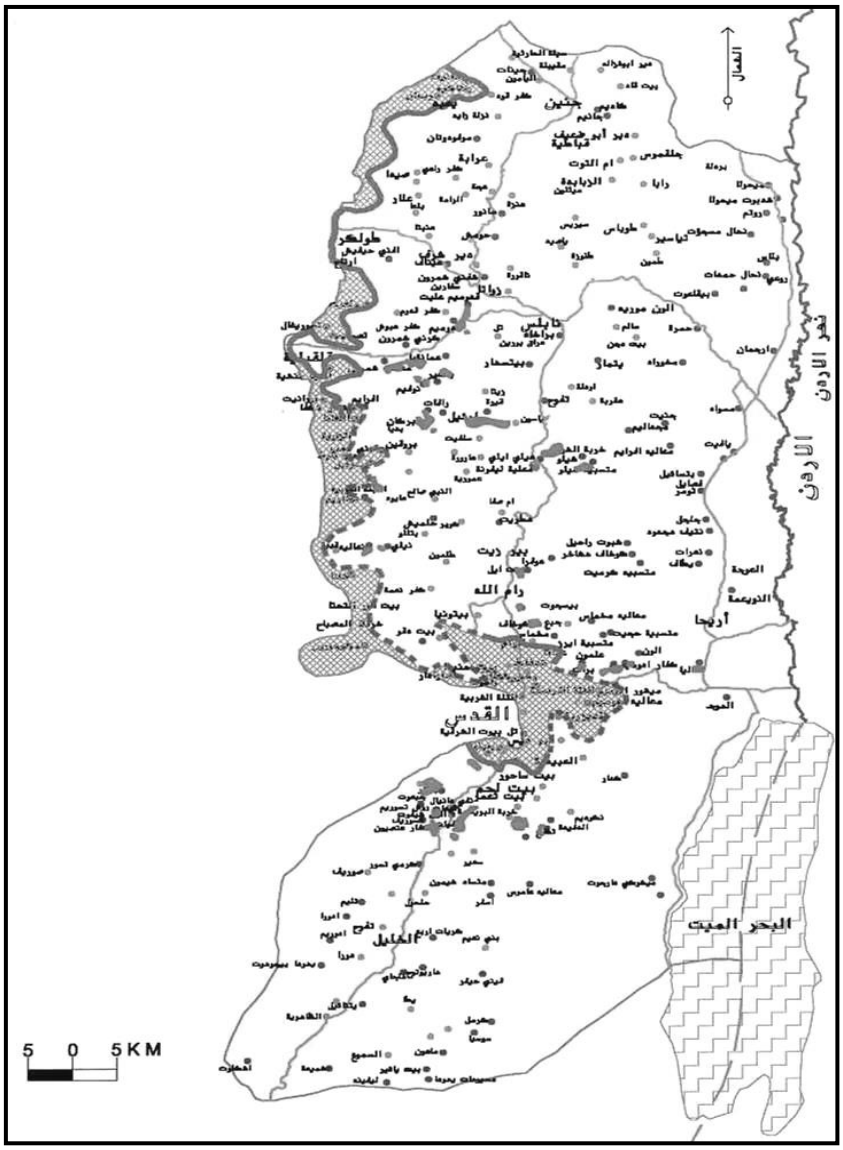

جزء من خارطة المستوطنات في الضفة

ثالثاً: الجسور

يوم المعركة كان يوجد على نهر الأردن الجسور الآتية:

1 - جسر الأمير محمد (داميا) - نابلس غرباً في الضفة الغربية، العارضة - طريق الصبيحي - عمان شرقاً إلى الأردن.

2 - جسر الملك حسين (اللنبي سابقاً) - غور نمرين - وادي شعيب - السلط - عمان.

3 - جسر الملك عبد الله - سويمة - ناعور - عمان.

وهناك كانت مخاضات يسهل عبورها بالدبابات وخاصة من منطقة المندسة وأم الشرط والجنيدية.

رابعاً: الكرامة :

الطبيعة الجغرافية لمنطقة الكرامة «مخيم الكرامة» تقع على بعد 5 كم شرقي نهر الأردن وتقع شمال الشونة الجنوبية وتبعد عنها 7 كم شمالاً.

مدينة ومخيم الكرامة تقع في السهل الشرقي لنهر الأردن في الغور وهي منطقة غنية بالينابيع وتربط بين جنوبي غور الأردن وشماله وتتبع إداريا لمنطقة البلقاء وتبعد السلط عن الكرامة حوالي ثلاثين كم.

يعيش معظم أهالي الكرامة على الزراعة، حيث المنطقة عبارة عن سهل منبسط، وتنتشر بساتين الموز والحمضيات والخضراوات ومزارع الدجاج في المنطقة المحيطة بالكرامة من الجنوب والغرب والشمال، أما شرقي الكرامة تتبع المرتفعات التي تتصل بسلسلة جبال السلط شرقاً. استقر الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين بعد حرب عام 1948 في مخيم الكرامة، وبعد حرب حزيران عام 1967 نزح عدد كبير إلى المخيم حتى وصل عدد اللاجئين والنازحين في المخيم إلى أكثر من أربعين ألفاً، وتمتاز المنطقة بدفء الشتاء وهذا يساعد على إنتاج الخضروات الشتوية كما ازدهرت التجارة أيضاً في المخيم.

وشكل مخيم الكرامة نقطة ارتكاز وملجأ لاستقطاب الطموح الفلسطيني بتأجيج الثورة الفلسطينية وكانت قيادات وقادة الثورة قبل وبعد حرب حزيران تتواجد في المخيم، وشكل الفدائيون من العاصفة وقوات التحرير الشعبية قواعد عسكرية في غور الأردن، وكانت قيادة الفدائيين في مخيم الكرامة وقواعد الارتكاز منتشرة على طول غور الأردن.

وبيوت المخيم مصنوعة من الطين والتبن وقليل من البيوت مصنوعة من الطوب ومغطاة بالأسبست. وحجرات المنازل صغيرة، ويوجد بعض المرافق الصحية الجماعية وكانت هناك قنوات للمياه وبعض الملاجئ التي أقامها المواطنون خلال حرب حزيران 1967م وعمل الفدائيون على إيصال هذه الملاجئ مع بعضها البعض وتغطيتها جيداً على شكل أنفاق وخنادق أحياناً.

وكانت سلسلة الجبال الشرقية والأودية والطرق المؤدية إلى العاصمة عمان مثل وادي شعيب ومثلث العارضة «المصري» مسيطر عليها من قبل الجيش الأردني وله عدة مواقع عسكرية ومدفعية في عيرا ويرقا في جبال السلط الغربية وكان الجيش الأردني يمسك بهذه الطرق المؤدية إلى العاصمة، وكانت الفرقة الأولى للجيش الأردني منتشرة في المنطقة من سويمة جنوباً ومثلث العارضة شمالاً مع نقاط المراقبة والشرطة والمخافر في القرى والبلدان في غور الأردن.

الاستعداد للمعركة :

قررت قيادة فتح خوض المعركة لضرب الأمثولة للعرب ولكسر أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وجمعت كافة المسؤولين العسكريين في المنطقة وأعلمتهم بالهجوم الإسرائيلي الوشيك وسألتهم الرأي، فكان رأيهم أنه لا ينبغي التراجع أمام العدو وإنما على القيادة أن تغادر أماكنها لإجراء أمني، وقد رأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن من الضروري تطبيق مبادئ حرب العصابات (الانسحاب أمام العدو المتقدم، وضرب العدو المنسحب) وإخلاء الكرامة عند تقدم العدو حتى تقع ضربته في الفراغ. بينما رأت فتح وقوات التحرير الشعبية أنه من الضروري خلق ملحمة بطولية، والصمود أمام العدو، والدفاع عن القاعدة لتنتهي مرحلة الانتصارات الإسرائيلية والهزائم العربية.

وهكذا سحب من بلدة الكرامة معظم عناصر الرأي الأول مخلفين وراءهم مجموعة صغيرة مهمتها الانسحاب عند بدء المعركة إلى مرتفعين شرق المدينة بهدف حماية خط رجعة للقوات المدافعة، وبقيت في المدينة للدفاع عنها قوة تضم 422 مقاتلاً من قوات العاصفة و 80 مقاتلاً من قوات التحرير الشعبية[1].

وفي هذا الأثناء وصلتنا دفعة أسلحة في ليلة المعركة نفسها، وكان الأخ أبو جهاد قد أرسلها من دمشق، ولم نتمكن من إنزالها كاملة لأنها وصلت الساعة الرابعة صباحاً، وقد قمنا بإنزال ثلاثة مدافع هاون... من ضمن الأسلحة التي وصلت.

(1) الهيثم الأيوبي، «عشرة أعوام من الكفاح المسلح الفلسطيني»، شؤون فلسطينية عدد 42/41، ص 45.

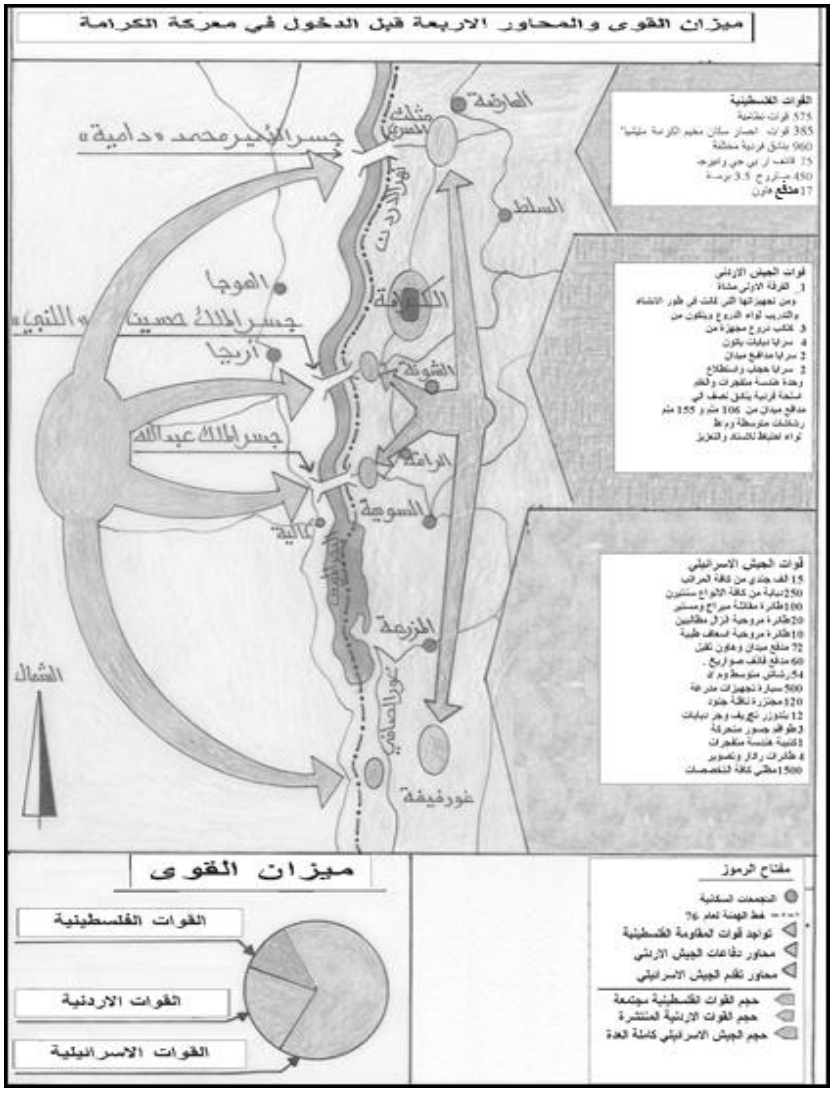

ملاحظة:

- الأسلحة الخاصة بالقوات الفلسطينية لم يدخل فيها تسليح قوات التحرير الشعبية.
- كان هناك 385 عنصراً نصيراً لحركة «فتح» بالإضافة للقوات النظامية.

معركة الكرامة برواية فلسطينية

العملية العسكرية الإسرائيلية في الكرامة (عملية توفت)

أطلق الإسرائيليون على العملية العسكرية في الكرامة اسم «توفت» وكان مسرح العمليات ممتد من الطرف الشمالي للبحر الميت وإلى جسر دامية شمالا... ومن نهر الأردن غرباً وحتى مرتفعات السلط شرقاً... يقود العملية قائد الجبهة الغربية الجنرال الصهيوني (عوزي نركيس) ونائبه العميد (تال).

خطة القوات الإسرائيلية :

وضعت القيادة العسكرية الإسرائيلية خطتها على النحو الاتي:

1. يقوم لواءان مدرعان بالهجوم على الأراضي الأردنية إلى الشمال والجنوب من الكرامة، مهمتها عزل الكرامة وتطويقها من الجنوب والشمال... ويتم في نفس الوقت إدخال كتيبة من المظليين محمولة بالمجنزرات والآليات، تصل مجنزرة إلى داخل الكرامة بهدف قتل وتدمير الفدائيين.
2. يقوم سلاح الهندسة الإسرائيلية بمهمة بناء جسور على نهر الأردن إذا تعرض جسري الملك عبد الله وجسر دامية للتدمير من جانب الجيش الأردني، وإقامة جسور احتياطية على نهر الأردن.
3. يقوم سلاح الجو وسلاح المدفعية بمساندة القوات المهاجمة في مسرح العمليات.
4. يقوم لواء مدرع معزز بسلاح الجو وطائرات الهيلوكوبتر المحملة بالمظليين بمهاجمة قواعد الفدائيين في جنوب البحر الميت في منطقة غور الصافي وغور فيفا وحمراء فدان.

سيناريو خطة الهجوم الاسرائيلي قبل معركة الكرامة ٢١ - ٣ - ٦٨

هدف العملية العسكرية الإسرائيلية :

هدف العملية الإسرائيلية المعلن هو... تصفية قواعد الفدائيين وقتل أفرادها.

القوى التي استخدمها العدو الإسرائيلي لتنفيذ العملية العسكرية في الكرامة تتكون من:

1. **اللواء المدرع السابع:** تقوم ثلاث سرايا من الدبابات من طراز سنتوريون بقيادة قائد اللواء العقيد (شموئيل غونين) وكانت مهمتها السيطرة على جسر اللنبي (جسر الملك حسين) لضمان عدم نسفه من قبل الجيش الأردني... والسيطرة على الجسر، وبعد ذلك التقدم ومهاجمة الجيش الأردني في منطقة غور نمرين، والشونة الجنوبية وتدمير القوات التي تعترض القوات... ويتم إدخال باقي اللواء المدرع لمحاصرة ومهاجمة الكرامة من الجنوب.
2. **اللواء المظلي (35):** تقوم قوة من المظليين بقيادة قائد اللواء العقيد (داني ماط) وبمساعدة كتيبة من دبابات سنتوريون مهمتها متابعة الهجوم والتحرك في أعقاب اللواء السابع بالسيطرة على الكرامة وتقوم قوات المظليين بتمشيط الكرامة وقتل وأسر الفدائيين وتدمير مقراتهم وتشخيص الفدائيين من المدنيين. تقوم وحدة من المظليين بقيادة النقيب (متن فينلاني) محمولة بالطائرات العمودية - هيلوكوبتر - بالنزول على الهضاب والسفوح الشرقية للكرامة، وتقوم بإلقاء منشورات من الجو تدعو السكان المدنيين للاستسلام وعدم المقاومة... ومهمتها الأساسية إحكام الإغلاق للطرق المحتمل أن ينسحب منها الفدائيين من الجهة الشرقية للمخيم.
3. **اللواء المدرع/60:** تقوم كتيبة دبابات أم/51 بقيادة العقيد (رفائيل ايتان) معززة بقوة من المجنزرات مهمتها السيطرة على جسر داميا والتقدم باتجاه المثلث العارضة والتوجه إلى الكرامة جنوباً... ومهاجمة

قواعد الفدائيين في منطقة الكرامة من الجهة الشمالية، ومساعدة قوة الإنزال التي أنزلت على الجهة الشرقية الشمالية للكرامة...

4. خمس كتائب مدفعية مختلطة (مدافع ميدان - **هاوتزر 155 ملم - 105 ملم** - مدافع متحركة - بطاريات هاونات - راجمات صواريخ - س. س10 - س. س11 - مدفعية 130 ملم. مهمتها الإسناد للعملية العسكرية في مسرح العمليات، وطلب من المدفعية ان تعمل حسب الضرورة وخاصة ضد بطاريات المدفعية الأردنية والمضادات - م/ط العراقية المتواجدة على السفوح المطلة على وادي شعيب.

(أ) أربعة أسراب من الطائرات الحربية من طراز سكاي هوك - ميراج - سوبر ميستير - مهمتها مهاجمة قواعد الفدائيين والجيش الأردني ومهاجمة التعزيزات والمدفعية.

(ب) عدد كبير من مروحيات الهيلوكوبتر مخصصة لإنزال المظليين ونقل الكوماندوز إلى أرض المعركة، والقيام بمهمة إخلاء المصابين من منطقة القتال.

5 - كتيبة هندسة ميدان مع وحدات اقتحام.

6 - لواء مدرع معزز بالمشاة والمظليين وطائرات الهيلوكوبتر مهمتها مهاجمة قواعد الفدائيين جنوبي البحر الميت في منطقة غور الصافي - حمراء فدان - غور فيفا.

فصيل مشاة ومظليين إسرائيليين

سير المعركة:

أطلقت القيادة العسكرية الإسرائيلية على عمليتها العسكرية في الكرامة الاسم الرمزي «**توفت**» نسبة إلى الاصطلاح الفلسفي الذي كان مستخدماً في الماضي وهو التصفية الكاملة... والهجوم الصاعق بقوة كبيرة من النيران للقضاء على المقاومة، ولهذا اختارت القيادة العسكرية لتنفيذ عملية الكرامة العديد من التشكيلات القتالية ذات الكفاءة العالية...

فاللواء السابع المدرع هو أقدم وأشهر الألوية في سلاح المدرعات الإسرائيلية... فقد تشكلت نواته الأولى أثناء حرب 1948م، وشارك في بعض معاركها... ثم قام بدور رئيسي في حرب 1956م... وفي حرب عام 1967م لعب دوراً بارزاً على الجبهة المصرية، ويتحمل الجهد الأكبر في عملية الكرامة.

فلواء المظليين 35 استخدم كمشاة ميكانيكية، وذلك لرغبة القيادة العسكرية في الاستفادة من قدرات المظليين القتالية العالية كجنود صدام واقتحام في المساعدة على إنجاز مهام الخرق في حالة وجود مقاومة عنيفة في مواقع دفاعية ثابتة، وفي مهام التطهير خاصة قتال الشوارع والمناطق المبنية والقيادة العسكرية تعطيه مهمة التطهير للفدائيين في الكرامة.

وزعت القيادة الإسرائيلية بقواتها في المرحلة الأولى من العملية التي بدأت في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم 21/آذار 1968 على أربعة محاور للتقدم، ثلاثة منها شمال البحر الميت وهي:

1. محور جسر الملك حسين - اللنبي سابقاً - غور نمرين - الشونة - اتجاه الكرامة.
2. محور جسر الملك عبد الله - سويمة - الكفرين.
3. محور جسر الأمير محمد - جسر دامية سابقاً - المثلث المصري - معدي - اتجاه الكرامة.
4. محور غور الصافي - غور فيفا - حمراء فدان.

(1) سير المعركة على محور جسر الملك حسين - اللنبي سابقاً

تقدمت قوة الاستطلاع معززة بإحدى عشرة دبابة من اللواء السابع المدرع بقيادة المقدم (أبراهام روتم) مع وحدة من الاستطلاع الهندسي التي باشرت ببناء جسر حديدي على الجسر المدمر «جسر اللنبي» ولكن مدفعية الجيش الأردني أصابت المعدات الهندسية وعطلتها... وصدر أمر للتوقف عن بناء الجسر مؤقتا وتم احتلال الجسر بعد مقاومة شديدة من قوة الحجاب الأردنية. وبعدها تم تعزيز قوة الاستطلاع المتقدمة بكتيبة من الدبابات من اللواء المدرع السابع بقيادة المقدم (أبرهام برعام)... في ذلك الوقت وصلت قوة الصدام بين المقدم «روتم» بالقرب من غور نمرين... أصيبت دبابة روتم وأعطبت دبابة أخرى... فانتقل «روتم» إلى دبابة أخرى ولكنها دمرت أيضا... وبعد ذلك انتقل إلى مجنزرة أخرى، ولكن قبل ان يتمكن من استلام القيادة من جديد أصيب ونقل إلى مؤخرة اللواء السابع بالقرب من أريحا...

في ذلك الوقت، وصلت مسرح العمليات قوة قائد اللواء السابع ومعها ست دبابات بقيادة النقيب (سولمونوف) وكذلك تقدمت قوى بحجم سريتين من الدبابات وخمس مجنزرات بقيادة (اهارون بيلد) التي سلكت محور جسر الملك عبد الله - الكفرين... وقد واجهت القوة قتالاً عنيفاً مع الجيش الأردني في منطقة الكفرين، وتم إلحاق القوة بقوة من المظليين بقيادة (طال)... واتجهت شمالاً نحو الكرامة، وكلفت هذه القوات باقتحام الكرامة، و تطهيرها من الفدائيين وخاصة داخل شوارع الكرامة الضيقة.

قتال شوارع في الكرامة... قوات المظليين التي أنزلت على التلال الشرقية بواسطة الطائرات المروحية واجهت مقاومة شديدة بنيران الفدائيين... ودارت معركة بين المظليين والفدائيين من مسافات قصيرة، ووقع قتلى وإصابات عديدة في قوات المظليين.

أما دبابات (برعام) التي رافقت قوة المظليين الرئيسة إلى الكرامة اصطدمت بقوة مدرعة أردنية... ودارت معركة أعطبت خلالها عدة دبابات... واستمرت باقي القوة في اقتحام الكرامة، وحصلت معركة قوية

في الشارع الرئيس، وأعطبت عدة دبابات بالقرب من السينما والمخفر... واستخدم الفدائيون م/د RBG2 بكثافة، وانسحبت القوة إلى شمال الكرامة بمسافة 3 كلم باتجاه مثلث المصري.

دبابة اسرائيلية معطوبة

في الساعة السابعة صباحاً اقتحمت كتيبة المظليين المحمولة بالدبابات والمجنزرات التي كانت مهمتها الأساسية السيطرة على الكرامة... وجوبهت القوات مقاومة شديدة بالقرب من مقر أبو عمار، وفي الطرف الشرقي في معسكر التدريب... وكذلك في الطرف الغربي من الكرامة...

وفي الطرف الشمالي كانت الدبابات الأردنية من طراز باتون مموهة جيداً... أطلقت النيران على الدبابات الإسرائيلية، وأعطبت ثلاث منها، واستسلمت دبابة رابعة، وأخذت سالمة بيد الفدائيين والجيش الأردني... على الجانب الغربي من شوارع الكرامة أنزلت كتيبة من الناحال بوساطة الطائرات المروحية، ودارت معارك في الشوارع بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية والأحزمة الناسفة، ودارت معركة من بيت إلى بيت ومن خندق إلى خندق... وكان الفدائيون متخندقين في خنادق تحت الأرض، وكذلك داخل أنفاق مموهة جيداً... واستخدموا قنابل ضد الدبابات... وألقوا بأنفسهم فوق أبراجها كقنابل بشرية... وسقط الكثير من القتلى والجرحى الإسرائيليين...

وأرسلت تعزيزات جديدة من الناحال غرب الكرامة... وقامت القوات الإسرائيلية بنسف الكثير من المباني التي تقدر بأكثر من مائتين التي نسفت في الكرامة وحدها... وتم تجميع الجرحى والمدنيين وأخذهم أسرى... وبقيت عدة دبابات ومجنزرات معطوبة لم تتمكن إسرائيل من إخلائها، وأخذت غنائم من قبل الفدائيين والجيش الأردني.

(2) سير المعركة على محور جسر الأمير محمد (دامية) - المثلث المصري:

في الساعة الثامنة صباحاً، بينما كانت المعارك ضارية في الكرامة، قررت القيادة العسكرية الإسرائيلية إرسال القوة التي احتلت جسر دامية إلى مثلث المصري بقيادة المقدم (طوفيا)، ولكن القوة جوبهت بنيران الدبابات الأردنية المتمركزة في مثلث المصري - ومثلث العارضة - ومعدي... ولم تستطع الدبابات فتح تشكيلاتها نتيجة غزارة النيران الأردنية وقوة تأثيرها، وحصلت معركة بالدبابات بين الدبابات الأردنية والإسرائيلية غرب مثلث المصري ب- 2200 متر، وأعطبت أربع دبابات إسرائيلية، وتوقفت القوة ولم تتقدم إلى الأمام، وأعطبت دبابتان أردنيتان في المعركة...

آلية إسرائيلية محروقة

كانت المعركة قاسية جداً على الجيش الإسرائيلي، لم تكن المنطقة سهلة للقتال... فالدبابات الأردنية كان ترابط في منطقة مثلث المصري - ومعدي - ودخلت في معركة مع الدروع الإسرائيلية مع تركيز المدفعية الأردنية النيران على القوات المتقدمة... وأوقعت إصابات عديدة في الدبابات الإسرائيلية ومنعتها من التقدم ومن إخلاء المعدات التي دمرت في مسرح القتال على محور جسر دامية، ومن بينها أصيبت المجنزرة التي كان يستقلها المقدم (طوفيا)...

كما أوقعت المدفعية الأردنية إصابات جديدة كبيرة في القوات الإسرائيلية مما اضطر رئيس الأركان لاستخدام سلاح الجو بقوة على منطقة مثلث المصري، حيث قامت الطائرات بمهاجمة مواقع المدفعية والدبابات الأردنية، ولكن المضادات الأردنية والعراقية أجبرت الطائرات الإسرائيلية على القيام بهجماتها على ارتفاعات عالية، ولهذا لم يتمكن سلاح الجو من إسكات المدفعية الأردنية كليا المتمركزة في مناطق عيرا/يرقا.

القتال على محور جسر دامية - مثلث المصري... كان عصيباً للقوات الإسرائيلية وقائد القوة على هذا المحور (رفائيل إيتان) واجهته مشاكل كثيرة، ولحقت بالقوات المختارة من قوات الغور الإسرائيلية إصابات كثيرة... كما فقد المقدم (طوفيا) معظم دباباته ومجنزراته، ولولا المساعدة من سلاح الجو ومساعدة قوة (برعام) التي تمركزت شمال الكرامة لما تمكن طوفيا من النجاة، حيث بقيت معظم دباباته في أرض المعركة وأخذها الجيش الأردني غنائم...

لقد استطاعت المدفعية الأردنية تدمير أجزاء واسعة من جسر دامية، ونتيجة لذلك لم تتمكن القوات الإسرائيلية من تعزيز قوات رفائيل إيتان، وكذلك لم يستطع سحب دباباته ومجنزراته المحترقة، ولم يتمكن سلاح الهندسة الإسرائيلي من بناء جسر حديدي على جسر دامية إلا في ساعات المساء من يوم 1968/3/21م...

(3) سير المعركة على محور جسر الملك عبد الله ـ سويمة ـ الكفرين

تقدمت القوات الإسرائيلية على محور جسر الملك عبد الله بقيادة المقدم (اهارون بيلد)... بقوة سريتين من الدبابات وعدد من المجنزرات... ودارت معركة ضارية مع القوات الأردنية المتمركزة في سويمة ومنطقة الروضة ومنطقة الرامة... وعندما كانت قوة بيلد في طريقها إلى الكفرين... دخلت منطقة مستنقعات وموحلة، فتعطلت بعض دباباته واصطدمت مع الجيش الأردني في منطقة الكفرين، واستخدم الجيش الأردني مدافع 106/ملم.

واعنف المعارك حصلت على مدخل قرية الكفرين... في هذه المرحلة قطع الاتصال مع بيلد وقائد اللواء، وجرت معركة مطاردة بين الدروع الأردنية والإسرائيلية، ونتيجة ذلك أصيبت الدبابة الأولى بقيادة الملازم (جليلي) وفور ذلك أسرع للانتقال إلى دبابة أخرى، ولكنها أصيبت أيضاً، فصعد إلى مجنزرة وواصل قيادة القوة باتجاه الشونة الجنوبية ...

آثار دمار مخيم الكرامة

دور الجيش الأردني في المعركة

سير المعارك ومواجهة الجيش الأردني

كانت القوات الأردنية مؤلفة من الفرقة الأولى... وهي من أربعة ألوية مشاة - لواء دروع - كتيبة دبابات مستقلة مع أسلحة الإسناد المدفعي الهندسي...

المدفعية الأردنية

حشد الجيش الإسرائيلي قواته الأساسية في منطقة أريحا، وقد دفع بقوة محمولة على مجنزرات لتكون راس جسر إلى مناطق قريبة من مواقع العبور الرئيسة الأربعة:

1- جسر الملك حسين (اللنبي سابقاً)
2- جسر الأمير محمد (جسر دامية)
3- جسر الملك عبد الله
4- محور غور الصافي - غور فيفا - مراء فدان

بدأ العدو الإسرائيلي في الساعة الخامسة والنصف صباحا من يوم الخميس الموافق 21 آذار 1968م... بدأ قصفه المدفعي على مواقع قوات الإنذار والحماية الأمامية التي يطلق عليها في المفهوم العسكري الحديث (قوات الحجاب)... ثم قام بهجومه الرئيسي على الجسور الثلاثة في وقت واحد، فاشتبكت معه قوات الإنذار الأمامية، وأخذت المدفعية الأردنية تركز قذائفها على مناطق العبور... ودمرت الجسور الثلاثة، وجزء كبير من المجنزرات المتقدمة... وعطلت تقدمها...

وحاول العدو إقامة الجسور الجانبية لعبور قواته، لكن المدفعية الأردنية أعاقت زخم تقدمها، وأبطأت حركته وتعثر هجومه كثيرا... وأنزلت به خسائر كبيرة عند نقاط العبور...

1 - محور جسر الملك حسين - الشونة الجنوبية - الكرامة:

تقدم العدو الإسرائيلي على هذا المحور بقوة لوائين معززين... ودارت معركة عنيفة بين قوات الحجاب وقوات العدو شرق الجسر. إلا أن العدو تمكن من الوصول إلى مشارف الكرامة من الجهة الجنوبية والغربية... ولكنه وصل متأخرا عن الوقت بسبب كثافة النيران التي تعرض لها... مما سهل تدمير وإفشال القوة المهاجمة الأولى والرئيسية وخاصة القوة المحمولة جوا والتي تم إنزالها شرق الكرامة على أمل تأمين الاتصال مع القوة الأرضية المهاجمة... مما دفع العدو إلى إنزال موجات أخرى من القوات المحمولة جوا غربي الكرامة وشرقها ...

وبالرغم من خسائره الكبيرة إلا أنه تمكن من الوصول إلى الكرامة... ودارت معركة ضارية من منزل إلى منزل... وبالسلاح الأبيض بين الفدائيين والجيش الإسرائيلي، واستمرت عدة ساعات...

وأثناء عودته دارت معركة ضارية في الشونة الجنوبية... وكانت القوات الأردنية له بالمرصاد، وفرضت عليه المزيد من الخسائر، مما دفع العدو لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي أن يطالب بوقف اطلاق النار من جانب واحد، ولكن الأردن رفض ذلك إلا بالخروج الفوري للقوات الإسرائيلية من كل الأراضي الأردنية وهذا ما تم فعلا...

2 - محور جسر الأمير محمد (داميا سابقا):

تقدمت قوات الجيش الإسرائيلي عبر جسر دامية تحت ستار كثيف من نيران المدفعية والدبابات والرشاشات المتوسطة، حيث تصدت لها قوات الحجاب الموجودة شرق الجسر... ودارت معركة عنيفة تمكنت القوات الأردنية من خلالها تدمير عدد من دبابات العدو وإيقاع الخسائر بين صفوفه... وإجباره على التوقف والانتشار مما مكن مدفعية الجيش الأردني من تحقيق المزيد من التأثير على حركة قوات العدو... منعته من التقدم بسرعة...

وقد حاول العدو خلال هذه الفترة من إقامة جسرين إضافيين قرب الجسر القديم... إلا أنه فشل بسبب كثافة القصف المدفعي الأردني... على مواقع العبور، واستعان العدو بسلاح الطيران لقصف مواقع الجيش الأردني، إلا أنه فشل في التقدم إلى الشرق إلى بداية المرتفعات... واستمر العدو بمحاولاته الفاشلة التي لم يحقق من خلالها إلا المزيد من الخسائر بالأرواح وآلياته ودباباته... حتى صدرت له الأوامر بالانسحاب.

لم تكن عملية الانسحاب أسهل من الهجوم، بل كانت أكثر مرارة بسبب الإرباك الذي حصل بين صفوفه وما رافق ذلك من خسائر كبيرة بين أفراده ومعداته...

3 - **محور جسر الملك عبد الله - سويمة - الكفرين:**

فشل العدو الإسرائيلي منذ البداية في التقدم على هذا المحور، ولم تتمكن قواته من عبور النهر بعد أن دمرت معظم معدات التجسير والآليات التي حاول العدو استخدامها في عملية العبور نتيجة النيران المكثفة التي سببتها الأسلحة المختلفة ضد مواقع العبور... مما جعل العدو يعزز هذا المحور عن طريق فصل مجموعة قتال من قواته العاملة على محور الشونة، ودفعها إلى مثلث الرامة خلف قوة الحجاب العاملة شرقي الجسر...مما أوقعها في الحصار بعد ان تعرضت إلى قصف شديد أدى إلى تدمير عدد كبير من آلياته... كما ورد بشهادة قائد مجموعة القتال الإسرائيلية المقدم (اهارون بيلد) الذي وصف المعركة بالجحيم الذي انزل

على قواته... لقد دمرت معظم دباباته على هذا المحور... انتهت المعركة على هذا المحور بانسحاب فوضوي مرتبك لقوات العدو... ومعركة مطاردة من قبل الجيش الأردني لفلول القوات الإسرائيلية المنسحبة...

4 - محور غور الصافي - غور فيفا - حمرا فدان:

كان هدف العدو من الهجوم على محور غور الصافي هو تصفية قواعد الفدائيين وعددها ثلاث قواعد كانت منتشرة في غور فيفا - غور الصافي - حمراء فدان...

بدأ العدو هجومه في الساعة الخامسة والنصف صباحاً أيضاً كبقية المحاور في شمال البحر الميت... كما استخدم سلاح الجو والدبابات في تقدمه على قواعد الفدائيين ومخافر الجيش الأردني... وقد أخذت المعارك على هذا المحور طابع القتال المتحرك، وفي كل موقع كان العدو يواجه مقاومة شديدة رغم تفوقه بالعدد والمعدات...

وهكذا قد فشل العدو تماما في هذه المعركة دون أن يحقق أياً من أهدافه على جميع المحاور...

أرتال من الدبابات الإسرائيلية

الخطة العسكرية للقوات الفلسطينية:

(حركة التحرير الوطني الفلسطيني قوات العاصفة «فتح» - جيش التحرير قوات التحرير الشعبية)

اعتمدت قيادة فتح استراتيجية حرب العصابات التي تتميز بتكتيك (اضرب واختفي) مع الحرص على الصمود في المعركة وتنفيذ مهام القتال الاعتراضي... والقتال التراجعي ضد العدو... بهدف إيقاع أكبر الخسائر البشرية والمادية في صفوفه، والعمل على إعاقة تقدمه وإرباكه في مسرح العمليات... والحرص على الإفلات من فكي الكماشة التي يهدف العدو لتنفيذها بهدف الإطباق على قيادات ومناضلي الثورة الفتية لسحقها وإنهائها... والتأكيد أيضاً على قتال العدو في خطوطه الخلفية وتوجيه الضربات الموجعة للعدو.

وقد نفذت قيادة فتح استراتيجيتها وتكتيك قتالها على النحو التالي:

1 - القتال من خلال الدفاع المتحرك أحياناً بمجموعات قتالية قليلة العدد من 3 - 5 مقاتلين... وانتشارها على مختلف المحاور المتوقع أن يمر منها العدو... مهمة هذه المجموعات زرع الألغام وتفخيخ صواريخ 3.5 بوصة (روكت لانشر) ونصب الكمائن للدروع بوساطة م/د RBG2 وذلك من خلال الحركة النشطة التي توفر الإمساك بالنقاط الاستراتيجية في المخيم وعلى أطرافه من خلال استخدام الأنفاق والخنادق المموهة ضمن تكتيك (اضرب واهرب)...

2 - القتال الاعتراضي والتراجعي على محاور التقدم وحول مخيم الكرامة باستخدام أسلوب الدفاع المتحرك الهجومي من خلال التحصينات المعدة سلفاً من أنفاق تحت الأرض وخنادق مموهة جداً... واستخدام قنوات الري المنتشرة في المنطقة بكثرة التي تساعد في شن هجمات على مقدمة وجنبات ومؤخرة العدو وإيقاع أكبر الخسائر في صفوفه.

3 - تحاشي وتجنب اعتماد القتال الدفاعي الثابت... وذلك لما يتمتع به العدو من قدرة على اختراق الدفاعات المقامة بوساطة دباباته وطيرانه

المقاتل... وذلك لكي يتمكن الفدائيون من قتال العدو في كل مكان وعلى فترات متقطعة...

4 - تفادي السحق... وذلك باعتماد الصمود الواعي لحماية جسم الثورة اليافع... والمحافظة على الذات بشرط القيام بالمهام القتالية بشكل تام وكامل وجيد حسب الإمكانات المتوافرة من سلاح وعتاد ورجال... وذلك لتفويت الفرصة على العدو الذي يهدف إلى سحق الفدائيين و قيادتهم في الكرامة وقتل وأسر أكبر عدد من رجالها...

5 - استخدام الأسلحة والذخيرة المتوافرة بكفاءة عالية... والاعتماد على الألغام ضد الدبابات وزرعها في الطرق والمحاور التي يتقدم فيها... واستخدام القنابل المفرغة ضد الدروع، مستفيدين إلى اقصى درجة من البيارات والأشجار والأنفاق والخنادق المتواجدة في مخيم الكرامة والكهوف والصخور في المرتفعات الشرقية وذلك للتمويه والاختفاء... ثم الانقضاض على العدو وإنزال الخسائر البشرية في صفوفه معتمدين على المفاجأة...

6 - إصدار التعليمات لخلايا فتح داخل الأرض المحتلة وقواعدها في الأغوار الشمالية بتوجيه ضربات موجعة للتجمعات الصهيونية في فلسطين وذلك للتأثير في معنويات المستوطنين المقيمين خلف خطوط القتال في مستوطنات (**ماعوز حايم - بيسان - جيشر - بيت يوسف - اشدود يعقوب وغيرها)...**

7 - استخدام وتكليف خيرة المقاتلين بالمهمات الخاصة مثل مهاجمة الدبابات بالقنابل (المفرغة الموجهة) ووضع الألغام المباشرة وعن قرب اسفل الدبابات والآليات... ورصد أماكن الإنزال والاشتباك معها فوراً بالأسلحة ومدافع الهاون لشل قدراتهم وإيقاع الخسائر البشرية...

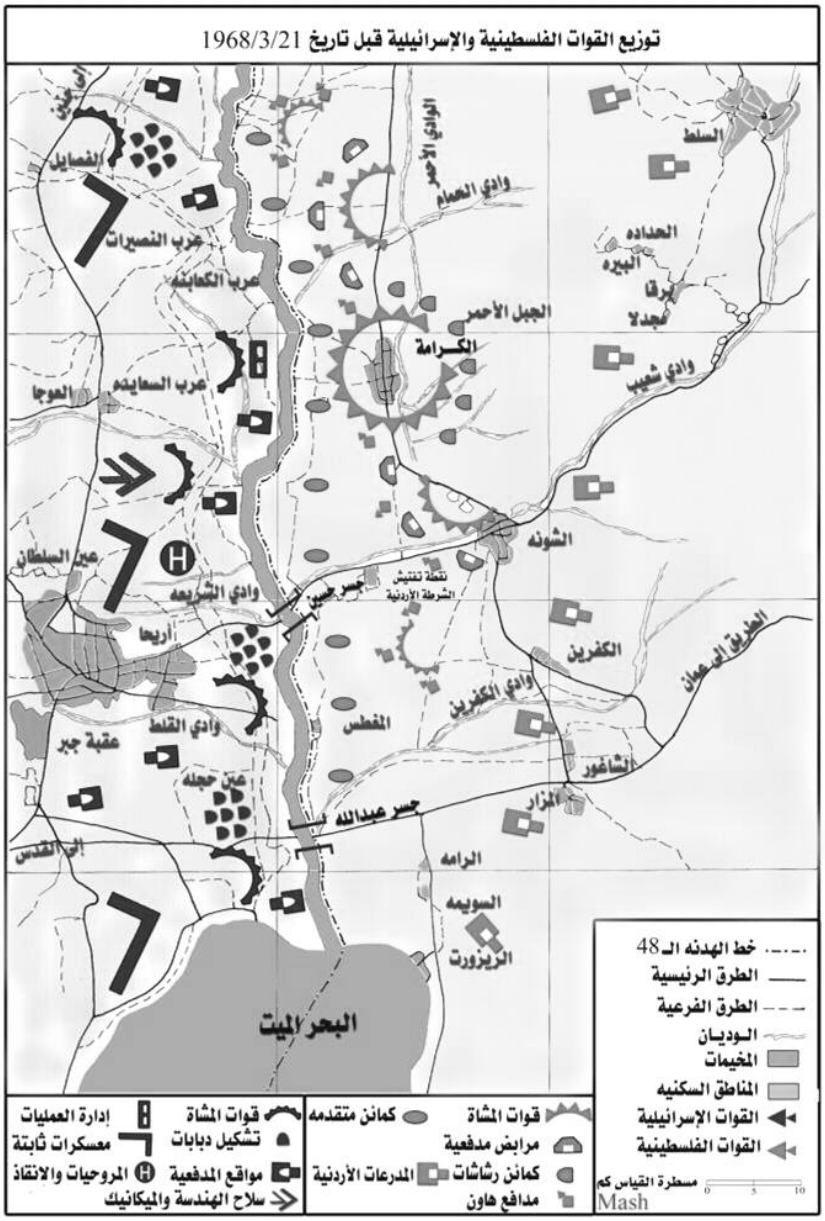
توزيع القوات الفلسطينية والإسرائيلية قبل تاريخ 1968/3/21
الى نابلس
الفحايل
عرب النصيرات
عرب الكعابنه
العوجا
عرب السعايده
عين السلطان
وادي الشريعه
اريحا
وادي القلط
عقبة جبر
عين حجله
الى القدس
الوادي الأحمر
وادي الحمام
السلط
الحداده
البيره
برقا
مجدلا
الجبل الأحمر
الكـرامة
وادي شعيب
الشونه
نقطة تفتيش الشرطة الأردنية
جسر حسين
الكفرين
الطريق الى عمان
وادي الكفرين
المغطس
الشاغور
المزار
جسر عبدالله
الرامه
السويمه
الريزورت
البحر الميت
خط الهدنه الـ48
الطرق الرئيسية
الطرق الفرعية
الوديان
المخيمات
المناطق السكنيه
القوات الإسرائيلية
القوات الفلسطينية
مسطرة القياس كم
0 5 10
Mash
قوات المشاة
مرابض مدفعية
كمائن رشاشات
مدافع هاون
كمائن متقدمه
المدرعات الأردنية
إدارة العمليات
معسكرات ثابتة
المروحيات والانقاذ
سلاح الهندسة والميكانيك
قوات المشاة
تشكيل دبابات
مواقع المدفعية

الخطة المضادة التي وضعتها قيادة قوات العاصفة:

كانت الأوامر صريحة من قيادة قوات العاصفة إلى كافة مجموعاتها وقواعدها في غور الأردن وغور الصافي... كانت الأوامر: دعوا العدو يتقدم... دون ان يلاحظ وجودكم... وعندما يتوغل داخل الأراضي... ابدأوا بشن غارات سريعة ومفاجئة عليه... بقصد تدمير قواته المدرعة... وإرباك وإنزال خسائر بشرية بقوات مشاته...

وهكذا قامت قوات العاصفة في جميع قواعدها في الكرامة والشونة الجنوبية وكريمة ومعدي وغور الصافي بمئات الغارات المحدودة والسريعة دون أن تعطي العدو مجالاً لاستعمال قواته المدرعة... مما أربك العدو وأوقع في قواته خسائر فادحة وخاصة في منطقة الكرامة والشونة الجنوبية والكريمة وغور الصافي...

في كل عملية إغارة كان يشارك أربعة إلى خمسة فدائيين... فيدمرون دبابة أو دبابتين... ويدمرون عدداً من السيارات المجنزرة وينسحبون قبل أن يتمكن العدو من التعامل معهم...

أما في مخيم الكرامة فقد جرى توزيع قوات العاصفة على الشكل الآتي:

1- **قاعدة القيادة:** كانت متواجدة في وسط مخيم الكرامة بالقرب من الجامع الكبير وكانت في منزل محمود تيم وكان يتواجد فيها يوم الكرامة الأخوة القادة (القائد المجاهد أبو عمار، القائد الشهيد صلاح خلف، القائد الشهيد أبو صبري، الأخ القائد أبو اللطف)، ولم يتوفر فيها أية مقومات لكي تكون غرفة عمليات وإنما كانت مكان يعرفه قادة المجموعات المتواجدة في الكرامة وأفراد القاعدة يقدر بحوالي عشرين فدائياً وكانوا منتشرين بالقرب من الجامع الكبير مزودين بقواذف RBG2 وصواريخ 3.5 بوصة والقنابل اليدوية .

2 - **قاعدة مدرسة البنات:** كانت بقيادة الشهيد ربحي أبو الشعر ومعه مجموعة مكونة من اثنى عشر فدائياً مزودين بالقنابل اليدوية والبنادق الفردية من نوع كلاشنكوف وسيمينوف.

3 - **قاعدة (193)** بقيادة الشهيد أبو شريف هواش ويساعده الشهيد بشير أبو تمام المتواجدة على الطرف الغربي في مزرعة الغزاوي وكانت تعتبر في الخط الأمامي القريب من النهر وكانت تتكون من أكثر من ثلاثين فدائياً و مزودة بالبنادق الآلية ونصف آلية وصواريخ 3.5 بوصة ومدافع هاون 82 ملم وألغام آلية ضد الدبابات وكانت القاعدة محصنة بالأنفاق والحفر الفردية المموهة وكانت تنطلق منها أيضاً دوريات الاستطلاع لمراقبة الضفة الغربية والنهر.

4 - **قاعدة (صفر صفر)** تقع على الشارع العام وكانت مزودة بصواريخ 3.5 بوصة والألغام ضد الدبابات وقواذف RBG2، والقنابل اليدوية وكان عدد أفراد القاعدة مكونة من خمسة وعشرين فدائياً يتمركزون على جانبي الشارع الرئيس وسط مخيم الكرامة.

5 - **قاعدة مدرسة الذكور الابتدائية:** تقع وسط الكرامة وكانت تتكون من خمسة وعشرين فدائياً بقيادة الشهيد رؤوف وكانت مزودة بقواذف RBG2 والقنابل اليدوية وصواريخ 3.5 بوصة التي كانت تستخدم ضد الدبابات .

6 - **قاعدة الكوادر:** كانت منتشرة على الشارع الرئيس وسط المخيم في حي أهالي زرنوقة، وكانت مزودة بقواذف RBG2 وصواريخ 3.5 بوصة ومدافع هاون 82 ملم وكانت القاعدة تضم ستين فدائياً منتشرين في الشارع الرئيس.

7 - **قاعدة في حي عجور جنوب الكرامة:** كانت تضم خمسين فدائياً مزودين بقواذفRBG2 وصواريخ 3.5 بوصة ومدفع هاون 81 وألغام ضد الآليات وكانوا منتشرين على الشارع المؤدي إلى الشونة الجنوبية بين البيارات وعلى الشارع الرئيس.

8 - **قاعدة التدريب:** وكانت يوم الكرامة تضم سبعين فدائياً يتلقون التدريب وكان المعسكر محصن جيدا بشبكة من الأنفاق المقامة تحت الأرض وعلى اطراف المعسكر الحراسة هي التي كانت مسلحة تسليحا جيدا.

9 - **قاعدة الشهيد الفسفوري** كانت القاعدة في مزرعة سنقرط جنوبي الكرامة وكانت تضم ثلاثين فدائياً مزودين بقواذف RBG2 وبصواريخ 3.5 بوصة والألغام ضد الدبابات والقنابل اليدوية.

10 - **قاعدة الشهيد أبو صبري** كانت متواجدة في حي زرنوقة وكانت تضم ثلاثين فدائياً مزودين بقواذف RBG2 وصواريخ 3.5 بوصة والقنابل اليدوية.

11 - **قاعدة قوات التحرير الشعبية (جيش التحرير الفلسطيني)**كانت منتشرة على المرتفعات وسلسلة المرتفعات المتوسطة الشرقية بين الكرامة والمرتفعات العالية ،وكانت تضم ثلاثين فدائياً مزودين بالرشاشات وقواذف RBG2 ومدافع الهاون 82 ملم 120 ملم. بالإضافة إلى عشرة متطوعين قدموا من الكويت التحقوا بالفصيل، وتمركز فصيل آخر في منطقة غور الصافي.

أ - في الطرف الجنوبي من المخيم... وضعت مجموعات لتكون أول من يتصدى لمدرعات العدو، ويقسمها إلى قسمين... بحيث يحاول القسم الأول أن يطوقها من الناحية الغربية... والقسم الثاني أن يطوقها من الناحية الشرقية، فإذا ما تم ذلك تتصدى مجموعات أبو الشريف هواش لقوات العدو التي تتجه نحو الجهة الغربية وتتعامل معه بقذائف أر بي جي 2 - وصواريخ 3.5 بوصة - والألغام... ثم تقوم مجموعات أخرى بالتصدي للقوة التي ستتجه إلى الناحية الشرقية...

ب - الطرف الشمالي: تقوم القوات الموجودة على الجبال والمرتفعات الشرقية للكرامة بضرب القوات المتقدمة بمدافع الهاونات وقذائف (RBG2) + صواريخ 3.5 بوصة كي تجبرها على التحول غربا حتى تقع في حقل الألغام الذي كان معدا مسبقا... وإذا اتجهت شرقا فسيدور قتال شوارع لن يستطيع العدو توقعه ومواجهته...

ج - تشكلت مجموعات صغيرة تشكل كمائن وانتشرت على مفارق الطرق المحتمل سلوكها من قبل العدو...

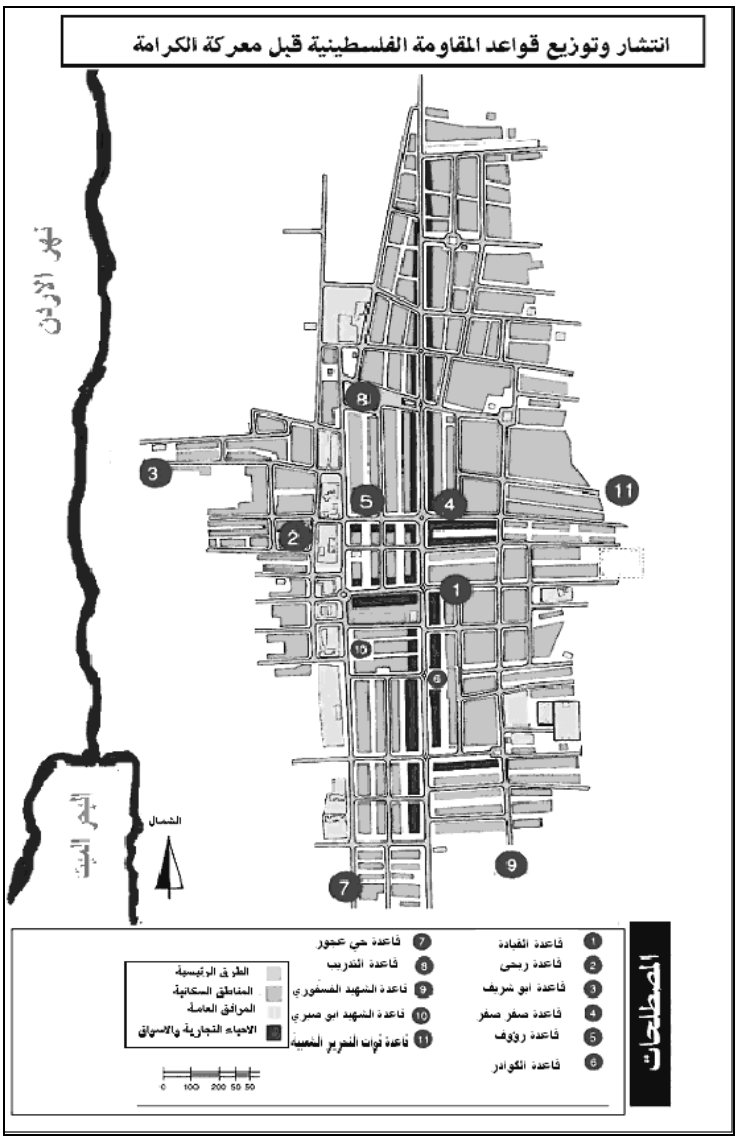
انتشار وتوزيع قواعد المقاومة الفلسطينية قبل معركة الكرامة
نهر الاردن
البحر الميت
الشمال
المصطلحات
1 قاعدة القيادة
2 قاعدة ربحى
3 قاعدة ابو شريف
4 قاعدة صفر صفر
5 قاعدة رؤوف
6 قاعدة الكوادر
7 قاعدة حي عجور
8 قاعدة التدريب
9 قاعدة الشهيد الصفوري
10 قاعدة الشهيد ابو صبري
11 قاعدة ثوار التحرير الشعبية
الطرق الرئيسية
المناطق السكانية
المرافق العامة
الاحياء التجارية والاسواق
0 100 200 50 50

قسمت قواعد الفدائيين إلى التالي:

لقد قررت القيادة العامة أن العدو سيقوم بالآتي:

1 - التقدم في خطين: خط من جنوب الكرامة... وخط من شمالها لوضع الكرامة بين فكي الكاشة.

2 - عملية انزال مظلي شرقي الكرامة... خط من شمالها لوضع الكرامة بين فكي الكماشة...

3 - تقوم قوات العدو المتقدمة من الشمال والجنوب والشرق بعملية تمشيط واسعة.

وبناء على هذه التقديرات وضعت القيادة العامة لقوات العاصفة خطتها المضادة... ولقد كانت القيادة صائبة في توقعاتها... ففي الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الخميس 1968/3/21 بدأ العدو الصهيوني تقدمه من كافة المحاور شمال البحر الميت وكانت تسانده نيران المدفعية المتمركزة في المشروع الإنشائي «مزرعة العلمي في أريحا» والمدفعية المتمركزة شرقي العوجا والفصايل والجفتلك وكذلك قام الطيران الإسرائيلي بمساندة للقوات المتقدمة وكان العدو يواجه مقاومة عنيفة على هذه المحاور وكذلك قام العدو بإنزال لواء من المظليين الكوماندوز على المرتفعات الشرقية للكرامة، وخاض الفدائيون مع الجيش الأردني المتواجدين على طرق المحاور قتالاً عنيفاً ضد العدو وقامت المدفعية الأردنية بقصف مواقع تقدم قوات العدو على كافة المحاور. إلا ان العدو أستطاع على الرغم من المقاومة العنيفة التقدم ببطء حيث كان يفاجأ بضربات المقاومين على طول محاور تقدمة وقد ساعدت البساتين والبيارات وقنوات الغور الشرقية على التمويه للفدائيين بحيث ساعدهم ذلك على عنصر المباغتة للعدو الصهيوني وإيقاع أكبر الخسائر في صفوفه، كما ساعدت الألغام والأفخاخ التي أجاد الفدائيون زرعها على طول خطوط التقدم، لقوات العدو والتي منعت العدو من تقدمه بالسرعة المطلوبة إذ اضطر إلى التوقف باستمرار من اجل التأكد من خلو محاور التقدم من الألغام ولكنة كان يفاجأ بنيران كمائن الفدائيين تحاصره وتوقع به

خسائر كبيرة، ومع ذلك استطاع العدو التقدم بثماني دبابات وعدد كبير من المجنزرات وسيارات النقل، وتمكن من التقدم من الجهة الجنوبية للمخيم ودارت معركة طاحنة مع مجموعات الفدائيين التي يقودها الشهيد أبو الشريف، حيث استخدمت في المعركة كافة أنواع الأسلحة وخاصة أسلحة م/د، وتم تدمير ثلاث دبابات في الجهة الجنوبية الغربية من المخيم و تركها العدو وراءه مع عشر مجنزرات احترقت وفر الجنود منها والتجأ الجنود الهاربون إلى بيارات الموز غربي الشارع واصطدمت بالفدائيين ودارت معركة بالسلاح الأبيض بين الفدائيين والجيش الإسرائيلي أوقعت الكثير من القتلى الإسرائيليين. أما المجموعات والشهداء فهي:

1 - **مجموعه أبو الشريف** (تيسير شريف محمد هواش) ونائبه أبو أمية (بشير كامل داوود أبو تمام) فقد استشهد معهما ثمانية عشر شهيداً من حركة «فتح» وهم: خليل جمعة علي ذيب، جميل محمد يوسف مصطفى أبو عصبة، محمد دعاس محمد أبو عبيد، محفوظ محمود موسى شحيط، حامد أحمد محمد العزة، جميل إبراهيم حسين بلعاوي، محمد إبراهيم حسن عاصي، عوض محمد عوض العديلي، سمير محمد حمدان الخطيب، سلامة محمود محمد البورنو، زهير أديب عبد الجبار جودة جابر، فتحي رجب محمد نمر مصطفى، علي محمد أبو السعود الطريفي، إبراهيم محمد سالم رضوان، تحسين خليفة مصطفى أبو غنيم، داوود فارس سليمان الدودة، إبراهيم يوسف مصطفى صرصور، سعدي عبد الله حسان عاشور.

2 - **أما مجموعة الشهيد الفسفوري:** (عبد المطلب داوود قاسم الدنبك)، خاضت مع العدو قتالاً شرساً بالقرب من مزرعة سنقرط في الجهة الجنوبية، حيث قتل وجرح عدد كبير من المظليين الإسرائيليين واستشهد سبعة شهداء من قاعدة الفسفوري هم: خالد علي كايد كساب، عبد الله إبراهيم عبد القادر يانس،

محمود أحمد عودة العوضات، محمد رياض عبد الفتاح داوود الخياط، حسن داوود س ليمان شوشاري، داوود محمود داوود قاطوني، إسماعيل محمود نوفل .

3 ـ **أما مجموعة الشهيد الملازم رؤوف** (رؤوف عمر حسين): فقاتلت قتالاً حامياً في الشارع الرئيس ودارت معركة شرسة بين البيوت والدكاكين وقتل الكثير من الإسرائيليين واستشهد رؤوف ومعه تسعة شهداء وهم حسين محمود قديح، عبد الرحمن يونس عبد الرحيم محمود، علي عبد الجليل الخطيب، سليم عبد المجيد سعيد علي، محمد جميل علي الدبش، إبراهيم صقر إبراهيم عياد، الدكتور رفيق بدوي أبو سيدو، محمود يعقوب عطية رشيد، جميل محمد محمود أبو صبحية.

4 ـ مجموعة الشهيد ربحي أبو الشعر: بالقرب من مدرسة البنات خاضت معركة حامية بالقنابل اليدوية والعبوات الناسفة واستشهد ربحي على ظهر دبابة صهيونية واستشهد معه ستة شهداء وقتل وجرح الكثير من العدو والشهداء هم: عزت حسين محمود عبيد، فوزي موسى عبد الله أبو طير، خميس خليل عبد القادر النمر، صقر أحمد محمد مرار، محمد إسماعيل عايد شحادة، فرج سالم عدوان صقر.

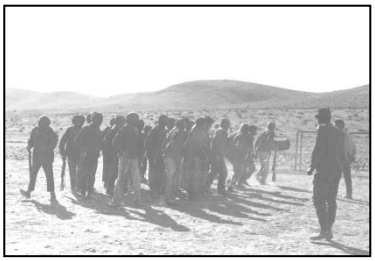

5 ـ أما مجموعات الفدائيين في قاعدة الكوادر التي كانت تتواجد في حي زرنوقة فقاتلت قتال الأبطال واستخدمت قواذف أل RBG2 في الشارع الرئيس واستخدمت القنابل اليدوية وقتل وجرح عدد من الإسرائيليين واستشهد من القاعدة أحد عشر شهيداً هم: جمعة سالم مسلم رزق، محمد عبد الحافظ محمود محم د، محمد نمر محمد دعاس، أسعد نعيم الخطيب، محمد محمد

الشيخ علي، محمد خالد رمضان قاسم، زكي محمود يوسف سليمان سالم، ذيب محمود ذيب سليمان، عبد الهادي أبو بكر، فتحي محمود عايد، مصطفى محمد أحمد مصطفى.

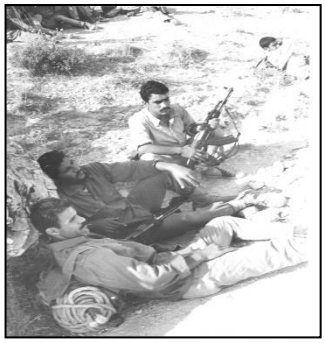

6 - **قاعدة الانتشار:** دار قتال شرس وكان طاقم المدربين لديه الخبرة القتالية الجيدة والتسليح الجيد، كما استخدم الفدائيون الأنفاق استخداماً جيداً وفاجؤوا العدو وانزلوا به خسائر كبيرة واستشهد من القاعدة الشهيد فيصل تركي محمد جياب الوحيدي، عبد الفتاح محمد أحمد الجمال، فتحي محمد حسن سليم، ذيب محمود ذيب سليمان، صدقي شاكر سمور، أنور حميد، خالد سعدو الحديدي، أبو فارس، فهيم محمد أبو غزال، سلامة خليل الطحاوي، أحمد يوسف عطايا، أحمد محمد شاكر، محمد أحمد مراد، فتحي حسين حسن، محمد يوسف ذياب، عاهد سليمان، مطاوع أحمد إبراهيم أبو السعيد، محمد جربيع غيث أبو عزوم، سليمان ذيب سليمان الحجاجرة، جهاد خليل أبو نمرة، خليل عبد الفتاح أبو زيد.

7 - **أما قاعدة قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني**[1] التي كانت منتشرة على السف وح الشرقية للكرامة فقد وزعت القوات على أساس العمل بأسلوب الكمائن وقاتلت قتالاً بطولياً مع وحدات المظليين التي

(1) قوات التحرير الشعبية تأسست كفصيل فدائي مقاتل تابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في اطار وحدات جيش التحرير الفلسطيني في شباط 2 /1968 في الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني وبرزت كقوة عسكرية فاعلة وركزت عملياتها الفدائية طول الشريط الممتد في غور الأردن وجبهة الجولان بقيادة كل من العقيد عبد العزيز الوجيه والعقيد بهجت الامين، وفي قطاع غزة بقيادة الشهيدين النقيب زياد الحسيني والنقيب عبد القادر أبو الفحم، وانفرط عقدها بعد الخروج الفلسطيني المسلح من الأردن عام 1971م.

أنزلت على السفوح الشرقية وتقدر بقوة كتيبة واستخدم العدو في إنزالاته طائرات الهليكوبتر وساعدت طبيعة المنطقة التي تنتشر فيها الصخور والكهوف وكذلك التسليح الجيد الذي كان يتسلح به الفدائيون وخاصة قواذف RBG2 وقواذف B10 ساعدت الفدائيين في قتالهم ضد الإنزال الإسرائيلي وقتل وجرح عدد كبير من الجيش الإسرائيلي واستشهد من القاعدة أربعة وعشرون فدائياً من قوات التحرير الشعبية في المعركة والشهداء هم: عبد اللطيف طاهر أبو هنطش، شحدة محمد أحمد طبيل، عبد الفتاح مفلح الطلوزي، علي سالم سليمان، إبراهيم سالم أبو عفون، غازي حفظي محمد غزال، إبراهيم حسن حلاوة، أحمد توفيق سعيد، احمد محمد أحمد عبد الباقي، شاهر عبد الله يوسف، علي عيسى مصطفى، عدنان عبد الرحيم أبو دياك، ياسر محمد مصطفى، حسين موسى الزعبي، صبحي علي عواد، بهجت محي الدين النعيمي، خالد عبد الفتاح العمري، فلاح محمد عاشور، عبد الغني مصطفى إسماعيل، حسن فريد عبد الفتاح يحيى، عبد الرحيم عيسى سمارة، شاهر محمد عبد الله، عبد الرحمن رشيد سليمان، عادل محمد يوسف صالح.

هؤلاء الشهداء سقطوا في الطريق الممتد من جسر الملك حسين حتى الشونة وأيضاً في بلدة الكرامة وفي المرتفعات المحاذية للكرامة. أما بقية شهداء قوات التحرير الشعبية فقد استشهدوا على محور غور الصافي.

شهادة اللواء الركن المتقاعد صائب العاجز (قائد قاعدة قوات التحرير الشعبية في معركة الكرامة) :

كانت قواتنا تتمركز على بعد حوالي خمسمائة متر من وسط بلدة الكرامة، شمال البلدة وفي الجبال المحيطة بها باتجاه الشونة الجنوبية، والهدف من هذا الموقع الذي اخترناه هو حماية الكرامة من الخلف، إذا تعرضت لهجوم أو قصف، وهذا ما حصل وكنا نتخذ مواقع محصنة بين الصخور وفي الكهوف والمغاور، كانت قاعدتنا تضم مقاتلين من جيش التحرير الفلسطيني ومن كتيبة القادسية على وجه التحديد، إضافة لمقاتلين آخرين متطوعين في صفوفنا، كنت في ذلك الوقت برتبة ملازم أول. كنا نتوقع الهجوم الإسرائيلي الذي حصل يوم الحادي والعشرين من آذار عام

1968، إذ كانت التصريحات العسكرية الإسرائيلية واضحة تماماً بهذا الاتجاه وليس هناك مجال للشك في وقوع الهجوم، أعددنا خطة أولية للدفاع عن الكرامة بالتنسيق مع حركة فتح وقد تحدثنا مع أبو عمار الذي كان موجوداً قبل الهجوم وأثناء الهجوم في الكرامة وقمنا بالتنسيق مع شخص آخر اسمه أبو زهير والضابط فايز حمدان (الرائد خالد)، كما تناقشنا مع أحمد جبريل وكان القائد العسكري للعمليات في الجبهة الشعبية، ودار نقاش حول المواجهة وكانت هناك وجهتا نظر: الأولى تقودها فتح وتطالب بالتصدي والاشتباك المباشر مع العدو، لأسباب سياسية ومستقبلية، ووجهة نظر أخرى تقول بالابتعاد عن المواجهة المباشرة وشن حرب عصابات، وتزعمت الجبهة الشعبية الاتجاه الثاني وساعدها عسكريون من أمثال إياد البرغوثي الذين أخذوا الأمر من زاوية عسكرية صرفة. لكن رأي حركة «فتح»، وهو طلب الصمود والصدام وعدم الانسحاب.

قبل أن أتحدث عن المعركة ذاتها، لا بد أن أعود لبعض الذكريات العزيزة في تلك الفترة، كان الموج في نهر الأردن في تلك الفترة، حيث تصعب السباحة فيه لاجتيازه نحو الوطن، وكان الشهيد **(الرائد فايز حمدان الملقب بالرائد خالد)** يبعث بدوريات عسكرية عديدة تجتاز النهر أو المخاضات كما كنا نسميها وكنت أنسق معه في الدوريات المشتركة بيننا وبين فتح، أو في استخدام المخاضات وتنسيق هذا الاستخدام، كان ينصحني بعدم إنزال الدوريات حين يكون ماء النهر عالياً وكان هناك تنسيق مع جماعة القوميين العرب، والجبهة الشعبية، وكان هذا التنسيق واسعاً، إذ كنت أزودهم بالأحذية الطويلة وبعض الأسلحة لأن إمكانياتنا أكبر من الآخرين فنحن جيش له إمكانياته وكانت علاقتنا معهم جيدة جداً. أتذكر ليلة الهجوم أنني أرسلت دوريات من منطقة دير علاّ للوطن ورجعت إلى القاعدة مع تباشير الفجر، لقد أرسلنا الدوريات لأننا توقعنا الهجوم على المحاور الثلاثة التي تم منها الهجوم فعلاً، وتلك المنطقة إحدى المحاور، كذلك مر عليّ تلك الليلة العقيد بهجت الأمين وبهجت أبو غربية وأظن عبد العزيز الوجيه وأبلغوني أن الهجوم متوقع هذه الليلة أو صباح الغد، كان العقيد بهجت الأمين قائد منطقة الأغوار. وقالوا إن تلك

المعلومات من الاتحاد السوفيتي وسألوني: ماذا ستفعل؟ قلت: إنني في الانتظار، أعددنا سلسلة من العمليات العسكرية سنقوم بتنفيذها حال بدء الهجوم ثم رجعت للقاعدة في الخامسة صباحاً وقبل بدء الهجوم بحوالي عشرين دقيقة، ولم أضع نفسي في فراش النوم حتى سمعت صوت الطائرات، خرجت لأرى ما حدث وإذا بطيران العدو قد بدأ ضرب قوات الحجاب الأردنية المتواجدة على النهر في المقدمة، وفي الوقت نفسه شاهدت مجموعة كبيرة من طائرات الهيلوكوبتر قادمة باتجاهنا، فبدأت استنفار الشباب لكي يأخذوا مواقعهم.

أعلنا حالة الاستنفار القصوى، اتخذنا مواقعنا بشكل دائري حتى نستطيع أن نقاوم الهجوم من كل الاتجاهات حيث نستطيع التحرك في حدود كيلومتر من مواقعنا. بدأت المروحيات الإسرائيلية عمليات إنزال خلف خطوط المقاومة، وبدأت أشاهد في الوقت نفسه أرتال الدبابات الإسرائيلية تتحرك باتجاه الكرامة وبعد فترة بدأت أصوات مدافعها تضرب الكرامة، وأول مشكلة فكرت بها هي كيفية التعرف على القادمين من وسط بلدة الكرامة: هل هم فدائيون أم جنود إسرائيليون، وقد حدث ذلك بالفعل وكدت أن أصاب نتيجة هذا الاحتمال، حيث شاهدت مجموعة من المقاتلين تائهة وسط الوديان، يلبسون لباس الفدائيين المرقط، الملابس المموهة والحطة الفدائية الفلسطينية، ناديت عليهم وطلبت إليهم القدوم، طلبوا مني القدوم إليهم، بلكنة عربية، تقدمت فأمطروني بالرصاص وعندما عرفت أنهم جنود إسرائيليون يلبسون اللباس الفدائي للتمويه، احتميت بصخرة وبدأ جنودنا يتعاملون معهم، ودون مبالغة فقد قتلناهم جميعهم، كانوا في حدود 15 جندياً والسبب الأساسي أنهم في منطقة مكشوفة لا يعرفونها ونحن محصنون في منطقة نعرفها جيداً وبين الصخور المسننة والمدببة، لقد استطعنا إبادة المجموعة كلها بفترة قياسية لا تتجاوز عشر دقائق. كما تأكد لنا أنه على بعد مائة متر من هذه المجموعة كانت هناك مجموعة أخرى من الجنود الإسرائيليين، ودليلنا هو خروج دخان أحمر وأصفر، وهذه القنابل الدخانية الملونة تستعمل كإشارة ما بين القوات الخاصة للدلالة على احتلال موقع أو حدوث أمر ما، ولم تكن هذه القنابل بحوزة الفدائيين مما يؤكد وجود قوات إسرائيلية في

المنطقة، وهذه المجموعة تعاملنا معها أيضاً، فقد استطعنا تطويقها وأوقعنا بها الكثير من القتلى والجرحى ولم يعد يصدر منها إطلاق نار، بعد فترة كانت المفاجأة أن إطلاق النار أخذ ينطلق من خلفنا ومن كافة الاتجاهات.

كان عندي في الموقع شباب متطوعون قادمون من الكويت، كان من بينهم شاب اسمه عدنان وقد استشهد، لا أعرف اسمه الك-امل لكنه شاب مقاتل، طلبت إليه أن يصعد إلى أعلى قمة جبل يحيط بالكرامة مع شباب آخرين حيث يسيطرون على مصادر النيران القادمة من التلال المحيطة ويستطيعون حمايتنا وطلبت إليهم أن يقتصدوا بالطلقات وأن يبتعدوا عن التعامل بالطلقات السريعة؛ إذ لم يكن لدينا لاسلكي للتوجيه والتشاور، في هذه الأثناء ازداد الضغط علينا من الأمام واندلع قتال عنيف داخل الكرامة، على بعد كيلومتر واحد منا كانت حركة الطيران المروحي لنقل الجرحى إلى نقطة إسعاف مرئية أمامنا بوضوح، وكانت حركتها متواصلة مما يدل على كثرة المصابين في صفوفهم. وزعنا الأسلحة المخصصة لمقاومة المروحيات، كان لدينا رشاشان فقط من هذا النوع، وكان الشاب المقاتل حسني عبيد يحسن التعامل مع هذه الرشاشات، إنني أشهد لكفاءته، إذ أنه لم يمكن أية طائرة مروحية من الهبوط في محيط رشّاشة، وكان حين تشتد عليه الرماية يختبئ في ملجأ صغير قريب منه ثم يعاود مناوشتهم من جديد، لقد أصبح مصدر إزعاج لهم.

زرعنا مئات الألغام في الوديان والطرق التي من المحتمل مرور الإسرائيليين منها وذلك لمنع تقدم آلياتهم، لقد وزعنا 70 صندوق من الألغام كانت بحوزتنا، ولهذا لم يستطيعوا الوصول إلينا إلا عن طريق الدبابات، وكانت حركة المشاة بطيئة خاصة أن لهذه الألغام خيطان وما شابه، قمنا بتقسيم مجموعاتنا إلى قسمين: قسم أو مجموعة مع الضابط فتحي تستخدم الوديان، ومجموعة معي تمشي فوق الهضاب، كان القصف يأتينا من كل الجهات، ظل الرصاص يلاحقنا بغزارة شديدة، ولهذا توقفت وأرسلت مجموعة استكشافية لتعرف ماذا في رأس قمة الجبل ورجعت لتقول إنها مملوءة بالجنود الإسرائيليين، فكيف سنخرج إذن من هذا الطوق. كانت الساعة حوالي الثانية عشرة ظهراً، أي أنه من الخامسة صباحاً وعلى مدى سبع ساعات لم يستطع أي جندي إسرائيلي من

الوصول إلينا، لم تكن لدينا وسائل اتصال لنعرف الموقع، وكل المرافقين الذين قاموا بمحاولة الاستطلاع سقط أغلبهم برصاص القناصة الإسرائيليين، وأرسلت مساعدي للاستكشاف فأُصيب في دماغه واستشهد وهو الشاب «شحدة فضيل» من غزة -كما أعتقد- وهو بطل عسكري صلب كنت أعتمد عليه كثيراً فقد سقط حوالي الساعة الحادية عشرة، كان معي شباب من إربد كمرافقين استشهدوا من القصف المتواصل.

لا أذكر الأسماء الحقيقية، لأننا كنا نتعامل بالأسماء الحركية، حاولنا الانسحاب من الوديان وفعلاً سرنا حوالي خمسمائة متر وكان معي فتحي حتى تلك اللحظة، وساعدنا كثيراً الشاب عدنان الذي يتمركز في قمة الجبل وظل صامداً رغم قصف المروحيات المتواصل لإسكات رشاشه وهو شاب متطوع ومتحمس ولا يملك خبرة عسكرية لكنه يملك الجرأة والإيمان بقضيته، وظل يقاوم حتى الساعة 1.30 ظهراً عندما أصابته قذيفة وشطرته إلى نصفين، عرفنا بذلك حين بعثنا استطلاعاً لمعرفة الموقف على الجبال، فيما نحن سائرون في الوديان، اصطدمنا بكمين إسرائيلي من جبهتين ففتحوا النار علينا ورددنا عليهم ولكننا عدنا لمواقعنا، حاولنا العثور على منفذ وكلما سرنا باتجاه فاجأنا كمين إسرائيلي، فأدركنا أن التطويق كامل وخاصة بعد أن انقطع صوت رصاص رشاش عدنان، بعد ذلك رجعت مجموعة فتحي ومجموعتي مع قادة الدوريات، هناك شباب دخلوا إلى الكهوف والمغاور وقلت لهم: لا تحشروا أنفسكم في مثل هذه المناطق، وزرعنا أنفسنا على شكل قوس وبقي فتحي بالوادي، ويبدو أنه استخدم خيمة البدو الموجودة في المنطقة وهدها على نفسه مع مجموعة من رفاقه وظلوا تحت الخيمة ووضعوا لهم نقطتين: من اليمين والشمال أي بطريقة قوسية أيضاً، كنت على رأس هذا القوس والشباب من حولي على بعد 70-80 متر وبعضهم داخل مغارة أخذت أجول بنظري صوب البطل عدنان وصوب الكرامة، كان هناك نوع من الهدوء ما عدا صوت الطائرات المروحية الباحثة عن المقاتلين، كنت أرى الدبابات والمباني.

بدأت المدفعية الأردنية في العمل حوالي الساعة الحادية عشرة وبقينا موجودين في هذا القطاع حتى الساعة الثالثة تقريباً، ووسط الهدوء المطبق تفاجأنا بنزول دورية كبيرة العدد، اقتربت منا مسافة 40 متراً

وكانت في حدود أربعين شخصاً وقد قسموا أنفسهم إلى ثلاث مجموعات قتالية، وفي هذا الأثناء كنت قد حفرت موقعاً صغيراً، حفرته بمنظف الكلاشنكوف، وبنيت متراساً بحدود نصف متر من الحجارة والتراب، كانت معي بندقيتي وذخيرتي، وكان هناك تحفز، وصل قائد الدورية إلى مسافة تسعة أمتار تقريباً من موقعي، كنت أتأهب لرمي قنبلة على اليسار وأخرى على اليمين وأستعمل الكلاشنكوف، فليس هناك مفر من ذلك، ولكن هذا القائد كلما تقدم تزحلق في الواد، وفي هذه اللحظات وصلت مشاعري وأحاسيسي مرحلة الاستشهاد، لم يصل ذلك القائد العسكري إلى الصخرة وأمر دوريته بالانسحاب، إن ملامح ذلك الشخص ما زالت مثيرة عندي حتى الآن وربما أستطيع التعرف إليه؛ إذ انحفرت تلك الملامح في مخيلتي في لحظة مصيرية لا يمكن أن أنساها. لم أطلق النار فقد كانوا في حدود أربعين شخصاً وقلت في نفسي: لأتركهم يقتربون أفضل فقد كنت متأكداً من الاستشهاد ولهذا سأحاول إيقاع أكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوفهم، لكن ذلك الأمر لم يتم، هناك لحظات يندم فيها المقاتل لأنه لم يطلق النار، وفي لحظات أخرى يجب أن لا يطلق النار، فقد كان لطبيعة المنطقة دور في القرار، لقد اختفى ذلك القائد بمجرد أن سار بضعة أمتار بحيث لم يعد ممكناً التفكير مرة أخرى فيما يجب عمله.

استمرت المروحيات بتمشيط المنطقة لكنها لم تستطع العثور علينا وكان ذلك في حدود الساعة الثالثة ظهراً ولم يتمكن أي جندي إسرائيلي من دخول مواقعنا رغم كثافة الهجوم وحداثة الأسلحة وضخامتها قياساً بالإمكانيات المتواضعة، بحثت عن الشباب وقالوا إننا كنا جاهزين لإطلاق النار لو حدث اشتباك لكن ظلت الأمور تقديرية، نزلنا إلى الوادي والتقينا مع فتحي ومجموعته وذهبنا سوياً إلى قاعدتنا والتقينا باقي الشباب ومنهم حسني عبيد ووجدنا رشاشه سليماً، في الساعة الرابعة انسحبنا إلى منطقة عيرة وظلت المروحيات تلاحقنا بعد ان شعرت بوجودنا، خسائرنا كانت بحدود عشرين شهيداً بمن فيهم فتاة صغيرة من بدو المنطقة التي كنا نتواجد فيها، لا أذكر أسماء الشهداء لأنهم يحملون أسماء حركية وكان جزء منهم قادماً لتوه من الكويت كمتطوعين، فأنا مثلاً كان اسمي صلاح وليس صائب وهو اسمي الحقيقي. في نفس اليوم التقينا مع أبو عمار

وذهبنا للسلط كان معظم شهدائنا من الدوريات التي أرسلناها في مناطق متعددة، ولعدم وجود وسائل اتصال لم نعرف أين اتجهوا وماذا حدث لهم، ربما استشهد بعضهم وهو ينزف من دمه بسبب عدم وجود إسعاف، وفي اليوم التالي جاء صبحي الجابي وفايز الترك من قادة جيش التحرير ووجيه المدني (أبو يوسف)، وقمنا بتشييع الجنازات من المسجد الكبير، لقد أعطيت الصورة العامة للمعركة وكل مقاتل من مقاتلينا يستطيع ان يروي ملحمة صموده الخاصة.

بعد الكرامة وبعد أن خرج نصف مليون إنسان في الجنازة ازداد عدد المتطوعين في صفوفنا وفي صفوف حركة فتح أيضاً، لهذا افتتحنا مركز تدريب في جرش وجاءني في يوم واحد خمسمائة متطوع، واستوعبناهم، كانوا قادمين للقتال حيث لا رواتب والملابس قليلة وأغلبهم ينامون تحت الشجر، ثم افتتحنا مركز تدريب آخر في منطقة (خو).

وتقييمي للمعركة أنها لم تكن معركة بالمعنى الكلاسيكي التقليدي إلا إذا أخذنا الأمور من زاوية الجانب الإسرائيلي وما زج به من قوات نظامية هائلة، كانت الكرامة المعركة الفلسطينية الأولى، إذ جرى ثبات وتطور العمل الفدائي لسنوات بعد صمود الكرامة، لم يكن هناك انسحاب أو هروب بل مواجهة مباشرة لهذا لم تحقق إسرائيل نصراً عسكريا كما اعتادت على ذلك، فهم الذين طلبوا وقف إطلاق النار وانسحبوا، كانت خسائرهم واسعة حيث انفجرت فيهم مئات الألغام التي نشرناها بشكل عشوائي في كل مكان توقعنا مرورهم منه، فلم يحققوا هدفهم بالقضاء على العمل الفدائي وتدمير البنية التحتية للفدائيين بل حدث العكس حيث اندفع الآلاف من الشباب الفلسطيني والعربي للانضمام للعمل الفدائي، بالمعنى السياسي حققنا نصراً مؤزراً رغم الخسائر البشرية الواسعة التي تكبدناها حيث خسرنا خيرة المقاتلين لكن العبرة بالنتائج في نهاية الأمر[1].

(1) انظر معركة الكرامة الخالدة شهادات للأجيال والتاريخ (كتاب: توفيق أبو بكر).

يقول العميد المتقاعد «لبيب قدسية» عن دور قوات التحرير الشعبية في المعركة:

لقد تم اختيار مجموعة قتالية من **قوات القادسية**، التي كانت مدربة تدريباً قتالياً خاصاً (صاعقة + مظلات) وقد سميت هذه المجموعة (بقوات النخبة) وتحركت هذه المجموعة إلى منطقة الأغوار من الشونة الشمالية إلى الشونة الجنوبية، قبل معركة الكرامة بعدة أسابيع، وذلك من أجل تدعيم قوات التحرير الشعبية والعمل على تعزيز كافة التنظيمات الفدائية في الأغوار...

وكان قادة الفصائل التي تتشكل منها (مجموعة النخبة) هم:

- ملازم أول / سيف أبو الهيجاء.
- ملازم أول / خالد نايف السيد أبو راشد.
- ملازم أول / فتحي كريم الطباخي.
- ملازم أول / موسى محمد مدردس.

ويذكر العميد، خالد نايف السيد أبو راشد... الذي كان أحد الضباط الأربعة في هذه المجموعة، أنه زارنا (العقيد، بهجت الأمين، قائد قوات التحرير الشعبية، والعقيد عبد العزيز الوجيه، نائب قائد القوات)... قبيل اندلاع معركة الكرامة بحوالي (12) ساعة تقريباً، وأخبرونا بأنه سيكون هناك هجوم إسرائيلي واسع وشامل على منطقة (الكرامة) والأغوار، وعلينا نشر قواتنا في المنطقة، حتى لا تفاجئنا القوات الإسرائيلية من التلال الشرقية على الكرامة، بالإنزال من الخلف، وتم اختيار فصيلة الملازم أول، فتحي كريم الطباخي، الذي تحرك فوراً إلى التلال الشرقية للكرامة، ونشر فصيله في المرتفعات المذكورة، وتم تمركزها بشكل جيد للقضاء على أي إنزال إسرائيلي محتمل...

وفي ليلة الواحد والعشرين من شهر آذار عام 1968 بدأ الهجوم الإسرائيلي بالفعل، حيث تقدمت الدبابات من عدة محاور وبدأ القصف بالطيران على مواقع الجيش العربي الأردني الأمامية، وعلى مواقع

الفدائيين في الكرامة وعلى محيطها، وكانت معركة شديدة وواسعة النطاق، استخدم فيها العدو كافة صنوف الأسلحة...

وعند الساعة الخامسة صباحاً، شوهدت أسراب من طائرات الهيلوكوبتر الإسرائيلية تتجه نحو التلال التي تشرف على منطقة الكرامة من الجهة الشرقية خلفنا، حيث يتمركز فيها الملازم فتحي كريم الطباخي، وبدأ الإنزال الإسرائيلي على التلال نفسها التي كنا نتوقعها، بالتزامن مع تقدم الدبابات نحو موقع الكرامة، وقصف الطيران الإسرائيلي على معظم المواقع في الأغوار، وحتى مرتفعات مدينة السلط...

لقد قاومت فصيلة الملازم أول فتحي الطباخي جنود الإنزال الإسرائيلي ببسالة وشجاعة نادرتين، حيث أنهم اشتبكوا معهم بالسلاح الأبيض وجها لوجه، وقتلوا أكثر من 30 جندياً إسرائيلياً، وجرحوا أعداداً كبيرة منهم، شوهدت طائرات الهيلوكوبتر، وهي تنقل القتلى والجرحى إلى داخل الأراضي المحتلة...

واستشهد من فصيله فتحي الطباخي حوالي (11) شهيداً، وأكثر من عشرة جرحى من بينهم فتحي نفسه، وظلت المعركة مستمرة على مدى ست ساعات متواصلة وتمكنت القوات الإسرائيلية من السيطرة على الكرامة، ثم تقدمت دباباتهم باتجاه شمالي الأغوار على الشارع الرئيس، مع استمرارية قصف الطيران والمدفعية على عدة مواقع للفدائيين وللجيش العربي الأردني...

ولم يتغير الموقف العسكري إلا بعد أن تدخلت القوات الأردنية المسلحة، وألقت بحمم قذائفها على أرتال الدبابات الإسرائيلية التي فوجئت بهذا القصف المدفعي الشديد، الذي أحدث أضراراً كبيرة بالدبابات والآليات والجنود، مما أدى إلى تراجع القوات الإسرائيلية وانسحابها باتجاه نهر الأردن... وهي تجر قتلاها وجرحاها... وظلت العديد من الدبابات والآليات العسكرية متروكة في ساحة المعركة... لم يتمكنوا من سحبها...

وعلى إثر التدخل العسكري الأردني في هذه المعركة البطولية، طلبت إسرائيل وقف اطلاق النار لكثرة خسائرها في المعدات والأرواح، وحتى

تتمكن من سحب قواتها التي فقدت السيطرة عليها، وعندما توقف اطلاق النار بين الجيش الأردني الباسل وجيش الاحتلال الإسرائيلي المنهزم... بدأنا نجمع الشهداء والجرحى من أرض المعركة، وأذكر أنه كان من بين الشهداء الأبرار في هذه المعركة المشرفة اثنين من الضباط الأردنيين وهم: الشهيد البطل راتب البطاينة، والشهيد البطل عارف محمود محمد الشخشير اللذين كانا في مواقع قتالية قريبة من مواقعنا.

وكانت حصيلة شهدائنا من (قوات القادسية): (11) شهيداً، و (10) جرحى - من فصيل الملازم أول، فتحي الطباخي... ومن قوات التحرير الشعبية (16) شهيداً وأكثر من (30) جريحاً وكان قائد القطاع الجنوبي لقوات التحرير الشعبية هو الملازم أول، صائب العاجز... أما قائد منطقة الأغوار فكان العقيد «بهجت الأمين»، ونائبه، العقيد «عبد العزيز الوجيه».

شهادة العميد ممدوح نوفل[1] (عضو المجلس المركزي للمنظمة وأحد قادة الجبهة الشعبية العسكريين في ذلك الوقت) :

(1) **المناضل ممدوح نوفل** من مواليد مدينة قلقيلية عام 1944م، وانتمى لحركة القوميين العرب في 1961م، وشارك في نشاطاتها الطلابية والسياسية والجماهيرية .انتقل للجناح العسكري للحركة «شباب الثأر» و«أبطال العودة « العام 1965، وشكل مجموعة مسلحة في منطقة قلقيلية عام 1966م، ترك سلك التدريس بعد هزيمة حزيران 1967م، والتحق بالعمل الفدائي في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من بداية تأسيسها. واسهم في تأسيس الجناح العسكري للجبهة في الأردن العام 1968م، وشارك في تأسيس الجبهة الديمقراطية بعد انشقاقها عن الجبهة الشعبية في شباط 1969م، وتولى قيادة قطاع عسكري. وتولى مهمة قائد قواتها العسكرية من 1972م، 1988م، وكان عضوا في لجنتها المركزية ومكتبها السياسي. سُمي عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني منذ عام 1971م وبقي عضوًا فيه. كما عين عضواً في المجلس العسكري الأعلى للثورة الفلسطينية منذ تأسيسه عام 1974م، غادر بيروت مع قوات الثورة بعد حرب 1982م، وعاد إلى لبنان وشارك في إعادة تنظيم القوات الفلسطينية. وتولى مهمة قيادة قوات الثورة هناك الأعوام 1986، 1987، 1988، وغادر لبنان إلى تونس بعد الانتفاضة في أيلول 1988م، وعين عضواً في اللجنة العليا لشؤون الوطن المحتل، وعضو قيادة العمل اليومي للانتفاضة التي كان يترأسها ياسر عرفات. وعين عضوًا في القيادة الفلسطينية ممثلاً للجبهة الديمقراطية العام 1988م وعضواً في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، وشارك في أعمال مؤتمر مدريد العام 1991م كمندوب عنها. وله مؤلفات عدة اختصت بالحركة الوطنية الفلسطينية.
أخذت شهادته من كتاب «معركة الكرامة» للكاتب توفيق أبو بكر .

خلال معركة الكرامة، كنا في حينها في إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان للجبهة عدد من المواقع في الأغوار، وكانت مواقع الجبهة تنتشر من الشونة الشمالية إلى الشونة الجنوبية، وأنا كنت في تلك الفترة أعمل في إطار مسؤول التفويض السياسي على المواقع العسكرية في منطقة الشمال، التي تمتد عملياً حتى الشونة الشمالية، وكنت أتولى في تلك الفترة مسؤولية مباشرة عن قاعدة عسكرية في منطقة قريبة من قرية (وقاص) تحت منطقة الوهدانة وهذا الموقع ملاصق لنهر الأردن.

وفي حينها رفع شعار، حاولت الجبهة أن تترجمه بأن المعركة يجب أن تكون وتدور على أرض الوطن، ما أمكن حتى لا يتم إغلاق الطرق، ولكن في الواقع كانت جميع الفصائل الفلسطينية المتواجدة في الساحة في تلك المرحلة، كانت تقوم بعمليات حدودية وفي الوقت نفسه كانت تقوم بمحاولات للقيام بعمليات في العمق وكانت ترسل أسلحة، قبل معركة الكرامة كانت الأجواء توحي بأن هناك عملية عسكرية إسرائيلية واسعة، وأذكر في حينه كيف أطلق موشى دايان تصريحات عن الفدائيين والفصائل الفلسطينية والعمل الفدائي وأنه قال: (سأكسر هذا الزهو وسأحطم هذا العمل)، في ظل هذه الأجواء وتصاعد الحديث عن إمكانية القيام بعمل عسكري، كانت هناك تحضيرات ونقاشات حول كيفية المواجهة، وما هو الدور الذي يجب القيام به أذكر في حينها -إذا كانت الذاكرة لا تخونني- أنه برز في حينها اتجاهان في الساحة الفلسطينية، الاتجاه الأول يدعو إلى المواجهة العسكرية المباشرة، والتصادم المباشر في ميدان المعركة وهو نمط قتالي جديد على المقاومة الفلسطينية، وأشبه بالقتال الدفاعي. أي الدفاع عن المدينة والدفاع عن المنطقة وعن الموقع والقتال فيها. وقد برز هذا الاتجاه (وبشكل رئيس عند فتح) وكانت تطرح مثل تلك الأفكار لضرورة المواجهة في ميدان المعركة وهذه فرصة لإيقاع خسائر بالعدو ومواجهته وتكريس صورة إيجابية عن المقاتل الفلسطيني، وكانت ترى فتح في تلك الفترة بأنه إذا وقع الهجوم فانه مناسبة أيضاً أن يقوم المقاتلون الفلسطينيون بالدفاع عن مواقعهم وأن يبرزوا دورهم العسكري بصورة إيجابية.

بالمقابل كان هناك اتجاه آخر برز في الساحة الفلسطينية في حينها يدعو لخوض المعركة على غرار حرب العصابات (حرب الكر والفر، اضرب واهرب) وطرح من القيادات في إطار الجبهة الشعبية في حينها بأنه من الأسلم عدم المواجهة العسكرية بشكل مباشر بل ترك العدو يتقدم ثم القيام بضربات عسكرية من الأطراف والإيقاع بهم بأكبر عدد من الخسائر، والانتشار في المناطق الجبلية المشرفة على المنطقة، وفي أجناب المنطقة المتوقع فيها عمليات عسكرية وكان الهدف تحت شعار تقليل الخسائر ما أمكن وعدم القدرة على المواجهة المباشرة وفي حينها أذكر، أنه أعيد توزيع القوات وإخلاء عدد من المواقع في المنطقة وخاصة في منطقة الكرامة وأعيد نشرها في المناطق الجبلية وأخليت بعض المواقع التي كانت على النهر بشكل مباشر وأبقيت فقط كمواقع محروسة من قبل أفراد محدودين وتم إخلاء بعض المواقع ضمن الخطة والتصور في حينها، بأنه يجب الانسحاب من منطقة الكرامة ومن مناطق الصدام المباشر مع العدو المتقدم. أذكر في حينها قدم بعض القادة العسكريين في الجبهة الشعبية عندي في (وقاص) من ضمنهم أبو رأفت وأبو حسام وضباط آخرون ممن كانوا في جيش التحرير الفلسطيني، وقدموا للجبهة الشعبية من قوات (عين جالوت) وكانوا من المقاتلين الذين ساهموا في حرب 1956م، والتحقوا بجيش التحرير الفلسطيني، قلت أبو رأفت وأبو حسام من قوات حطين والملازم عمر وهؤلاء من القادة العسكريين المتواجدين في منطقة الكرامة حيث غادروا المنطقة، إلى منطقة مرتفعات السلط في المعسكرات الرئيسية، فقدمت هذه القيادات إلى منطقة الأرياف الشمالية وعلى أساس أن يكون دورها لاحقاً في قيادة المعركة من خارج منطقة الكرامة، والقيام بعمليات من الأجنحة.

تحركنا إلى المنطقة ولكننا لم نستطع الدخول إلى منطقة الكرامة إلا بحدود الظهر وكانت المواجهة الرئيسة قد حصلت مع حركة فتح وقوات التحرير الشعبية فهؤلاء الذين خاضوا معركة الكرامة داخل البلدة، وكانت القوات الإسرائيلية التي تقدمت وصلت إلى منطقة الكرامة ومنطقة العارضة والشارع الرئيس لمنطقة الأغوار، وكانت خسائرها من الآليات

المتواجدة في المنطقة وكانت هذه القوات في حالة تراجع والمعركة ما زالت مستمرة مع الجيش الأردني، ما زالت في المنطقة الأردنية من النهر، وفي تلك المعركة أعتقد أن الخسائر الكبيرة كانت في صفوف الجيش الإسرائيلي، ولا أذكر أعداد القتلى وهوياتهم ولكن يمكن الرجوع إلى الأرشيف وما كتب في الصحافة الأردنية والعربية حول الموضوع ويمكن أيضاً استشفاف الدور العسكري للفصائل من خلال حجم الشهداء، لكن أستطيع أن أقول في تلك الفترة كانت المقاومة الفلسطينية وفصائل منظمة التحرير، فصائل العمل الفدائي بشكل عام بحاجة إلى مثل تلك المعركة، وكان بعض قياديي فتح يرون مثل هذه الحاجة ويتمنون وقوع المعركة فكانت الآراء والمواقف داخل اللجنة المركزية لحركة فتح تؤيد وتتمنى حدوث مثل هذه المعركة من أجل تثبيت الدور السياسي وليس الدور العسكري فقط للفصائل.

قادت المقاومة الفلسطينية المعركة داخل الكرامة، وأستطيع أن أقول بأن الدور الرئيس تحملته حركة فتح، وكما يجب أن لا ننكر دور الجيش الأردني وخاصة لامتلاكه للمعدات الثقيلة التي لم تكن متوفرة لدى المقاومة، من مدفعية بالإضافة إلى المواقع المحصنة التي كانوا فيها. شاركت المدفعية الأردنية بشكل ممتاز في دعم وإسناد المقاتلين الفلسطينيين من ناحية ومن ناحية أخرى إلحاق خسائر بالقوات المتقدمة الإسرائيلية، وشاركت كافة الأسلحة الأخرى. لو لم يتدخل الجيش الأردني فهل كان من الممكن أن تتحول المعركة إلى حرب إبادة ضد المقاتلين الفلسطينيين، لا أستطيع تحديد ذلك.

وفي الحقيقة وقعت خسائر ليست بالبسيطة في صفوف فدائيين فتح وقوات التحرير، وأنا لا أذكر حجم القوات المتواجدة في الأردن، ولكن نسبة الخسائر ليست بالبسيطة، خاصة إنها حصلت مواجهات مباشرة في شوارع المدينة، وأذكر يومها بعد الظهر أن أبا عمار أمر بتجميع الشهداء في غرفة كانت على الزاوية في وسط البلد في الشارع الرئيسي، وجاء في وقتها أبو عمار وعدد من القادة العسكريين إلى ساحة المعركة التي لم تكن انتهت بعد، والتراشق المدفعي لا زال جارياً، بعد هزيمة الإسرائيليين

وتدمير الآليات ووقوع خسائر في صفوفهم، وترك أسلحة على أرض المعركة تم تجميعها.

ومن الممكن أن عدداً من المقاتلين من الجبهة الشعبية أو من فتح أو من أي فصيل آخر حتى لو لم يكن مشتركاً في المعركة، قام بجمع أسلحة وعرضها في حينها كان التنافس على الدور في المعركة، كانت فتح على حق في معركة الكرامة حين قدمت هذه التضحيات الباهظة، من الناحية العسكرية الصرفة، كان يجب الابتعاد عن المواجهة المباشرة بين فدائيين حديثي التجربة وجيش نظامي، إذا عزلنا الأمور عن سياقها السياسي والجماهيري، ومن يضع خطة للمواجهة العسكرية يمكن أن تكون أشكال المواجهة الواسعة والدفاع الثابت غير صحيحة ولكن السياق التاريخي للمعركة وأهميتها كأول معركة كان العامل الحاسم، وكانت المقاومة والفصائل بحاجة لها، أنا أعتقد أن التضحيات التي قدمت من خلال التكتيك العسكري الذي أتبع كان سببها ومردودها كبيراً وبالتحديد لصالح حركة فتح التي قادت المعركة عملياً داخل الكرامة والتي قدمت فيها تضحيات كبيرة.

ولاحقاً حصدت نتائجها السياسية، أنا لا أذكر متى دخلنا المجلس الوطني الفلسطيني نحن (الفصائل 1968م) بعد الكرامة وأعتقد بأن ذلك الدخول كان واحداً من المردودات الإيجابية للكرامة، وكان لها دور في تكريس المقاومة الفلسطينية ولزعامة الحركة الفلسطينية الرسمية، حتى معركة الكرامة لم تكن الفصائل المسلحة هي القيادة الرسمية للمنظمة في تلك الفترة، ولم يكن ثقلها قد دخل في جسم المنظمة، جاءت معركة الكرامة لتضع حداً لذلك ولتضعف دور المستقلين في إطار منظمة التحرير ولتعزز دور الفصائل ولتمهد لسيطرة الفصائل على المنظمة .ويمكن أن نقول أنه منذ ذلك التاريخ بدأ عصر الفصائل في منظمة التحرير الفلسطينية، أي استيلاء الفصائل العسكرية على قيادة المنظمة.

شهادة اسعد سليمان حسن عبد القادر (صلاح التعمري) :

صلاح التعمري هو الاسم الحركي الذي عرف به وحتى اليوم كان من أوائل الشباب الذين التحقوا بصفوف الثورة، كان مثقفاً ذا حضور قوي، خطيب يحسن اختيار كلماته، وأصبح كادراً تعبوياً ترك إثره في معسكرات الأشبال بعد العودة للوطن انتخب كعضو للمجلس التشريعي، هو عضو للمجلس الثوري لحركة فتح كما انه يشغل منصب محافظ مدينة بيت لحم. **وفي شهادته حول معركة الكرامة يقول التعمري :**

في الكرامة بدأت تجربة من نوع جديد بعد أن فشلت محاولات العودة للوطن والالتصاق بترابه، حيث تحولت الكرامة إلى قاعدة الارتكاز الأساس في الأغوار الوسطى، بدأت العمل المتواصل لتدريب المتطوعين على السلاح بأسلوب بسيط

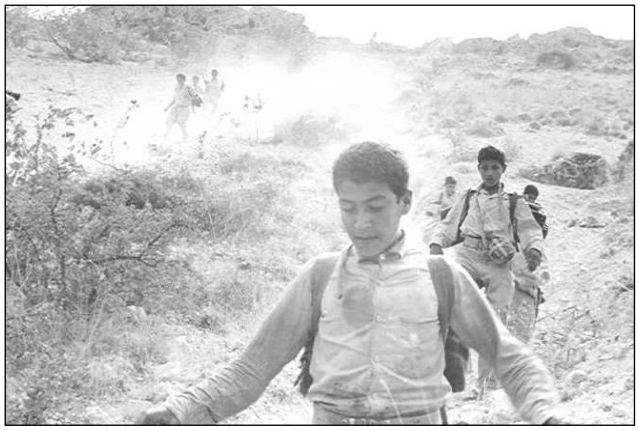

معسكر لتدريب الأشبال

حيث كنت أحمل قطعة السلاح وأطوف على البيوت لأعلم الناس مبادئ الاستخدام الأولية، وفي الليل كنا نتوجه نحو نهر الأردن لاستكشاف إمكانية نزول دوريات أو لاستقبال دوريات عائدة، وذات يوم وحين كنت في القاعدة الأساسية وسط الكرامة أبلغوني أن مدير المخابرات العامة الأردنية «محمد رسول الكيلاني» موجود ويريد الحديث مع رئيس

الفدائيين، فذهبت إليه، إذ أنني المسؤول الأول في غياب أبو عمار وأبو جهاد وأعضاء اللجنة المركزية، وكان يريد الرائد خالد (فايز حمدان) الذي تفرغ في الثورة بعد خروجه من الجيش الأردني. عدت للقاعدة وأبلغت الرائد خالد الذي لم يذهب بالطبع لأنني قلت لمدير المخابرات إنه غير موجود لدينا الآن، وكانت الحقيقة غير ذلك، نقلنا القاعدة إلى بيت (أم يوسف) وهي ممرضة كانت مع الثورة وتحمل سلاحها على الدوام. بجانب البيت أنشئت القاعدة الشهيرة: (صفر - صفر) في الكرامة وقاعدة (بنزرت) في الجبل وقد اخترت لها هذا الاسم لأنه يرمز للكفاح ضد الاحتلال، لقد ارتبط اسمي بالقاعدة (صفر - صفر) لأنني أنشأتها ولكنني كنت المسؤول المركزي في قواعد الغور الأوسط، لعله ومن المفيد أمام ما حصل بعد ذلك من ثراء أن أذكر بأنني فرضت (التقشف) في القواعد باقتصار الدخان على دخان (لولو) الذي كان أرخص الأنواع في ذلك الزمان، وقد طبقت ذلك، وقبِله الشباب عن طيب خاطر، قاعدة «بنزرت» في الجبال المحيطة بالكرامة أبلت بلاءً حسناً يوم معركة الكرامة حيث لم تكن مكشوفة للمهاجمين الإسرائيليين ولهذا لعب مقاتلوها دوراً بارزاً في إيقاع الخسائر بالعدو، كان في القاعدة مقاتلون من قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني، ويمكن للعميد صائب العاجز إعطاء صورة أوضح عن قتال هذه القاعدة الباسلة يوم واقعة الكرامة، وذلك حتى نتمكن من تدوين تاريخنا المعاصر دون تحوير أو تزوير وحتى تقرأه الأجيال، الصاعدة بعد إعادة صياغته بأكبر قدر من الموضوعية والصدق والتجرد والبعد عن الانحيازات، أياً كانت.

لقد عملت في الكرامة وأسهمت في تجربة (أشبال الثورة) ودفع هذه التجربة للأمام وللاستقرار لتكون الترجمة الحقيقية لشعار الحرب الشعبية الطويلة الأمد، وقاتلت في جنوب لبنان، حيث لدي تجربة طويلة هناك، وعشت في الأسر في معسكر أنصار، بين كل هذه التجارب الممتدة عبر حوالي عقدين من الزمان وبين هذه التجارب الممتدة على مدى الساحات خيط يربط بينها وهو الإخلاص والعمل في إطار فتح - ضالتي التي تمسكت بها وملكت عليّ عقلي وقدمت لها كل طاقتي لأنها في نظري

الطريق لخدمة الوطن وتحريره واستقلاله، وهناك علاقة عضوية بين جيلنا وجيل الانتفاضة؛ إذ كما كان الكفاح المسلح وسط الظلام العربي إبداع جيلنا، فإن الانتفاضة وسط ظلام مشابه وإن كان في ظروف مختلفة هي إبداع الجيل الجديد من أبناء شعبنا، لا بد من التدقيق في هذا الترابط بين إبداعات الأجيال الفلسطينية ولا بد من إعطاء الناس حقهم حين تنتصب موازين العدالة.

مع تطور الوجود الفدائي في الأغوار بدأ الناس يشعرون بأن احتمالات القضاء على الفدائيين وقواعدهم الناشئة في الأغوار قد تراجعت وانحسرت واعتبروا هذه التطورات انتصاراً رمزياً لصمود الفدائيين، ولهذا بدأت حركة تطور واندفاع نحو الانضمام للثورة، وتزايد عدد المتطوعين يوماً بعد يوم، وبالطبع حصل الاندفاع بالآلاف بعد انتصار معركة الكرامة من كل حدب وصوب ومن كل أقطار العرب، ولكن الشهور التي سبقت المعركة تميزت هي الأخرى باندفاع الشباب الفلسطيني والعربي نحو التطوع في صفوف الثورة التي بدت الأمل الوحيد في استعادة الكرامة العربية المهدورة، وكانت الأغوار -والأغوار الوسطى خاصة- هي بوابة الثورة وكنت أحد الواقفين على البوابة وأحد حراسها في ذلك العصر الذهبي للثورة، في تلك الفترة انضم للثورة رجال برزوا فيما بعد بميولهم القتالية وإبداعاتهم الكفاحية ومنهم شاستري ورشيد نجم وبعض القيادات الحالية.

في تلك الفترة بدأت أتحدث عن أن الكرامة ستدخل التاريخ وأنها ستكون نقطة تحول، إذ أصبح واضحاً فشل أية محاولات لتحقيق صدام بين الجيش الأردني والفدائيين، الجيش لم يكن مهيأ لهذا الصدام ولم يكن مقتنعاً به خاصة في الأغوار وليس في المدن، اذا كان الجيش يرى كل يوم الدوريات الفدائية الذاهبة صوب الوطن للقتال والاستشهاد ويرى الضحايا والشهداء في كل يوم ويعلم علم اليقين أن لا مطمع لهؤلاء الشباب الفدائي الذي هجر جامعاته وطموحاته وحمل دمه على كفه ليقدمه من أجل الوطن، المسألة ليست فنية أو ميكانيكية وليست فقط القدرة العسكرية المتوافرة عند الجيش لاجتثاث جذور الفدائيين، بل يتعلق الأمر بعامل

القناعة والعامل النفسي، فالجنود والضباط يعلمون أننا نعمل من أجل استعادة الكرامة العربية، أخذت القوات الإسرائيلية تقوم بالقصف المتواصل على الكرامة، وفي أحد الأيام استمر القصف ثماني ساعات متواصلة، للمفارقة أن هذا القصف كان يشتد أيام الخميس بالذات، ربما لحرمان الناس من قضاء إجازاتهم في الأغوار، و بدأت خدمات وكالة الغوث تتناقص يومياً بسبب الأوضاع الأمنية، وتناقصت محاصيل الخضروات؛ لذا أخذنا نساعد المزارعين على جمع محصولهم. أغلقت المخابز أبوابها، فافتتحنا فرناً (مخبزاً) على حسابنا لإطعام الناس، ولم تعد هناك عيادات طبية، أتذكر أن د. عبد الله حجازي وكان في الهلال الأحمر الفلسطيني مداوم في عيادة الكرامة. كانت آمالنا كبيرة وأحلامنا عريضة.

إنها مرحلة جميلة بكل ما فيها، لم يكن 1 + 1 = 2 عندنا بل 1 + 1 = 11 على الأقل ولا يوجد هناك شيء غير ممكن طالما توفرت الإرادة، هكذا كانت نفسياتنا وتركيبتنا، كنا تجسيداً حقيقياً لإرادة أمتنا العربية المجروحة بفعل الهزيمة والرافضة الاعتراف بنتائج تلك الهزيمة، الإرادة هي الجسر الذي يصل بين الواقع المزري آنذاك وبين الآمال الكبيرة، وذلك بإعادة تعريف الأشياء وهز البديهيات والإيمان بالنصر الحتمي، القادم في نهاية الطريق المليء بالأشواك والمتاعب والجماجم والدماء، بدأت إقامة الأنفاق تحت الأرض في الكرامة ولم يعرف زملائي بما كنت أقوم به إلا في الأيام الأخيرة التي سبقت المعركة، إن فكرة الأنفاق بسيطة فالناس لديهم ملاجئ في بيوتها، فبدأت أصل هذه الملاجئ بعضها ببعض باستخدام المواد المتاحة البسيطة. أصبحت الكرامة كمعركة مع الإسرائيليين مؤكدة بعد أن نجحنا في تجنب الصدامات مع إخوتنا في الجيش الأردني كان شعار فتح منذ اليوم الأول: (كل البنادق تصوب نحو العدو)، وكنا نؤمن أنه لا غالب ولا مغلوب في أي صراع عربي -عربي، عربي- فلسطيني فالجميع خاسرون في مثل هكذا مواجهات. انظر إلى حرب الخليج مَن انتصر فيها، والحرب الأهلية في اليمن، فكل الحروب العربية الداخلية لم ينتصر فيها أحد وإنما الجميع مهزومون في النهاية.

في الأسابيع التي سبقت الكرامة خسرنا عدداً من خيرة الشهداء إما بسبب القصف المتواصل والمتصاعد الذي استهدف الإنهاك والإرباك توطئة للهجوم البري لاجتثاث جذور الفدائيين وإنهاء البنية التحتية لهم، كما كانوا يتصورون، وإما بسبب الاشتباكات مع الدوريات العسكرية التي كنا نرسلها إلى أعماق الوطن، في تلك الفترة خسرنا «وديع عبد اللطيف» و«أمير ريان»، ووقع «وليم نصار» في الأسر «وأسعد رشيد»، نحن الذين بقينا في الكرامة أصبحنا نعمل مثل خلية النحل لأننا متأكدون من وقوع المعركة، عاجلاً أم أجلاً، فكان معنا أبو علي وأبو سيف وأبو زكي مرافق أبو عمار وكنا نعمل كفريق متكامل ببساطة وسهولة ودون تعقيدات ودون بيروقراطية. أمورنا المالية متواضعة، ليس لدينا مراقبون ولم نكن نملك هذا الجيش العرمرم من الإداريين كما هو الحال فيما بعد، كنا ننتظر المعركة وقررنا الدفاع عن كل شبر وعن كل شتلة بندورة في الأغوار، هؤلاء الشباب المؤمنون الحالمون بمستقبل مشرق كانوا قد قطعوا جسورهم مع حياتهم الخاصة وطموحاتهم الذاتية في حياة رغدة (البيت والسيارة والزوجة). كان الطموح نضالياً واستشهادياً -إذا صح التعبير- بمعنى أن الشباب كانوا يتنافسون في النزول مع الدوريات، كان الغضب وسوء التفاهم ينشأ من نزول أحد الشباب في خمس دوريات على سبيل المثال، وعدم نزول شاب آخر في أكثر من دورية أو دوريتين... لماذا يحدث ذلك؟ إنه تسابق على نيل شرف الكفاح والصدام مع العدو وربما الاستشهاد، تغيرت الأمور بعد ذلك كما نعرف جميعاً وأصبح الصراع يقوم على أساس الطموحات القيادية وامتلاك القدر الأكبر من الامتيازات، وليس على أساسات نضالية.

في ذلك الزمان كان الإيثار هو القاعدة والأنانية هي الاستثناء، أتذكر أنه قبل حدوث معركة الكرامة بليلة واحدة كنا نجلس تحت شجرة الموز وكان أبو صبري موجوداً، جاءنا الشاب الوسيم «رؤوف» وهو يرتدي أجمل الملابس ويبدو حسن الهندام، قال له المرحوم أبو صبري: (مالك لابس اللي على الحبل) وهو تعبير شعبي يعني أن الشخص يلبس أجمل ما عنده بعد أن يلتقطه من حبل الغسيل، أجابه بقوله: يجب أن ألبس

أحلى اللباس لأستشهد وسيماً -فقد أستشهد غداً- هكذا هو الاستشهاد في نظرنا في ذلك الزمان: إنه ذهاب إلى عرس وحفلة زواج وفي أسعد لحظات الفرح والسعادة. الانتصار لم يكن يعني بالضرورة هزيمة الآلة العسكرية الإسرائيلية ولكن يعني الالتحام والصمود والقتال وعدم الانسحاب، الانتصار أن ترى بأم عينيك آلافاً مؤلفة ستأخذ مكانك حين تسقط شهيداً، ولهذا فالانتصار لم يكن مرتبطاً بحياتنا بمعنى أنه قد لا يتحقق بفعل تضحيات جيلنا وتلك فلسفة الحرب الشعبية طويلة الأمد، على أية حال. ولكن ماذا عن معركة الكرامة بشكل مباشر.

أخذت القيادات تتردد على الكرامة، حين أصبح احتمال المعركة قريباً، وأخذت في الإقامة داخل المخيم وحددت لهم أماكن للنوم ليلاً في منازل تقع على أطراف الكرامة ومنهم أبو **إياد وأبو اللطف** قمنا بتوزيع القوات داخل الكرامة لاحتمالات المعركة، استلمت مجموعة أبو الشريف الطرف الغربي من الكرامة، كانت قوة من الجبهة الشعبية خلف هذه المجموعة وتشكل حماية لها، وفي جنوب الكرامة كانت مجموعات بقيادة الحاج إسماعيل، وفي الشمال الشرقي فوق الطريق العام أقامت قوات التحرير الشعبية قواعد لها بقيادة العميد صائب العاجز، وفي الشرق كانت قاعدة (بنزرت) وكان إبراهيم إستنبولي فوق مزارع الدجاج. كان لنا معسكر تدريب يقع خلف التلة المطلة على الكرامة من الشرق وكان يقود المعسكر التدريبي الشاب «ماهر». لا بد من ملاحظة كثرة الأسماء الحركية التي يستعيرها الشباب المتحمس من ثوريي تلك الحقبة: ماوتسي تونج، جيفارا، وغيرهم. أما أنا فقد كنت وسط الكرامة عند الساحة الرئيسة مع مجموعات مقاتلة. قبل المعركة بيوم واحد نزلت مع أبو صبري وأحمد جبريل، الذي كان القائد العسكري للجبهة الشعبية، للتنسيق مع الجيش الأردني والتقينا الضابط الأردني الشجاع «كاسب صفوق»، واتفقنا على القتال والصمود وقد أنزل وحدة مع حاملة جنود تمركزت في الجهة الغربية من الكرامة، لم تكن الجبهة الشعبية قد قررت الانسحاب من المواجهة والاكتفاء بضرب القوات المهاجمة من الأطراف وأثناء

الانسحاب، والدليل على ذلك أن جبريل جاء معنا للتنسيق ولم يتحدث بمخاطر المواجهة على فدائيين في مواجهة جيش نظامي كما قال فيما بعد.

لقد عرفت بانسحاب (الشعبية) في الساعة السادسة إلا ربعاً حيث بدأت المعركة في الخامسة، وفي الساعة 5.45 قامت قطاعات من الجيش الأردني بتغيير مواقعها، وعندما حاول شاب من فتح اسمه «فيصل» أن يغير مواقع وحدته هو الآخر، طلبت إليه أن يبقى مكانه، ولكن رد بالقول إن الجيش الأردني قد غيَّر مواقعه ولم تعد له حماية. قلت: إن عناصر الجبهة الشعبية يتواجدون خلف موقعك، وعندها أخبرني أنهم انسحبوا ولم تعد له حماية ولا يستطيع الاستمرار في موقعه. كانت أسلحتنا بسيطة ونستعد لنواجه بها جيشاً نظامياً قوياً ينوي دفع قوات كبيرة من كل الأسلحة لحسم المعركة سريعاً والعودة لمواقعه. كان عندنا رشاش دوشكا جلبناه من هضبة الجولان، كان عروس الأغوار، ووصلتنا دفعة أسلحة ليلة المعركة عبر دمشق ولم نتمكن من إنزالها كاملة حيث وصلت الساعة الرابعة صباحاً وأخذنا منها ثلاثة مدافع هاون كما أذكر، كان يقف وقتها أبو العز مدير مكتبنا في الجزائر. لم تكن لدينا خطط وتكتيكات عسكرية وما شابه، كنا بضع مئات من العناصر في مواجهة عدد من الألوية العسكرية المعززة بالدبابات والطائرات والصواريخ، لو تمكنا من شن حرب عصابات لأحدثنا إرباكاً واسعاً لهم، ولكن المعركة معركة مواجهة، كما قررنا لأسباب سياسية ونفسية واستراتيجية، وأثبتت تطورات الأحداث أننا كنا على حق؛ إذ تحولت الكرامة إلى نقطة تحول لصالح العمل الفدائي ولسنوات بعد ذلك. حصلت بطولات فردية هائلة لا بد من تدوينها والتأريخ لها ليعرف الجيل الحالي أننا لم نقصر في دفع ضريبة الدم وليقف على أرضية من العز والشموخ والكبرياء. الكرامة بحد ذاتها دراما لا تحتاج منا لأية مبالغة، فقد شهدت أرضها بطولات نادرة وفقدنا فيها خيرة شبابنا. فيها استشهد رؤوف وأبو الشريف وعدد كبير من أفراد قاعدته. كنت قلقاً على عبد الإله الأتّيري لأنني وجدت مسدسه وبجانبه بقع من الدم وتبين أنه وقع في الأسر، رأيت أبا الشريف شهيداً مسجى على الأرض وقد قطعوا رأسه وقمت بتغطيته بسعف النخل وأشتال الباذنجان. بالنسبة لي، لقد حوصرت

في المنطقة الرئيسة وسط البلدة وكل ما أتذكره قبل النزول للنفق أنهم نادوا عليّ بمكبرات الصوت بالاسم وطالبوني بالاستسلام بعد أن اندفعت قواتهم إلى ساحة البلدة، وأتذكر أنه قد بقي معي خمس أو ست طلقات، قصفوا المكان ولحسن الحظ كانت إصابتي بسيطة جداً ونزلت في أول خندق، بدأوا عملية البحث عني وعن مقاتلين آخرين، كان معي فتى متحمس اسمه فايز وبحوزته قنبلة يدوية أما أنا فأحمل المسدس جاهزاً لإطلاق الرصاص، قلت له: ليقف كل واحد منا على مدخل من مداخل النفق فإذا اقتحموا النفق أفرغنا ما بيدنا من طلقات في رؤوسهم وتكون النهاية مشرفة شجاعة كما أردناها منذ البدايات، ولكنهم بحثوا عنا ولم يجدوا أحداً.

بدأت المدفعية الأردنية القصف على القوات الإسرائيلية المتوغلة نحو الكرامة، في الكرامة وأنا أتقي الله في شهادتي لم يقاتل من القوات الفدائية سوى فتح وقوات التحرير الشعبية، هذه هي الحقيقة، إنني أتحدث عن الفدائيين وليس عن الجيش الأردني فمنذ الصباح تدخلت المدفعية الأردنية واستمر قصف المدفعية حتى المساء حين بدأ الطيران الإسرائيلي يقصف مواقع المدفعية الأردنية لإسكاتها - حينها بدأ قصف الطيران المكثف مساءً، كنت أتجه مع مَن تبقى من المقاتلين ومعنا بعض المدنيين شرقاً نحو التلال، وظل الطيران يلاحقنا في القصف العشوائي من السادسة حتى التاسعة إلا ربع تقريباً، ثمة حادثة طريفة فقد شعرت بالحاجة للتدخين وتركت موقعي بحثاً عن سجائر كنت قد رأيتها قبل شهرين في إحدى البيوت المهجورة وتأففت في أخذها، لكنني الآن بحاجة لها في هذه اللحظات المصيرية كان الأخ أبو عمار قد بعثني من الخامسة صباحاً مع فراس ووفا وقال لنا: خذوا بالكم من أنفسكم وأنا سأبقى في الموقع، وإذا كان فراس ووفا على قيد الحياة فإنهم سيذكرون ذلك حتماً، فراس ملازم أول كان في الجيش العراقي ثم التحق بنا الرائد خالد (فايز حمدان) لم يكن موجوداً في الكرامة لسبب خارج عن إرادته، حيث كان في مهمة في القاهرة في أول لقاء له مع جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل ، كان عندنا عصام السرطاوي ولكنه أخذ إجازة قبل الكرامة وسافر للخارج،

أتذكر أنني ومَن معي قضينا الليل بين شقوق الصخور الموجودة في المنطقة للاحتماء بها من قصف الطائرات الذي توقعنا استمراره ليلاً - في الساعة الرابعة صباحاً كنت في الكرامة أتفقد الشهداء وأبحث عن الأحياء بلهفة شديدة.

كنت أريد بأقصى سرعة أن أعرف مَن الذين أدوا الواجب وقضوا شهداء ومن الذين نجوا من الموت وما زالوا أحياء، قابلت أبا عمار في الساعة السادسة تقريباً ولم يصدق أنني ما زلت على قيد الحياة، لأنه يعرف أنني كنت وسط البلدة وفي أخطر المواقع بناءً على تعليماته، مناظر رهيبة في ذلك اليوم الأغر، رغم الحزن الشديد على أخواتنا ورفاقنا الذين قدموا أرواحهم لتستمر الثورة وهم في ريعان الشباب، جمعنا جثث الشهداء في سوق الخضار أولاً قبل أن ننقلها لمكان آخر، أذكر أن السماء قد أمطرت وسال الدم الذي كان قد جف أو كاد من جديد شاهداً على الملحمة - ملحمة التضحية والفداء، جاء أحمد جبريل في ذلك اليوم وقال كلمة أفقدتني صوابي تماماً، لم أكن أعتقد أنه في مثل تلك اللحظات ونحن نودع كوكبة من رجالنا والجماهير الحاشدة قادمة من كل حدب وصوب، يمكن لأحد أن يستهتر إلى هذا الحد بشهداء شعبه، قال: (**هذه ضحايا رخيصة**) في إشارة لهؤلاء الشهداء الشجعان الذين كسروا كبرياء إسرائيل بعد أن شعرت طوال الوقت بعد حرب حزيران أن جيشها لا يمكن قهره، هؤلاء الشهداء الذين أجبروا الإسرائيليين لأول مرة في تاريخ الصراع على طلب وقف إطلاق النار وأجبروهم ولأول مرة أن يتركوا بعض خسائرهم البشرية وغيرها في الميدان وهم الأحرص من بين كل جيوش العالم على عدم ترك أية خسائر في ميادين المعارك، ومع ذلك يصفهم جبريل بأنهم ضحايا رخيصة... هكذا، بكل بساطة .

كان الناس والقادة يتجمعون في النهار، حيث تزدحم الكرامة بالرجال وفي الليل نشعر بألم الوحدة، تحت الأضواء يتكاثر الناس وفي الليل لا شيء سوى الصمت ورائحة الموت وآمال وطموحات وذكريات، كان الفدائيون الأوائل في الكرامة نجوماً تلمع فوق ووسط غيوم متلبدة، إنهم الطلائع التي تحاول اختراق الظلام بضياء التضحية والإرادة

والصمود. قمنا بدفن عدد من الشهداء في قبر جماعي واحد وجاءت سيول من الماء في ذلك اليوم الممطر لتجرف التراب، بعد ذلك أخذوني للمستشفى لإجراء فحوص عامة حيث إصابتي طفيفة للغاية... هكذا انطلقت الكرامة.

هناك أبطال حقيقيون ذهبوا ولم يسمع بهم أحد ولم يكرمهم أحد ولم يوثق مسيرتهم أحد، منهم على سبيل المثال وليس الحصر «أبو علي مسعود» وعشرات آخرون إن لم يكونوا مئات، يجب توحيد الذاكرة الفلسطينية، فمن لا ذاكرة له لا مستقبل له والشعوب الحية تصون ذاكرتها لتحافظ على الامتداد والعمق وترى المستقبل وهي راسخة قوية بتاريخها المتين وحاضرها المشرق، لا بد من تجسير الفجوة بين أجيالنا وبين ذاكرة كل تجمع فلسطيني، توحيد الذاكرة الفلسطينية أمر في غاية الأهمية في حاضرنا ومستقبلنا، وهذا ينقل مضمون الوحدة الوطنية من العفوية والتلقائية إلى الوعي، أنت تكون موحداً تلقائياً مع أبناء شعبك ما دمت على بقعة الأرض نفسها ولكن ظروف الشتات الفلسطيني تتطلب توحيد الذاكرة لتوحيد الوعي، نقول لجيلنا: الثلاثاء الحمراء، فهو يعرف أن (الثلاثاء الحمراء) هي القصيدة التي كتبها إبراهيم طوقان إثر إعدام الأبطال الثلاثة في سجن عكا بعد أحداث البراق الشريف عام 1929م وحكم عليهم بالإعدام 1930م، لكن الجيل الجديد قد لا يعرف الكثير عن معاركنا: الكرامة، الدامور، العرقوب، في لبنان وغيرها، من هنا تكمن أهمية تدوين الذاكرة الفلسطينية قبل أن يرحل الرجال دون الإدلاء بشهاداتهم، وتلك مسؤوليتكم الوطنية والقومية[1].

(1) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط11، المؤسسة العربية للنشر، بيروت 1999م، ص198-199 زياد عوده، من رواد النضال في فلسطين، ط1، دار الجليل، عمان 1987، ص11-17.
توفيق ابو بكر معركة الكرامة الخالدة شهادات للأجيال والتاريخ.

شهادة العميد المتقاعد عبد الإله الأتيري :

قبل معركة الكرامة ببضعة شهور، كنت في الضفة الغربية بعد أن كنت قد تلقيت دورة تدريب -دورة صاعقة- في مصر، وبالمناسبة كنت من القوميين العرب قبل الالتحاق بفتح، بعد حزيران 1967 بدأت فتح الاستعداد للانطلاقة الثانية، كما سميناها في ذلك الوقت.

وكانت مهمتي المشاركة في قيادة المجموعات السرية التي تدخل الضفة الغربية، استعدادا للقيام بمهامها في المستقبل، وكانت مهمتي في هذا الإطار استقبال الدوريات العسكرية القادمة من تنظيمها من سوريا ولبنان والأردن عبر نهر الأردن إلى الضفة الغربية.

ففي الفترة التي أعقبت الاحتلال دخلت عشرات الدوريات التي نقلت السلاح والذخيرة، وقمنا بتخزينه وذلك في إطار عمل هذه المجموعات للاشتباك مع العدو حين تتمكن من بناء قواعدها، وحين تصدر لها الأوامر بذلك.

في الكرامة لم يكن هدفنا الاستيلاء على الأرض، بل كان هدفنا إيجاد نقطة ارتكاز لإدخال الدوريات العسكرية إلى الضفة الغربية، وفي نقطة الارتكاز هذه يتم تجميع العناصر والقيام بما يلزم استعدادا للعبور، والكرامة هي أقرب المناطق إلى الضفة الغربية فهي في المنطقة الوسطى المواجهة للضفة...

المهمة الأساسية لعبورنا في الكرامة لم تكن مهمة قتال حدودي واشتباكات حدودية، رغم حصول ذلك عدة مرات، بل كانت المهمة الأولى هي إعداد الدوريات العسكرية وإدخالها للوطن، ثم حمايتها عسكريا أثناء الدخول، وأذكر أنه في تلك الفترة أدخلنا عشرات الدوريات العسكرية... التي استقرت في الوطن، وبنت قواعد عسكرية في مناطق مختلفة في جبال بلادنا، واستوطنت الكهوف والمغاور في أكثر من مكان...وقد استمر عملنا هذا من خلال الكرامة إلى ما قبل المعركة، معركة الكرامة في 21 آذار 1968، حيث بدأ الجيش الإسرائيلي بقصف مواقعنا كل يوم تقريباً،

بغرض شل استعدادات التنظيم وإدخال الدوريات وتدمير ما يسميه البنية التحتية الناشئة قبل أن يشتد عودها ليصبح كسرها صعباً.

وصلت عشرات الدوريات العسكرية للوطن، وكانت هناك عملية موازية في الداخل لتجنيد فدائيين وتنظيمهم وتدريبهم وتسليحهم ودفعهم لقواعد الارتكاز في جبال نابلس... الخليل... القدس... طولكرم... جنين... وبيت لحم... وكل مكان في الأراضي المحتلة، وكانت منطقة الكرامة منطقة تدريب عسكرية في إطار الوضع العام والمهمات التي تحدثت عنها، وقبل أربعين يوماً تقريباً من المعركة، كان هناك قصف إسرائيلي يومي...

في النقاشات التي سبقت المعركة وحين بدت الأجواء ملبدة بغيوم الحرب، وبدت التصريحات الإسرائيلية واضحة الدلالات والتحركات العسكرية شبه معروفة لنا جميعاً، إذ كانت لدينا معلومات شبه مؤكدة بأن الجيش الإسرائيلي لديه خطة لدخول الكرامة وتصفية الوجود الفدائي فيها، قبل أن تصبح الأمور أكثر تعقيداً.

في تلك النقاشات وقف العسكريون المحترفون الذين دخلوا فتح وأظن من بينهم إياد البرغوثي، وهو ضابط محترف قادم من العراق، وكذلك ضباط آخرون، وقفوا ضد قرار المواجهة في داخل الكرامة، إذ أن ذلك في نظرهم أقرب للانتحار وهو مغامرة صافية مائة بالمائة...

قال العسكريون إن وضعنا صعب لأن المنطقة التي نحن فيها مكشوفة في الكرامة لا تسمح بالكر والفر والمناورة، ولأن الإسرائيليين سيندفعون بسرعة هائلة للوصول إلى تجمعاتنا، كما أن الأسلحة التي كانت بحوزتنا أسلحة لا تقارن بالأسلحة الأخرى.

كانت قدراتنا العسكرية وتسليحنا تسليحاً خاصاً بحرب العصابات؛ ولهذا كان رأي هؤلاء الأخوة أنه لا بد من الانسحاب لأن المعركة خاسرة تماماً من الزاوية العسكرية البحتة، وقد كان هذا الرأي للحقيقة يمثل أقلية، ولكن الرأي الفدائي وهو رأي الأغلبية رأى أن خروجنا من هذه المنطقة ولجوءنا للمدن والجبال دون قتال ومواجهة سيضعفنا أمام الناس الذين

احتضنونا وقدموا لنا كل شيء... ولن نكون قادرين بعدها على كسب ودهم ثانية، وعلى حفزهم لتحمل القصف والمتاعب من أجلنا بعد أن نكون قد سقطنا في الامتحان أمام عيونهم...

وكان أبو عمار وأبو اللطف وأبو إياد وأبو صبري وغيرهم موجودين وحثوا على اتخاذ القرار، القرار استثناء... من القوانين العسكرية والعصابية ولكن قتالنا فيه الكثير من الاستثناء حين تدخل مجموعة صغيرة من الفدائيين بأسلحة متواضعة جداً، وتفتح النار على إسرائيليين مدججين بأكثر الأسلحة تقدماً... كلمة (الاستثناء) جرى استخدامها بشكل واسع في تلك الفترة. في النهاية تقرر الصمود والمجابهة ودفع الثمن، وكان ذلك موقف قيادة «فتح» جميعها.

كنتُ قد دخلت دورة صاعقة في القاهرة واستلمتُ آمر القاعدة، كانت قاعدة متقدمة تجابه معها الإسرائيليون حين حاولوا الدخول للكرامة، وأربكت قواتهم وعطلت تقدمهم فترة من الوقت، هل تعرف ما هي هذه القاعدة التي اسهم مقاتلوها في تغيير صورة الوضع وفي ترسيخ العمل الفدائي كقوة عسكرية وسياسية وجماهيرية فيما بعد... (إنه بركس الدجاج) أي بيت دجاج يستخدمونه في مزارع الدواجن، وكنا حوالي أربعين فدائياً ننام فيه ، من تلك القاعدة انطلقت عشرات الدوريات العسكرية صوب فلسطين.

من هذه القاعدة انطلق الشباب الذين فجروا الألغام والدبابات المتقدمة صوب الكرامة، كان السلاح لغماً يرميه المقاتل تحت الدبابة وينسفها إن استطاع ويستشهد... **من هؤلاء الفسفوري واسمه «عبد المطلب الدنبك»** من نابلس الذي فجر الألغام بالدبابة...

كان لدينا في القاعدة سبعون قذيفة هاون، ولما بدأ دخول الإسرائيليين في الصباح بدأنا نرمي على الأهداف الإسرائيلية وكانت أهدافاً كثيفة، المجنزرات قادمة من الغرب من محور الغور الثاني، وأطبقوا على الكرامة من كل الجهات، وكان هناك إنزال خلفها وجرت مواجهات مباشرة وجها لوجه، على أمتار أحياناً، كانوا يريدون دخول

القاعدة فذلك هدف الدبابات والمجنزرات، ضربنا هذه المصفحات بما لدينا من سلاح، وفي خلال فترة وجيزة اصطفت الدبابات في وضع قتالي وأخذوا يقصفون القاعدة... أبو الشريف هجم على الدبابة بالرشاش واستشهد، أما الفسفوري فقد قاتل قتالاً عنيفاً بين الدبابات حتى استشهد، وقد استخدم قنابل أسميناها قنابل مفرغة، وقد رأيته يفجر دبابة وبعدها لم أراه - لقد استشهد...

أتذكر أنه عندما بدأنا التراجع للخلف لبضعة أمتار لنأخذ وضعاً قتاليا أفضل، لم يكن قد بقي من فدائيي القاعدة سوى 21 أو 31، والآخرون استشهدوا جميعاً، ولم يكن هناك أي جريح، أتذكر ربحي الذي حمل لغماً روسياً وزنه 2 كلغم وفجر فيه الدبابة واستشهد، حين تراجعنا قليلاً أصبح الوضع القتالي أفضل بالرشاشات لأن العدو كان أيضاً من خلفنا، وأصبحنا محاطين من كافة الجهات بالجنود والمدرعات، واستأنفنا القتال... وكانت البيوت تحمينا لأننا كنا ننتقل من بيت إلى بيت وكانت البيوت من الطين...

هذا ما حدث صباح ذلك اليوم من بطولات لا تنسى، كان العدو شرساً وكانوا يسحقون كل شيء أمامهم، الدبابة تطلع على البيت، صارت هناك تجمعات قتالية، وليس فقط تجمع دبابات، وبالتالي أصبح هناك تراشق مباشر مع الجنود الإسرائيليين... ولكن مواقعنا كانت تتلقى جهنم من القذائف على كل رشقة من رشاش نطلقها باتجاه جنود العدو.

لقد دارت معارك حامية ما بين القوات الأردنية والإسرائيلية... وكانت كثافة نيران المدفعية الأردنية هائلة، ورأيت بنفسي دبابات إسرائيلية أصيبت إصابات مباشرة من رماية المدفعية، لا أستطيع القول إننا أنهينا الإسرائيليين فقد دخلوا إلى كل المنطقة، وأصبح القتال فردياً... واستشهد خيرة من شبابنا... والكثيرون صمموا على الاستشهاد وقاتلوا حتى النهاية... وتمكن آخرون من الانسحاب إلى الجبال والى قواعد خلفية... واستمر هدير المدفعية الأردنية حتى النهاية.

اجتهادي الشخصي أن الإسرائيليين ربما لم يكونوا يتوقعون رد فعل الجيش الأردني، بهذه الكثافة والقوة، وربما تصوروا أن معنويات الجيش الخارج من هزيمة حزيران تمنعه من القتال والصمود...

لقد وقعتُ في الأسر في الكرامة مع عدد محدود من الفدائيين، كانوا قد أخذوا معهم عدداً كبيراً من الفلاحين في المنطقة، والذين ليس لهم أية علاقة بالعمل الفدائي بشكل مباشر، ربما لدفعهم نحو عدم احتضان الفدائيين مستقبلاً... كما أنهم سيتعرضون للمتاعب والعقوبات، وبالطبع لم يتحقق ذلك الهدف... إذ ازداد تلاحم سكان المنطقة مع العمل الفدائي بعد الكرامة، وبلغ ذروته عام 1969م و 1970م، رغم ما تعرضوا له من قصف شبه يومي على مدى تلك الشهور كلها، ورغم ما أصاب مزروعاتهم وأعمالهم من أضرار... لقد جرى إطلاق سراحهم خلال أسابيع بعد المعركة...

تساءلوا عن اندفاع مقاتلي قاعدتنا للقتال والموت في وقت هربت فيه الجيوش... ما الذي حصل... ولماذا يأتي طلاب جامعيون يتركون جامعاتهم ويلتحقون بالعمل الفدائي ويستشهدون... ظاهرة وجود هؤلاء المتعلمين أخافت قياداتهم في ذلك الوقت... إذ شعروا أنهم في مواجهة ما هو أكبر من هبة عاطفية وحماسية سرعان ما ستزول.

المدنيون جرى إطلاق سراحهم في وقت مبكر -كما ذكرت- وربما بعد أسابيع فقط، كان بينهم بعض الجرحى... أما العسكريون من الفدائيين فإنني لا أذكر أن بينهم جرحى.

كان أبو عمار في الكرامة، يرافقه أبو إياد، وأذكر شاباً جامعياً من طولكرم اسمه الحركي (أبو أمية) لقد قاتل بشراسة وسقط شهيداً في المعركة لا أذكر اسمه ولا أذكر أسماء أغلب الشهداء -أقصد الأسماء الحقيقية- لأننا كنا نتعامل بأسماء حركية فذلك أسلم حين يسقط المقاتل في الأسر، إنه لا يستطيع الاعتراف عن أحد لأنه بالفعل لا يعرف الأسماء الحقيقية، وها أنذا لا أتذكر بالفعل الأسماء التي تريدها مني لتكريم هؤلاء المناضلين، أذكر في الكرامة الحاج إسماعيل جبر كان قائداً في تلك الفترة

وكان من العسكريين القدامى في الحركة - حركة فتح، كان مسؤول قاعدة وأتذكرها وكأنها أمامي الآن، كنا نسميها قاعدة صفر - صفر، أو قاعدة 550 كانت قاعدة صلاح التعمري تضم عدداً من الأشبال. وكان صلاح يدربهم بنفسه ويعلمهم الإخلاص والتضحية من أجل الوطن. **كانت معنا في الكرامة أم يوسف...** أين هي الآن؟ **أم يوسف كنا نسميها أم الفدائيين** لأنها اعتبرت كل الفدائيين أولاداً لها، وكانت تنتقل برشاقة وسرعة من قاعدة إلى قاعدة، وكانت تجمع لنا المساعدات من الناس وتأتي بها فرحة مستبشرة لقواعد الفدائيين، وكانت تلبس اللباس الفدائي المرقط المعروف وتحمل السلاح بزهو، لم تكن صغيرة في السن، ولكنها بالنسبة لنا ونحن فتيان تعتبر كبيرة، كانت **أم يوسف تقوم بكل المهام وتواجدت في الكرامة يوم الكرامة**، أما الذين شاركوا من الفدائيين من غير أبناء فتح، فقد شاركت قوات التحرير الشعبية، الجبهة الشعبية كانت أعدادها قليلة في تلك الفترة وقواعدها محدودة، وقد اتخذوا قراراً بعدم المشاركة في الكرامة ضمن المنطق العسكري الصرف بضرورة عدم مجابهة قوات نظامية كبيرة في مغامرة صافية، وأذكر أنهم أخلوا في الليل مواقعهم في الكرامة بقيادة أبو رأفت.

نستطيع أن نقول أن لمعركة الكرامة إيجابيات كثيرة ولكن كان لها سلبية واحدة -وعلى حركة «فتح» تحديداً- إيجابياتها الكثيرة: أنها معركة أتت بعد هزيمة 1967م، وكانت الجيوش العربية مهزومة والنفسية العربية مترديه، وكان لا بد من أي انتصار، ولذلك كنت ترى أن العمليات الفدائية الاستشهادية التي كانت تقوم في تلك الفترة محبوبة من الشعب العربي كله ومحتضنة من الشعب العربي كله وخاصة في الأردن، وحقيقة أن حركة «فتح» كانت سرية جداً في تلك الفترة وكانت حريصة على انتقاء النوعية وكنا قبل أن نقبل عضوية أي شخص في «فتح» ندخله في اختبارات عديدة ونسأل عنه قبل قبوله في تنظيم الحركة، ولذلك كانت نوعية المقاتل في تلك الفترة، دعني أقول استشهادية، دعنا نستخدم هذا التعبير الجامع، ولذا كان يُقال من يريد أن يستشهد فعليه الدخول في حركة «فتح»، معركة الكرامة أعادت الكرامة للشعب العربي وللشعب الفلسطيني وامتدحها عبد

الناصر في خطاب مشهور حين أشاد بالشباب من 17-18 سنة ينسفون الدبابات: «ده الشعب العربي» -على حد تعبيره- يومها وبعدها طلب منا عبد الناصر -بعد أن أثبتنا الكفاءة- عملية فدائية معينة لا أريد الحديث فيها وقد طلبها منا عبد المنعم رياض، لقد هزت المعركة معنويات الجندي الإسرائيلي وهذه قضية مهمة وأثبتت أن الجندي العربي لا يهرب دائماً وقادر على القتال ومستعد للاستشهاد، اهتزت قناعات الجندي الإسرائيلي وقد رأيت ذلك بنفسي حين كنت أسيراً وتناقشت مع ضباط إسرائيليين عديدين كانوا مذهولين من مجرد اندفاعنا للقتال، كان ذلك بعيداً عن تصور الجندي السوبر الذي انهارت صورته أمامنا وأمام جمهوره أيضاً. فالكثيرون منهم -وسمعت ذلك في الأسر- كانوا قادمين إلى الكرامة وكأنها نزهة مثل شخص ذاهب إلى مكان لشراء حاجة أو أخذ حاجة معينة. ولكن الناحية السلبية بالنسبة لفتح من وجهة نظري، كإحدى نتائج الكرامة ورغم إيجابياتها الواسعة فلسطينياً وعربياً هذه السلبية الوحيدة هي تضخم حركة «فتح» وأصبحت بالآلاف وكان ذلك على حساب النوع وهذا ما دفعت حركة «فتح» ثمنه لاحقاً.

أفادني الفدائي **حافظ حامد**، والذي كان في الكرامة أنهم وجدوا إصبع أبو الشريف بعد استشهاده معكوفاً وكأنه قابض على الزناد، وكان هذا الفدائي مع أبو عمار في الكرامة.

- **ربحي: اسمه ربحي محمد حسين حامد من سكان عزون** مواليد 1947م، وقد ترك الجامعة في فرانكفورت في السنة الأخيرة وكان يدرس الهندسة.

- **من الأسرى الفدائيين: عبد الرؤوف أبو حويلة من مخيم بلاطة وفوزي أبو حطين، وأمين السردي، وأمين أبو كويك، عبد الله السلال.** أما المدنيون الأسرى فإن عددهم طبقاً للموسوعة الفلسطينية 741 شخصاً[1].

(1) يقول أبو بكر في كتابه «شهادة عن معركة الكرامة»: يفاخر زعيم الليكود بنيامين ناتانياهو في كتابة (إسرائيل مكان بين الأمم) أنه ترك أرقى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية) (T.I.M) في ماساشوستس حين دقت طبول الحرب بين العرب وإسرائيل وسارع للعودة للقتال، ولكننا نملك قائمة طويلة، طويلة جداً، من المناضلين الفلسطينيين الشباب الذين تركوا دراستهم في أرقى

شهادة منذر الدجاني "أبو العز" (قائد قطاع الجنوب عن معركة غور الصافي):

في تلك الفترة كنتُ آمر القطاع الجنوبي، بعد أن وصلتنا المعلومات عن احتمال هجوم على الكرامة... أذكر أننا عقدنا اجتماعاً نوقشت فيه تقريباً كل الاحتمالات التي يمكن أن تواجهنا في حال الاعتداء... وقد حصل الاجتماع المذكور قبل المعركة بيوم حيث كنت موجوداً...

وكانت قواتنا في قطاع جنوب الأردن عبارة عن قاعدتين، قاعدة في وادي قدان... كان عدد مقاتليها حوالي الثلاثين... وقاعدة أخرى في منطقة غور فيفا في غور الصافي... وعدد أعضائها حوالي خمسة وثلاثين مقاتلاً... كما كان لنا بعض القوات في الكرامة وأعداد أخرى في الشونة.

كنت مدعواً للاجتماع في الكرامة، طبعاً كان العمل لا يزال سرياً وهكذا تنقلاتنا... في ذلك الاجتماع طرحت كافة الاحتمالات...

كانت وجهة النظر الأولى تقول... بأن عددنا ما زال قليلاً وخوض معركة مواجهة في عدوان من هذا النوع معناه احتمال القضاء علينا... خاصة وإننا كمقاتلي عصابات، غير مضطرين للمواجهة...

جامعات العالم وكانوا في أقصى درجات التفوق، لا ليصبحوا زعماء، إلا ما ندر ومن رحم ربك، ولكن الأغلبية جاءت إلى قواعد الفدائيين في الكرامة وغور نمرين واستعجلت الاستشهاد في ذلك اليوم الأغر: الحادي والعشرين من آذار.

ويقول عن الراوي: روى لي أحد مقاتلي الكرامة أنه لم يكن يتوقع من الشهيد ربحي... الشاب الناعم والهادئ القادم من فرانكفورت ويرخي بشعره على كتفيه أن يصعد برج الدبابة الأولى التي حاولت اغتصاب الكرامة، وفعل ذلك ببسالة وشجاعة بلا حدود.

ويقول «كريات أربع» المستوطنة التي تضم المتطرفين اليهود قرب الخليل هي (قرية الأربعة) حيث سقط في ذلك المكان قبل عشرات السنين أربعة يهود قتلى أحيوا ذكراهم بمستوطنة لا يتذكر سكانها سوى الثأر والانتقام.

وكريات شمونة في الجليل الشامخ هي (قرية الثمانية) حيث سقط ثمانية يهود في العشرينات من القرن الماضي، أما نحن فإن الذاكرة ليست مزدحمة بما يجب أن تزدحم فيه.وأحد أبطال الكرامة هو (الفسفوري)، البطل الذي فجر الألغام بنفسه والدبابة على مدخل الكرامة؟ مَن هو هذا المقاتل العنيد؟؟ أين أهله وإخوته؟؟ من أي بلد جاء؟؟ وما تفاصيل حياته؟؟ تلك أمور هامة في تحريك زخم ذاكرة الجيل، وتلك ضرورات الوفاء لمن قدموا لحومهم طعوماً للدبابات ونثروا دماءهم فوق الأرض لعل الدم ينتصر على السيف ذات يوم، ولعل الأرض تزدهر بعد أن تختمر المخاضات وتزدحم بالدماء.

أما الفكرة الثانية فهي... التي شدد عليها الأخ أبو عمار وفحواها ... أن الجندي العربي بعد هزيمة حزيران عام1967م فقد ثقته بنفسه، كما فقدها المواطن العربي أيضاً... وضمن هذه الصورة لا بد من الصمود لتحطيم الفكرة السائدة عن جبروت الجندي الإسرائيلي وكفاءته... ولا بد لتحقيق هذا الهدف من المواجهة لا بد من جعل الكرامة «ملحمة بطولية» كما قال الأخ أبو عمار...

إنما كان السؤال الملِح كيف نفعل ذلك...؟ فنحن باعتبار أنفسنا طليعة العالم العربي أو بؤرة ثورية فيه، كنا نسعى إلى تحقيق أثر معنوي أكثر من شيء مادي... فإذا أردنا مواجهة تقدم الأعداء سنصاب بخسارة مادية، خاصة أننا لم نكن نتجاوز في تلك الفترة أربعمائة فدائي معظمهم كوادر وطلائع... وبعد التداول تقرر الصمود والمواجهة لتحقيق الهدف وهو تمزيق صورة الجندي الإسرائيلي الذي لا يُقهر...

عادة في الاجتماعات تطرح كافة وجهات النظر، والواقع أن فكرة الانسحاب دون اشتباك والضرب من الخلف فقط طرحت وهي تنسجم مع منطق حرب العصابات... لكننا تجاوزنا استراتيجيتنا وخضناها معركة مواجهة لتحقيق الهدف الذي ذكرته... مع توقع حدوث خسائر ستكون عزيزة علينا فعلاً...

وكان من المفروض أن أعود إلى المنطقة بسبب توقع الهجوم خلال يوم أو يومين... لأن الحشود كانت واضحة لوحدات الاستطلاع... وكانت المعلومات تردنا من الداخل وتصل لكافة المقاتلين، وتم توزيع القوات في الكرامة بشكل مجموعات وفي المزارع المحيطة بها أيضا، كما تم توزيع مجموعات ألغام ومضادة للدروع، على الرغم من قلتها.

كما أذكر أنه كان لدينا مدفع دوشكا واحد موجود في تلة فوق الكرامة... ولم أكن أعرف هذا السلاح يومها، وكنت أعتقد أن - الدوشكا - يتمكن من حماية المنطقة كلها... وأذكر أنهم احتاروا أين يكون مكانه، البعض يريده في الجبل... والبعض الآخر في الكرامة... أخيراً وضع المدفع قرب نخلة تحت الطريق في المزارع بين المدينة والنهر ... (مرزعة الحاج يوسف).

وصلت في الساعة الثالثة صباحاً إلى منطقة فيفا في الجنوب بغور الصافي، حيث كنت أنا آمر لقطاع الجنوب وأخبرتهم باحتمال الهجوم على الكرامة... وزيادة في الحيطة، شددت الحراسة... في الساعة الخامسة صباحاً أخبر الحرس آمر القاعدة واسمه أبو السعيد أن صوت آليات تتقدم نحونا وفعلاً كان ذلك... حلقت طائرة استطلاع فوقنا... فانتشرنا كل منا في ناحية... وأرسلنا مقاتلاً إلى تلة قريبة لرصد تحركات العدو... فجاء يؤكد لنا تقدم الدبابات باتجاهنا في الجنوب.

رغم أن معركة الكرامة لم تحصل بعد ولم يكن العمل الفدائي في أوجه في تلك الفترة إلا أننا طبعاً لم نكن نشعر بالحماية إلا بوجود المواطنين حولنا... لم نكن نظهر إلا داخل المخيم. كان الجميع يقفون موقفاً واحداً... التعاطف مع الفدائيين... حتى الجنود كان لهم نفس الموقف...

نعود إلى المعركة... عبرت الدبابات الإسرائيلية من منطقة وادي فدان... حيث كان الأخ نعيم الوشاحي[1] ومجموعته على بعد 35 كلم للجنوب... من منطقة اسمها «عين الحصن» عند مستعمرة «ياحيف والمغيرة»... مع حصول تقدم فرعي في منطقة تاعوت هاتيكار أو عين العروس بالعربية...

عندما وصلت الدبابات كان لدينا السلاح الفردي و3 ألغام متوسطة مع مدفع هاون 81 دون منصب وسبق لي وأحضرته من الجيش العراقي، وذخيرته عشرة قذائف فقط... ولم يكن المدفع غريباً عنا، فقد سبق لنا استعماله في عملية ضرب معمل البوتاس قرب البحر الميت... لم يكن في المنطقة ممر إجباري لنضع الألغام المضادة للدبابات فيه، فوادي عربة منطقة مفتوحة، لم نعلم ما نفعل بها، لذلك وضعناها حول القاعدة، وتركناها... ونزلنا من الجبال إلى السفوح، حيث انقسمنا إلى ثلاث

(1) كلفت القيادة الفلسطينية الأخ نعيم عبد الحميد والوشاحي والمجموعة المرافقة، ومنها الدكتور عمر وأبو الوفا وعلي السويدان ومحمد صادق محمد، وجميعهم ضباط باستلام مواقع قيادة طرابلس، وانتقلت المجموعة بزورق من بيروت إلى طرابلس عبر البحر. إن معظم الطرق البرية كانت مقطوعة، وبعد مرور فترة من سفرها انقطع الاتصال بها في غرض البحر، وكانت آخر كلمة لهم: «انمسكنا».

مجموعات، عشرة لكل مجموعة... عندما وصلت طائرات الهيلوكوبتر لم نكن قد ابتعدنا عن القاعدة أكثر من خمسمائة متر فبقينا مختفين، كانت الدبابات فوقنا... ولم نكن نراها بوضوح بسبب النباتات، إنما كانت أصواتها واضحة، ولم يمكن تحديد البعد...

أما طائرات الهيلوكوبتر وعددها ثمان فكانت في حركة مستمرة في الجو، زرعنا الألغام وبدأنا القذف بمدفع الهاون وسرعان ما نفذت الذخيرة... فخبأنا المدفع.

بالإضافة للآليات كان المظليون الذين هبطوا من طائرات الهيلوكوبتر يتقدمون أيضاً... كنا ثلاثين، وكانت القوة المهاجمة لواء مدرع بالإضافة للجنود في طائرات الهيلوكوبتر، وناقلات الجنود، بدأنا الضرب بمدفع الهاون فكشف العدو مواقعنا، وأنزل مظليين خلفنا في الجبال... طبعا لم نكن نلاحظ ذلك فالطائرات كثيرة في الجو، وعندما تهبط إحداها نعتقد أنها ذهبت وراء الجبل... فإذا عادت للظهور اعتقدنا عودتها من هناك.

كانت الدبابات تتجه من الجنوب للشمال صوبنا، والطائرات تنزل المظليين فوقنا، وهكذا وجدنا أنفسنا مطوقين، و توزعنا لثلاث فرق، فقد انضم إلى فريقنا اثنان من المواطنين في الجنوب، حضرا على الجمال يحملان بنادق إنجليزية، واخبرانا عن تقدم الدبابات، ثم شاركا في المعركة...

بعد التطويق صارت الطائرات تنخفض على الأرض، تخرج عند بابها مدفع رشاش 500 نراه بشكل واضح، وتطلق النار علينا، وكلما توقفت عن الإطلاق نحاول التصدي لها، كان سلاحنا رشاشات كلاشنكوف، وقدرنا أننا سنقاتل بهذا الشكل إذا استمر الوضع على هذا النحو... الطائرات تنزل المظليين خلفنا على سلسلة الجبال، والدبابات أمامنا، والهليكوبتر تحوم فوقنا، رأينا أنه لا بد من الصعود قليلاً إلى الجبال، مع علمنا بوجود المظليين...

دارت المعركة على هذا النحو... لم أكن أعلم شيئاً عن الآخرين، فقد غاب عدد منهم، ولم أعرف استشهدوا أم لا... في الساعة الرابعة بعد الظهر بقي منا أربعة فقط... أما الباقون فقد استشهدوا بمن فيهم البدويان، أذكر أننا كنا نصعد من وادي مهاجرين إلى جبل في طرفه... شاهدت

طائرة هيلوكوبتر أنزلت جنوداً مظليين وقد قبضوا على أحد رفاقنا واسمه أبو نضال... وعلى آخر وهو واحد من البدو... أخذ الإسرائيليون أبا نضال معهم، وأطلقوا النار على الآخر... و رأيت المظليين يهبطون من الطائرة، ينصبون مدفعي هاون 60 ملم، ثم ضربوا قذائفهم وتحلقوا بدائرة حول الهيلوكوبتر واخذوا يطلقون العيارات من رشاشاتهم دون هدف، أخيراً عادوا للطائرة ورحلوا...لم يكونوا يتنقلون ولم يحددوا أهدافهم، بل كان إطلاق النار في جميع الاتجاهات.

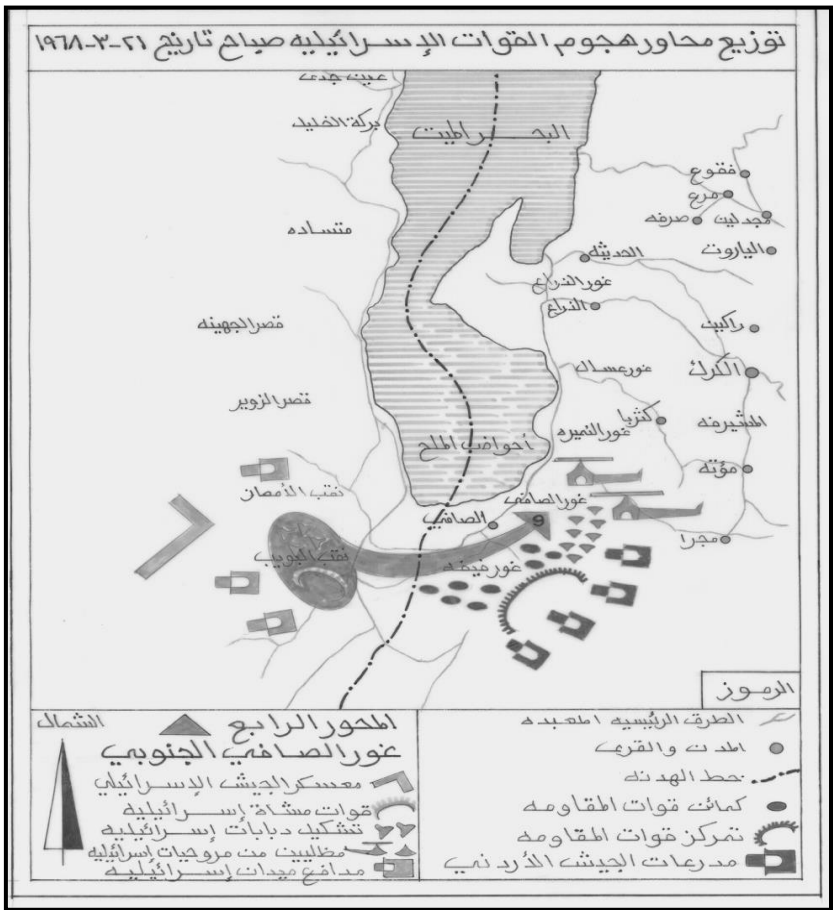

معركة الكرامة برواية أردنية

شهادة الفريق مشهور حديثة الجازي[1] (قائد الفرقة الأولى نائب رئيس الأركان):

(1)

كان للعمليات العسكرية التي تقوم بها الحركة الفدائية ضد الكيان الإسرائيلي الأثر الأهم في استعادة ثقة الجندي العربي، وبأن سلاحه يمكن أن يُرهب العدو ويثنيه عن الاستخفاف بحامله، وقد شكلت تلك العمليات نقطة تحول في مسار الصراع العربي الإسرائيلي، فلم يعد قرار الاصطدام مع المغتصب يخرج من مكاتب المسؤولين أصحاب السلطة، بل صار هذه المرة يقفز من أزقة الشوارع المختفية عن الأضواء، أو الجبال البعيدة عن ترف حامل القرار السياسي تلك التي يقطنها الفدائي الفلسطيني ببساطته وصدق انتمائه.

صار على إسرائيل إعادة ترتيب أوراقها من جديد، فعدوها الأن زئبقي لا يستقر في أرض ولا يظله سقف يمكن قصفه، وقرار القضاء عليه في مهده مسألة معقدة... فالحركة الفدائية موزعة في مختلف المدن والمحاور، بل والمناطق النائية، ورغم ذلك لم يكن لإسرائيل خيار آخر لا بد من سحب البساط كله من تحتهم...

---

(1) ولد مشهور حديثة في منطقة معان عام 1928م، والتحق بقوة البادية في 1943/6/28م، وفي عام 1946م التحق بجناح الثقافة في مركز العبدلي، واشترك بدورة تأهيل مرشحين عام 1947م، وكان رقمه العسكري (505) وبعد تخرجه التحق بكتيبة المشاة الثانية، وفي عام 1962م أصبح قائد اللواء المدرع/40، وقائداً للجبهة الشرقية ثم قائداً للفرقة الأولى في عام 1967م والتي كان لها شرف صد العدوان الصهيوني في معركة الكرامة في 1968/3/21م، وفي 1970/6/11م عُين قائداً عاماً للقوات المسلحة الأردنية حتى 1970/9/16م، ثم عُين مستشاراً خاصاً لجلالة الملك حتى 1970/12/1م، كان يتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة، ويحمل شهادة البكالوريوس في العلوم العسكرية، حيث تخرج من كلية الأركان الباكستانية عام 1958م واشترك في عدة دورات دروع تقدمية في الولايات المتحدة الأمريكية. وتوفي الفريق البطل مشهور حديثة بتاريخ 2001/11/6م عن عمر يناهز 73 عاماً.

المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال يصعد الى ظهر دبابة اسرائيلية غنمها الجيش الاردني في معركة الكرامة والى يمين جلالته قائد الفرقة المدرعة الاولى آنذاك الفريق الركن مشهور حديثة

المغفور له الملك حسين على ظهر دبابة مع قائد الفرقة مشهور حديثة

هكذا كان قرارهم ضرب الأراضي الأردنية، بل احتلال جزء منها لجعلها منطقة أمنية من جهة... ثم السيطرة على الحركة الفدائية ضمن دائرة أقل من جهة أخرى... سيما أن الجيش الأردني لم يكن بريئاً من التعامل مع الفدائيين... إذ أن التنسيق الكامل بينه والحركة في تلك الفترة كان في أوجه، وكنت بنفسي أشرف على ذلك، هذا عدا أن الجيش كانت له مواجهاته مع الجيش الإسرائيلي على طول النهر، مما عزز ارتفاع الثقة بالنفس عند المقاتل الأردني.

هنا قررت إسرائيل القيام بعملية تقضي على العمل الفدائي وتسحقه، وكذلك تحطيم المعنويات المرتفعة لقواتنا الأردنية... إذاً لا بد من احتلال مرتفعات السلط وناعور، وبالتالي سيتسنى لها إملاء الشروط التي تريدها... حيث سيتم بذلك السيطرة على عمان، غير أن حسن استخدام قواتي لأسلحتها وتمركزها الجيد باستخدام أفضل الأساليب القتالية، وحسن

التنسيق بين الأسلحة والتعاون التام مع القواعد الفدائية المتواجدة على المحاور شكل كل ذلك قوة دفاعية متكاملة ضد العدو...

أما عن الناحية المعنوية للمقاتلين فقد جعلت عودة الروح القتالية للجنود وتشوقهم للانتقام من مغتصب أرضنا المقدسة، ثم تدافع الفدائيين لملاقاة عدوهم الشخصي - إن جاز لي التعبير - جعل الأمر يبدو في غاية الكمال.

(2)

لا بد من العودة للخلف بعض الشيء حتى تكتمل الصورة، فقد كان الجيش الأردني منتشراً في الضفة الغربية بعد حرب حزيران: حرب الأيام الستة أو بالأحرى حرب الساعات السبعة...

كان انتشاره واسعاً في خط طوله ستمائة كيلو متر، وبعد سقوط الجبهات العربية وضياع الضفة، أصبح جيشنا مهلهلاً... إذ تمت الانسحابات بصورة غير مرتبة وفوضوية... وربما بكلمات أدق... بصورة أشبه بالهزيمة... ولهذا قررت القيادة العليا إعادة تنظيم الجيش من جديد... قتالياً وجغرافياً... وقد أسند جلالة الملك لنا إعادة تنظيم الجيش بتشكيل فرقتين: الفرقة الأولى: بقيادتي والفرقة الثانية: بقيادة المرحوم عاطف المجالي.

ومن هنا أعدنا تنظيم الجيش ميدانياً على الأرض وأعدنا تسليحه لأنه فقد معظم سلاحه وأعدنا تدريبه من جديد وبشكل ممتاز، كما أعدنا توزيعه على الأرض جغرافياً بشكل جديد ومختلف عن الوضع السابق بحكم تغير المعطيات، بحيث أصبح موقفنا الدفاعي أقوى وأكثر متانة من الوضع السابق الذي كان سائداً قبل حرب حزيران 1967، في السابق كان الجيش منتشراً على مستوى ومسافات كبيرة (600 كلم) ثم التنظيم الدفاعي لم يكن على المستوى الذي لا بد أن يكون فيه...

كانت مسؤوليتي هي: الجبهة الواقعة من نهر الزرقاء حتى السويمة في البحر الميت... الأمور التي واجهتني هي: مهمة إعادة تدريب أُناس

فاقدي الثقة بالسلاح والقيادة... وهذه الصفة السلبية عندما تكون في الجندي المقاتل يصبح لا فائدة منه... ولذلك أهم ما واجهته أولاً أن أعيد تدريب هؤلاء الناس المنهزمين نفسياً...

من هنا تم الإعداد اللازم للتدريب، بالنسبة للدفاعات حسب استطاعتنا لأن إمكاناتنا محدودة، خلال التنظيم الجديد وهذا التدريب، حدثت اشتباكات عديدة بيننا كجيش أردني وبين القوات الإسرائيلية، واستثمرت هذه الاشتباكات استثماراً كبيراً لتعويد الجنود والضباط بأن قصف الطائرات ليس جديداً علينا، ويجب أن نتعود على ذلك ونتعايش معه ونقاومه أحسن مقاومة، ونتخندق أحسن خندقة، وهذه ساعدتني كثيراً في تطعيم الجيش خلال هذا التوزيع ...

وخلال هذه الفترة ظهرت المقاومة الفلسطينية أي الفدائيين، وبالرغم مما كان بين المقاومة الفلسطينية وبين القيادة السياسية في الأردن من سوء فهم وخلافات حيث قيل أن نشاط الفدائيين قد يشكل استفزازا لإسرائيل... على الرغم من هذا استطعت أن أبني الجسور الطيبة مع قادة المقاومة وعلى رأسهم الأخ أبو عمار والمرحوم أبو صبري، واستطعنا نحن أن ندمج قواعدهم ضمن مناطقنا القتالية، وطبعاً هذا تم بعد تبادل الثقة بين الطرفين وتعميقها...

وهذه الثقة حقيقية خلقت لي متاعب مؤخراً... لأنك لا تستطيع أن تكتسبها إلا إذا كنت صادقاً معهم، ولا يمكن أن أكون صادقاً في موقف وغير صادق في موقف ثان، ومن هنا بنينا العلاقة بيننا...

وبدأت إسرائيل تشعر في أحيان عديدة بمساعدتنا للفدائيين لأننا أتحنا الفرصة للمقاومة وللعمل الفدائي بالإسناد إسنادا كاملاً من قواتنا ومن مدافعنا، وهذا ازعج إسرائيل، ولذلك قررت إسرائيل سياسياً إنهاء العمل الفدائي في الأردن... وإنهاؤه لا يتم بالدعاية وإنما بالعمل العسكري، ومن هنا قررت القيادة الإسرائيلية بقرار من موشي ديان وزير الدفاع وموافقته وموافقة حكومته بالطبع أن يقوموا بعملية عسكرية كبرى بخلع جذور الفدائيين وتصفيتهم... طبعاً كنا نحن أثناء هذا التوتر الشديد نتوقع أن يتم هجوماً علينا، ومن الممكن أن يكون اعتداءً جوياً، رغم أن الاعتداء الجوي مستمر، ولكن في الآونة الأخيرة ظهر لنا جليا أن الأردن سيتعرض ومحورنا بالذات - المنطقة الموجودين فيها - وأقصد المحاور الرئيسة لعمان العاصمة - محور وادي شعيب والعارضة والسويمة - وهذه المحاور بالتالي إذا سقطت - لا سمح الله - سقط الأردن.

ولذلك اتخذت كافة الإجراءات تنسيقاً مع العمل الفدائي وتنسيقاً مع الجيش، من حيث أن كل أسلحتنا وكل مواقعنا الصحيحة، وإعادة النظر في مراكزنا ومواقعنا وعززناها بقدر ما هو موجود طبعاً...

تختلف معاركنا عما كنا فيه في فلسطين لأنه كان انتشارنا في الضفة الغربية أوسع جغرافياً ونحن هنا انتشارنا أقل، وهكذا بدأ الهجوم الإسرائيلي في الساعة الخامسة صباحاً... وكنت أتوقع هذا الهجوم؛ ولذلك نمت مرتاحاً لأني قمت بكل واجباتي... ولا أكتم سراً بأنني كنت أتمنى ملاقاتهم، لأنني لم أتمكن من نيل شرف القتال عام 1967، حيث كنا في جبهتين، الشرقية التي كنت أنا قائدها وهذه لم تدخل الحرب... والغربية التي دخلت الحرب... هكذا تم فتح إطلاق النار طبعاً من كافة الأسلحة.

(3)

أول دبابة إسرائيلية قطعت الجسر في الخامسة صباحاً، وأمرت بأن تُفتح النار فوراً وتطلق كافة الأسلحة ضد هذه القوات الغاشمة، لكن القوات هذه كانت معبأة نفسياً بأن الأردن لا يقاتلها... وأن الجيش الأردني انتهى... لذلك كانت الدبابة تسير بسرعة 60 كلم، وهذا مخالف لكل قوانين السير

والقوانين العسكرية... حتى وصلت إلى الشونة الجنوبية، ولهذا استطاعت سرعتها أن تدهس الجنود في الخنادق، وهذا يدل على الغرور الإسرائيلي، ويدل على وهم بأن المقاومة غير متوافرة، وأن الجيش العربي لا يستطيع القتال.

ومن وجهة نظري، إن أهم الأسباب للهجوم الإسرائيلي كان القضاء على العمل الفدائي وعلى الروح المعنوية التي بدأت في الجيش العربي، واعتقادي أيضا أن السبب الثالث هو أن يجعلوا من مرتفعات السلط مقراً كما هو الحال في لبنان، وبالتالي يتفاوضون مع الأردن من مرتفعات السلط، ويساومون على توقيع السلام من خلال المعطيات الجديدة، طبعا كانت مسؤولياتنا كبيرة جداً في هذا القتال وفي هذه المحاور بالذات، من هنا أردنا أن نحافظ على محاورنا وعلى مناطق قتالنا والمحافظة بقدر ما نستطيع على المقاومة الفلسطينية ضمن مناطقنا.

تبقى معركة الكرامة بالرغم من مرور هذه الأعوام الطويلة ثمانية وعشرين عاماً عليها نقطة تحول في تاريخ الجندي العربي... وفي تاريخ حروبنا كلها مع إسرائيل، ومن أهم ما تحقق في هذه المعركة هو وحدة الدم والهدف بين الجندي الأردني وأخيه المقاتل الفلسطيني، حيث قاتلا صفاً واحداً وبتنسيق على أعلى المستويات.

صورة كاريكاتورية لدبابة إسرائيلية تدهس الجنود في الخنادق

فالجندي العربي في كافة المعارك مع إسرائيل ظُلم ظلماً كبيراً، وذلك أولاً... لعدم التساوي في العدد والعُدة، وبدون تنسيق بين الجبهات بالشكل المعترف به في حالات القتال، لأنه لم يكن هناك تنسيق بالمعنى الحقيقي المطلوب لخوض قتال ناجح، وكانت هناك تدخلات سياسية نزعت صبغة القيادة عن الضابط العربي الذي أصبح يتصرف لاعتبارات سياسية وليست عسكرية محضة كما هو المطلوب، لذلك كانت نتائج القتال غير مرضية.

معركة الكرامة جاءت بعد إعادة تدريب مكثف وقاس وواسع النطاق... وتم استخدام السلاح بالشكل العسكري الصحيح والمطلوب... ولهذا أعادت المعركة الثقة بين الرئيس والمرؤوس من القوات المندحرة من نابلس وجنين والقدس والخليل... حيث فقدت الثقة هناك وحصلت انسحابات غير منظمة...

وفي الكرامة امتلكنا حرية التصرف في الميدان دون تدخل، إذ أن قادة الميدان يجب أن يمتلكوا حرية العمل بناءً على تقديرهم لمعطيات الوضع على الأرض: الوضع العسكري والقتالي... فالقائد يجب أن يتعامل مع المعطيات العسكرية دون تدخلات...

الجندي العربي والقائد العربي في كافة الجبهات العربية وفي صراعه الطويل مع العدو لم يكن مرتاحاً ولم يمتلك حرية العمل العسكري، وذلك بسبب التدخلات السياسية وكانت النتيجة هزيمة حزيران 1967م المدوية... لقد أثبتنا في الكرامة قولاً وعملاً أنه يمكن دحر العدو المتغطرس الذي أدخل في روع المواطن العربي أنه العدو الذي لا يقهر وتلك هزيمة نفسية قاسية.

في معركة الكرامة وعندما تواجهنا مع العدو وجهاً لوجه وكانت لنا حرية العمل، أوقفناهم عند حدهم ودحرناهم لأول مرة في تاريخ الصراع وأسقطنا مقولة الجندي الإسرائيلي الذي لا يُقهر...

في أول مرة في قتالنا تصدر الأوامر للضباط بأن يكونوا في أقرب نقطة من الخط الأمامي وفي المقدمة، وذلك لرفع الروح المعنوية بين

الجنود... وهو أمر كان مطلوباً بإلحاح شديد... وثانياً: حتى يستطيع القائد اتخاذ القرار السليم من خلال تماسه مع الواقع المباشر وليس من خلال التقارير... أسقطنا مقولة العدو بأن الضابط العربي دائماً خلف جنوده... أصبح أمامهم بكل بسالة وشجاعة... وقد فرضت ذلك على الضباط بأن يتواجدوا قدر الإمكان في الأمام، وفي القيادات المتقدمة حتى يرفعوا الروح المعنوية لجنودهم، وحتى يأخذوا القرار السليم أيضاً... هذا الأمر لم يكن متوافراً في أساليبنا وتكتيكاتنا السابقة... حيث يكون القائد في الخلف حول 20 كلم في بعض الأحيان، ويتصرف من خلال التقارير والأخبار، نحن خالفنا هذا التكتيك لأن الأمر بالنسبة لنا حياة أو موت... وأسقطنا استراتيجيات الانسحابات الخلفية، لأن انسحاباتنا مع الأسف تكون أشبه بالمهزومين، وأسقطت ذلك على مسؤوليتي... لا انسحاب **(الشهادة أو النصر)**... لا انسحابات من الخنادق تحت أي ظرف... ولهذا تم سحق بعض خنادقنا في قوات الحجاب بالدبابات الإسرائيلية... سارت الدبابات على رؤوس الجنود لأنه توجد لديهم تعليمات صارمة بعدم الانسحاب... الانسحاب هزيمة بالنسبة لنا.

إن قناعة المقاتل بالإيمان بالله وبالشهادة ساعد في الصمود وفي تحقيق النتائج الإيجابية الباهرة... وانطلقت صيحات **(الله أكبر)** وكان عملاً روحانياً ممتازاً، بحيث أعطى الثقة بالنفس وبالقدرة على النصر، وكما تعلم... وللمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي يترك العدو معدات كثيرة في ساحة المعركة... خسائره أكثر من أربعمائة وخمسون جريحا ومائتان وخمسون قتيل وثمانية وثمانون آلية وسبعة وعشرون دبابة واربعة وعشرون سيارة مسلحة وثمانية عشرة ناقلة جند وتسعة عشر سيارة شحن وسبع طائرات، رغم أننا لا نملك العدة الكاملة للمقاومة الجوية.

لقد دخل الجيش الإسرائيلي معركة الكرامة بحوالي فرقتين: منها فرقة منقولة وقام بإنزال جوي وإسناد مدفعي وقصف جوي كثيف... طبقاً للحسابات العسكرية كان حجم قواتنا بالنسبة لقوة المهاجمين (1 - 5) إذ أن قواتنا المشاركة هي الفرقة المتواجدة في المنطقة وتضم ثلاثة ألوية،

إضافة لوجود مساندة جوية هائلة عندهم، ونحن لا نملك طائرة واحدة، مقاومتنا الجوية قليلة (12 مدفعاً فقط) بالنسبة للعدو كانت الطلعة الواحدة تضم تشكيلات من خمسين إلى مائة طائرة، وقاموا بأكثر من مائة طلعة...

ولم أتصور حجم كثافة النيران الهائلة التي لم يتعود عليها جنودنا من قبل، وليس لها مثيل في تاريخ الصراع العسكري حتى ذلك الوقت، لم يكن هناك إذن تكافؤ لا بالعدد ولا بالعدة... ولكن الإيمان والصمود وقرار الدفاع عن الوطن مهما تكن التضحيات أمكننا من تحقيق النصر المؤزر.

أما خسائرنا... أقصد الجيش فقد كانت في حدود (195) جندياً بين شهيد وجريح، وهو شيء لا يمكن مقارنته بخسائر العدو...

الفدائيون قاتلوا ببسالة نادرة وقدموا حوالي مائة شهيد... وهذه الخسائر الكبيرة قياساً لحجمهم المتواضع في ذلك الوقت يثبت خطأ المقولة بأن الفدائيين لم يشتركوا في المعركة... هذا كلام غير صحيح... فقد اشتركوا بكل بطولة وبروح معنوية عالية... وقدموا تضحيات كبيرة، حيث اشتبكوا مع الإسرائيليين في الكرامة بالسلاح الأبيض واستبسلوا وأبلوا بلاءً حسناً.

الشيء الوحيد الذي حز في نفسي هو الإنزال الإسرائيلي في الكرامة، إذ لم أستطع أن أعالجه بالقصف المدفعي، فذلك كان سيؤدي لقتل أهلنا من مدنيين وفدائيين داخل المخيم والبلدة، فلو كان إنزالهم على مواقع عسكرية لانقضت عليهم مدفعيتنا بكل قوة... ولكن القتال كان وجها لوجه داخل الكرامة... فكيف سأتدخل بالقصف المدفعي...؟!

(4)

ثمة مَن يتنكر لدور الجيش العربي في الكرامة... ولكن القراءة الموضوعية للحدث تؤكد أن معركة الكرامة معركة جيوش، معركة بين جيشين... وقوة الحجاب التي اصطدم بها المهاجمون عند النهر هي قوة عسكرية، وبمجرد محاولتهم قطع الجسر أصدرت الأوامر بفتح النار...

كانت تعليماتنا بضبط الأمور... ولكن إذا اعتدى العدو فلا تنتظر الأوامر... وإنما افتح النار فوراً ودون انتظار تعليمات...

أنا كقائد في الميدان لا أستطيع أن أسمح لأية قوة أن تدخل أرضي واقف متفرجاً... ولهذا قررت الرد فوراً، وهذا من مسؤوليتي... مسؤوليتي كقائد أن أتعامل مع الأرض ومع الميدان ومع المعطيات... وأن أثبت للإسرائيليين الخطأ الذريع الذي وقعوا فيه حين قرروا خوض معركة بهذا الحجم، وأسقطوا من حسابهم الجيش العربي الأردني... وقد لقناهم درساً لم ينسوه بالتأكيد... التصدي للعدو مسؤولية القائد في الميدان، وحتى قرار وقف إطلاق النار يجب أن يكون مسؤولية القائد العسكري أولا... على ضوء مسار المعركة ومتطلباتها.

أما بالنسبة للفدائيين فقد كان لي تنسيق معهم قبل شهور من المعركة، نسقنا معهم تنسيقا كاملاً، وكانت قواعدهم ضمن مناطقنا العسكرية، ولقد استفدنا من حملة ال-(ار بي جي) من الفدائيين لأنه لم يكن عندنا سلاح من هذا النوع بسبب طبيعة تسليحنا... وقد قمنا بتوزيع هؤلاء المقاتلين حملة ال-(ار بي جي) في مناطق محددة يستطيعون من خلالها ضرب الدبابات، وقد فعلوا ذلك بكفاءة عالية، حيث قاموا بحرب عصابات جيدة... وحيث كانت المنطقة مكسوة العشب في فصل الربيع، وكان الفدائي قادراً على الاختفاء وسط الأعشاب والتحرك من خلال ذلك، لقد ساعدنا وجودهم في هذه المكامن في تحطيم العدو وإرهاقه ومفاجأته أحياناً...مما كان يسبب لجنوده القادمين في (نزهة) الإرباك الشديد...

إنني أتحدث عن مقاتلي «فتح» فهم حسب علمي الذين قاتلوا، كانت هناك ثقة بيننا وبينهم لأننا نعلم أنهم يعملون لتحرير وطنهم ولا يريدون التدخل بشؤون الآخرين والاستيلاء على الحكم والسلطة... وغير ذلك من شعارات رفعها آخرون وأضرت بهم وبغيرهم.

كانت معركة الكرامة واحدة من معارك العرب الخالدة، بعكس تصورات وأحلام الجنرال المتغطرس موشي ديان وزير الحرب الصهيوني الذي وصل به الغرور كما قيل يومها أنه دعا نحو ثلاثمائة

صحفي ليشربوا معه الشاي في السلط في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الكرامة... لكنهم كانوا قبل ذلك التاريخ قد طلبوا وقف إطلاق النار... لأول مرة في حروبهم مع العرب.

(5)

نتائج المعركة كانت إيجابية جداً على جيشنا وبلدنا، فقد اكتسب الأردن احتراماً واسعاً من كل العالم ومن كافة الدول العربية، وعلى وجه الخصوص بعد صموده في الكرامة وإعادته الاعتبار للمقاتل العربي وتكسيره للغرور والصلف الإسرائيلي الذي تضخم بعد انتصاره في حرب حزيران. أتذكر أن وزير الدفاع السوفييتي «اندريه جروميكو» الذي كان في زيارة لدمشق قد أرسل لنا تحية على صمودنا وأدائنا القتالي، واكتسب العمل الفدائي بدوره دفعة قوية للأمام سياسياً وعسكرياً ومادياً وعلى كافة الأصعدة والمستويات، بعد أدائه المتميز في الكرامة.

ومن دروس الكرامة التنسيق بين المقاتل الأردني والمقاتل الفلسطيني وامتزاج دم الطرفين على أرض الأغوار، وهذا التنسيق الذي أفتخر بتحقيقه أغاظ المغرضين من الطرفين، في الساحتين الأردنية والفلسطينية، أولئك الذين تتطلب مصالحهم الضيقة بقاء الفجوة بين الطرفين.

هناك مَن قال أن المعركة قد قام بها الفدائيون وحدهم... وكان دور الجيش الأردني محدوداً، وهناك مَن قال في المقابل بأنه لا دور على الإطلاق للفدائيين، وللحقيقة وللتاريخ أقول أن الدورين متكاملين... دور الجيش الحاسم ودور الفدائيين الذين أهلكوا القوات الإسرائيلية بقتالهم وجهاً لوجه مع الإسرائيليين الذين لم يألفوا مثل هذه الشجاعة، وبالكمائن التي اصطادوا بها الدبابات بقذائف ال-(ار بي جي). وقد واصلت التنسيق مع المقاومة الفلسطينية لما فيه مصلحة القضية، فهي قضيتي كعربي وهي قضية مقدسة، وحينما أصبحت رئيساً للأركان كان الإسرائيليون يقصفون مواقعنا كل يوم تقريباً، وخاصة في منطقة إربد، بسبب التسهيلات التي كنا نقدمها لدوريات الفدائيين الذاهبة للاستشهاد فوق ثرى الوطن.

(6)

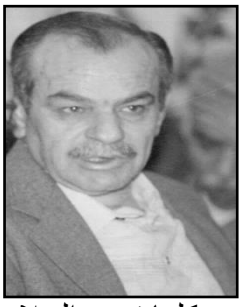

ولعل أفضل ما كُتب عن معركة الكرامة... تلك الشهادة التي أدلى بها العميد «سعد صايل» رحمه الله، وقد كان في حينه قائد لكتيبة الهندسة في فرقتي، وقد عمل تحت قيادتي في تلك المعركة، وكان بلاؤه حسناً. والتي جاء فيها : كنت قائد هندسة الفرقة الأولى في الجيش العربي الأردني التي كان يقودها «مشهور حديثة»... والفرقة الأولى مكونة من أربعة ألوية مشاة أحدها لواء تدريب وكلها تحت السلاح وكتيبة دبابات... ولواء مدرع - بأمره الفرقة للعمليات إلا أنه ليس من ملاكها، وأربع كتائب ميدان وبطارية مدفعية ثقيلة وكتيبة مدفعية مقاومة للطائرات، بالإضافة لكتيبة هندسة ميدان، ثم خدمات الفرقة في حدود سرية طبية، ومشغل ميكانيك وسرية تموين ونقل... الخ. أما محور عمل هذه الفرقة ومجال عملياتها فهو المنطقة الدفاعية من نهر الزرقاء حتى سويمة.

مجنزرة إسرائيلية تم أسرها

ومعركة الكرامة دارت ضمن منطقة عمليات الفرقة التي كانت موزعة على الشكل الاتي :

- لواء في محور السلط - العارضة - جسر دامية

- لواء مشاة آخر إلى محور وادي شعيب - السلط - الشونة

- لواء على محور ناعور - جسر سويمة

- لواء احتياطي في التدريب وكان مركزه منطقة ناعور - خلف منطقة اللواء المتواجد في ناعور.

ومعركة الكرامة لم تكن مفاجئة للجيش الأردني للأسباب الآتية:

1 - الحشد الإسرائيلي كان بدون أي نوع من التخفي والتستر، بل كان واضحاً في الأغوار الغربية.

2 - وردت معلومات من السواقين القادمين من الضفة الغربية، وتهديدات بواسطتهم... أسمعها لهم جنود الاحتلال بقصد نقلها لنا، مثل أننا قادمون... وسترون...

3 - قيادة الفرقة الأولى التقطت ساعة الصفر لعملية العبور وهي 5.30 من 1968/3/21 وكان الالتقاط في مساء 1968/3/20.

قبل أسبوع من المعركة طلب من قيادة الفرقة الأولى إرسال سرية ناقلات جنود - محمولة إلى الكرامة والعمل على إقامة نقاط تفتيش على الهويات، ونزلت السرية من الفرقة وألحقت بقائد لواء الأميرة عالية العميد «كاسب صفوق» بهدف التعرف على الكرامة ومخارجها ومداخلها كنقاط تفتيش وطلب هويات من الخارج والداخل وحتى من المتواجد داخل البلدة.

وفي مساء 3/20 طلب قائد الفرقة منا حسم الأمر، في تلك الليلة كان مقتصراً عليّ وعلى الشريف زيد بن شاكر وقال نريد الخروج لإجراء جولة في منطقة اللواء بهدف التأكد من أن كافة الترتيبات جاهزة لصد الهجوم الذي تأكدت ساعة الشروع به... وبدأنا الجولة بلواء القادسية الذي كان بمحور العارضة - بقيادة قاسم المعايطة، وبعد إنهائها قال حديثة

للمعايطة: «بكرة أتصور العجة والدخان سيصعد للسماء» لأن الحشد الإسرائيلي كان واضحاً حجمه...

انتهينا من اللواء وعملنا اللازم بخصوص الألغام واستمرينا إلى لواء عالية، قابلنا قائد اللواء في الكرامة، وهناك طلب حديثة إلى قائد - المحمولة - سرية الناقلات إفراغ الكرامة من السيارات وتجميعها في شرق الكرامة، وأعطى الواجب لقائد السرية أمامي وهو: إنك مسؤول في الدفاع عن الكرامة والاشتباك من أجل ذلك. أما الدبابات الموجودة مع قوات الحجاب فقد أعطي الأمر لقائد هذه الفئة بتوزيع دباباته الأربع للدفاع عن الكرامة أو بالأصح غلق الطريق المؤدي إليها... وطلب حديثة من صفوق... إذا ممكن أن تنسق مع القائد المحلي للفدائيين وإعلامه كافة المعلومات المتوفرة لدينا وتوقعنا للغد كيوم معركة...

وبعدما وصلنا لواء حطين الذي يقوده الزعيم بهجت المحيسن وبحثنا الترتيبات اللازمة على اللواء لصد الهجوم، وقد قابلنا في مقر لواء حطين الزعيم محمود شابسوغ مدير العمليات العسكرية في الجيش الأردني، فطلب شابسوغ منا الانتباه لمحور فرعي بين السويمه - مأدبا، فأعلمنا بأنه درس ضمن الخطة، وبعدها عدنا لمقر الفرقة في الليل وأعطيت الأوامر لكافة وحدات الفرقة بالإنذار. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنني أعرف عن فتح والثورة الفلسطينية لجوءها إلى أسلوب حرب العصابات والذي يوجب عدم التقيد بموقع ثابت. ولكن... حدث قبلها بثلاث ليال أن زارني في البيت الأخ «**أبو المعتصم**»[1].

(1) اللواء أبو المعتصم - أحمد عفانة/مواليد بورين قضاء نابلس، التحق في الجيش وكان قائداً لكتيبة الهندسة الرابعة في الجيش الأردني، أُحيل على التقاعد من الجيش الأردني برتبة عقيد،من الأوائل الذين انتسبوا لحركة فتح وكان مديراً للعمليات في دمشق منطقة المزرعة،وعند استشهاد القائد سعد صايل حل محله أحمد عفانة (أبو المعتصم) نائبا لرئيس الأركان وكان يشرف إشرافاً مباشراً على لجنة لبنان، وكان هو صاحب فكرة عودة المقاتلين إلى لبنان ونجح في ذلك، وكان يقوم بالإشراف على قوات الثورة في الشتات. ويعتبر الأخ أبو المعتصم أقدم رتبة في الجيوش العربية يلتحق بحركة فتح وكان له دور رئيس في بناء جسر الثقة ما بين الضباط الأردنيين وقيادة فتح، حيث كانت تربطه علاقة مميزة مع الشهيد الفريق مشهور حديثة ،وعمل مساعداً للاخ أبو جهاد في العمليات، وقائداً لمنطقة البقاع، أثناء حصار بيروت.

وأخبرني بأن الإسرائيليين في طريقهم لشن عدوان جديد، وبعدها قال: «وقد جئت لآخذ رأيك، إذا هاجموا فماذا تعتقد على الفدائيين أن يعملوا»، قلت: «بالنسبة لفتح... والثورة بعدها في بدايتها وضمن الظرف الحالي وحتى الآن لم تعرف الجماهير ما يكفي عنكم، وأن أي احتكاك واسع مع إسرائيل يخدم الثورة، لذا أعتقد أن يبقى الفدائيون في الكرامة ويقاتلوا... مع علمي الأكيد أنه ليس من واجب محارب العصابات أن يثبت في موقع ويقاتل فيه... إلا أنني أعتقد أن مسألة التجريب والتلاحم مهمة وإذا حدث نصر سيكون رد الفعل كبيراً جداً».

وأذكر أننا اتفقنا على خطة - مع طلبي بأن تصل هذه الخطة لقيادة الفدائيين - وهي: عدم التجمع في الكرامة والتوزع خارج البيوت... واقترحت أن يتقدم البعض نحو النهر لإجراء اشتباك هناك والجزء الآخر يكون خارج الكرامة، وإذا حدث ووصل العدو للكرامة يشتبك معه الفدائيون بحرب شوارع.

وقد حدث بعدها اجتماع في الكرامة لقادة المنظمات وحدث اختلاف حول مسألة البقاء في الكرامة أو الانسحاب منها... وقد علمت مؤخراً أن المنظمات التي أقرت البقاء هي: فتح - وقوات التحرير الشعبية، أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - قبل انشقاقها - فقد رفضت التخلي عن استراتيجية حرب العصابات، عليه قررت الانسحاب من الكرامة، وبالنسبة لترتيباتنا بالفرقة فقد اتفقنا على زرع حقول ألغام لمساعدة الفدائيين وإعلامهم عن مواقعها، إلا أننا لم نُعط الوقت الكافي لزراعة تلك الحقول.

كان مقر قيادة الفرقة موجود في منطقة زي بين الأحراش، ومقر العمليات - غرفة العمليات - في ثلاث مغر عند النبي يوشع، وفي الساعة 5.35 - حسب توقيت ساعتي - انفجرت أولى قذائف المدفعية ولم ينتظر أحد شيئاً، فقد كانت لدى الجميع أوامر بالرد فوراً...

وصلت قيادة عمليات الفرقة فوجدت الجميع بما فيهم قائد الفرقة، وأحدث المعلومات تصلنا من جميع الألوية عن الهجوم، وطبعاً المدفعية

الأردنية اشتركت من أول لحظة وللتاريخ أقول... لقد أصدر قائد الفرقة أمراً بفتح نيران المدفعية دون انتظار أوامر.

إن حركة الهجوم والتفافهما دعانا للخروج بتحليلات واضحة بأن العدو يقصد مباشرة بلدة الكرامة لتواجد الفدائيين فيها، واستمرت المعلومات تتوارد من الكرامة عن سير القتال حتى العاشرة والنصف صباحاً، أما طيران العدو فلم يشترك قبل الثامنة والنصف لوجود الضباب، وبعدها تدخل... وفي 10.30 انقطع الاتصال مع الكرامة، فأبلغنا قائد الفرقة وطرحت عدة احتمالات، وعليه طرح سؤال: هل نقصف الكرامة أم لا...؟ وتم القرار على عدم قصف الكرامة لوجود الفدائيين وبقايا السكان...

الإجراءات: اتصل قائد الفرقة مع قائد لواء عالية وأصدر أمرا بإرسال ضابط وجهاز اتصال فوراً لإيصال معلومات عن الكرامة... وأثناء النقاش قلت: إن السرية المحمولة التي وضعناها تضم 14 ناقلة، وبكل ناقلة جهاز اتصال، ولم تصلنا أي معلومات عن هذه السرية فلماذا...؟ ولماذا لم يتصل بنا قائد السرية...؟

وكان الإلحاح ينصب على أن تلك السرية يمكن أن تحسم الموضوع على مشارف الكرامة إذا جاءت معلومات عن إنزال مظليين من موقع شمال شرق الكرامة، وكان واجب المحمولة التصدي لأي إنزال يحدث...

إلا أنه لم ترد - كما قلت - أيه معلومات عن اشتباك مع المظليين، وكان معقولاً جداً أن تؤدي تلك السرية دوراً كبيراً في الموضوع، فعلى كل ناقلة رشاش 500، وبكل ناقلة 12 جندياً... وكان آمر السرية ضابطاً مدنياً اسمه «خضير»، الضابط الذي أنزل مع جهاز اتصال اعتقله العدو وقتله، وعندما علم قائد الفرقة بالأمر أصدر أمراً آخر بوجوب إيصال المعلومات من الكرامة وبأي وسيلة من الوسائل.

وجاءتنا بعدها المعلومات... القتال الآن داخل الكرامة بالسلاح الأبيض، أما خارجها وعلى مشارفها القريبة فالقتال مستمر... إذ أن العدو هاجم من عدة محاور... واخترق من محور واحد أو محورين، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تعرض مقر قيادة الفرقة للقصف الجوي؛ ذلك

أن كتيبة دبابات الفرقة التي كانت موزعة على حجابات الفرقة قد أبطل مفعولها نهائياً - حسب المعلومات الواردة من الألوية - لأنها دمرت... وعلى هذا الأساس تقرر تحريك كل ما تبقى من دبابات، وطلبت كتيبة دبابات متواجدة في طبربور[1] بعمان، وقد صدر القرار في 11.30 من 1968/3/21.

وتحركت سرايا الدبابات إلى مناطقها المحددة - طبربور - سرية لمحور العارضة - داميا، لواء الهندسة، وفي طريقها سارت قريباً من مقر قيادة الفرقة - النبي يوشع - وعندما سارت بالقرب من قيادة الفرقة هاجمها الطيران فتوزعت فوراً حول مقر الفرقة في البساتين، فخرجنا لرؤية الغارات على سرية الدروع، إلا أن قائد الفرقة طلب من الجميع دخول المقر وبقي هو وضابط آخر في النهاية، وفجأة انفجر صاروخ بجانبه إلا أنه لم يُصب، وعندما خرجنا وجدناه ملقى على بعد عدة أمتار عن مكانه منقولاً بقوة الانفجار فأدخلناه على الفور وتم تركيز الطيران على المقر فأصاب صاروخ أو اثنان مقر لاسلكي الفرقة فعزلنا تماماً.

كانت هناك ثلاث مغر:

- المغارة الشمالية: مقر عمليات الفرقة
- الوسطى: مقر قيادة اللاسلكي
- الجنوبية: مقر هندسة الفرقة

والذي يفصل بين مغارة ومغارة هو الجدار المحفور... وطرح رأي بالخروج من المغر... ورأي آخر بالبقاء فيها لأن أي خروج معناه أن نعالج أمر الطيران بالرشاشات، وطبعاً البقاء يعني إمكانية استشهاد الجميع... إلا أنه تقرر حسم الموضوع بالبقاء وإخفاء أي حركة ريثما ينتهي الطيران، وبالفعل توقف الطيران.

وجدنا أن هناك اتصالاً بين مدفعية الفرقة والألوية ومقر قيادة الجيش، ومنها تولت مدفعية الفرقة كافة الاتصالات، وعندما أُعيدت

(1) طبربور : احد الاحياء في العاصمة الاردنية - عمان.

الكهرباء في الساعة الثالثة بعد الظهر تولت قيادة الفرقة مباشرة الاتصال، واكتفت مدفعية الفرقة عن الاتصال الرئيس، واستمرت المعركة حتى الساعة 3 أو 3.30 بعد الظهر حيث بدأ الإسرائيليون بمعركة انسحاب.

وأود أن أذكر أن وحدات هندسة العدو حاولت إقامة جسر بجانب جسر داميا، وآخر بجانب جسر سويمة - ناعور، وفي حينه جرى اتصال بقيادة الجيش وكان اللواء مشهور حديثة يتكلم عن الفرقة ، وعلى الطرف الآخر عامر خماش، وسمعنا حديثه يقول: «أخشى أن تدخل قوات أخرى رئيسة للمنطقة عن طريق هذه الجسور، وأخشى أن تكون العملية عملية احتلال مش عملية محدودة خاصة بالأغوار...»، فأجاب عامر خماش على الخط: «لا هذا مش وارد... وعليكم متابعة موضوع الجسور».

فسألني اللواء مشهور حديثة عن تحليلي لبناء الجسور فقلت: أما أن تكون هذه المحاولة لتعزيز قوات العدو الداخلة بقصد الاحتلال... أو أن تكون عملية تمويه وحرب نفسية لإشعارنا بحجم مهول للقوات المتقدمة لاحتلال الضفة الشرقية لنترك الدفاع عن المنطقة...

قلت بدأ الانسحاب 3.00 أو 3.30 بعد الظهر حتى الساعة 5.30 - 6.00 من الانسحاب غربي النهر وانقطع التماس ما عدا بعض الجيوب، إلا أن الطيران هو الذي أمّن قطع التماس نهائياً الساعة الثامنة ونصف مساءً، لم يستعمل العدو جسور الميدان التي حاول إقامتها لعدم إنهائها، فالمدفعية كانت تكرر قصفها... وطيران العدو حاول عدة مرات إسكات المدفعية، وفي الساعة 8.30 - 9.00 كان آخر قصف للطيران على منطقة عيره.

اتصل الملك بنفسه بقائد لواء عالية وكرر عليه أنني الملك وأريد أن تخبرني بخسائر الفدائيين بالضبط... وبعدها استراح الملك قليلاً في المقر ثم عاد إلى عمان...

وفي الليل أعدنا التجول على قيادات الوحدات ولم نتمكن ليلتها من النزول إلى بلدة - الكرامة - وفي النهار الآخر نزلنا وشهدنا الخسائر،

وطلب الفدائيون مساعدة الهندسة لكشف الألغام المشتركة في جثث الشهداء من المقاتلين ولم أتبين شخصياً العدد بالضبط، إلا أنني أذكر أنه كان كبيراً.

أما خسائر الجيش فقد كانت 128 بين جريح وقتيل - 12 دبابة دمرت تدميراً كاملاً - 8 دبابات أعطبت - وخسائر كثيرة في الآليات الأخرى.

وفي اليوم التالي طلب قائد الفرقة عقد اجتماع كامل لقادة الوحدات وعقد الاجتماع في الكرامة لرفع تقرير مفصل لقيادة الجيش بالموضوع وعندما رفع التقرير وضع فيه فقرة عن الفدائيين هي... «**أما الفدائيون فقد قاموا بواجبهم خير قيام وقاتلوا في بلدة الكرامة حتى مرحلة القتال بالسلاح الأبيض، وتقديراتنا لشهداء الفدائيين 150 شهيداً، وبعد اطلاعنا على أن هؤلاء الناس جميعاً إصاباتهم في صدورهم من الأمام، وللتاريخ أقول... قاتلوا قتال الأبطال...**

من اليمين خليل الوزير ، ياسر عرفات، سعد صايل

ويستكمل مشهور حديثة قائلا... قبل 5 حزيران 67 كنت أقود تشكيلات تنحصر مسؤولياتها بالضفة الشرقية ما عدا لوائي الدروع 40 و 60، وكان اشتراكي بهذه الحروب الخاسرة بأعصابي وإحساسي، حيث كنت أمارس القيادة الموجهة لاسلكياً مع الأسف الشديد... وكان أسوأ ما تلقيته من أوامر هو الأمر بالانسحاب من الضفة الغربية وأخص (القدس)... لقد نزل علي كالصاعقة، وفيما بعد عرفت مبررات الانسحاب... ولكنني بعد ذلك عدت أقول أن أكبر خيانة نقترفها بهذه الظروف أن نستسلم للقنوط واليأس، وأنه لا بد لكل نهضة أن تحيط بها المشاكل والصعاب، فعلى كل فرد أن لا تثنيه المتاعب والنكبات عن العزم لتحرير البلاد والنهوض بها... وعلينا أن ندرك أننا ليس الوحيدين في مجابهة الصعاب والمآسي... فكل أمة نهضت جابهت ما يجابهه العرب... وما أكثر الدلائل في تاريخنا الخالد، حيث اجتزنا عقبات بالعزيمة والإرادة والإيمان.

كان لا بد من إعادة تنظيم سريع لهذا الجيش فقد عينت قائداً للفرقة الأولى التي تضم معظم ألوية المشاة التي اشتركت بالحرب، كان ينقصها أشياء كثيرة... وأهمها الثقة بالنفس وبالسلاح... لأن الكارثة التي حلت بالأمة العربية في فلسطين جعلت الكثيرين من الشباب والشيوخ ينظرون إلى بني قومهم (العرب) نظرات قاتمة من زوايا التشاؤم والقنوط... وغمرت الناس أمواج من المتاعب والصعاب فضعف إيمانهم بتاريخهم وتراثهم... لذا كان لا بد لي أن أبدأ بمعالجة هذه الأمور الهامة لإعادة الثقة والإيمان إلى النفوس... وكان الموقف يتطلب السرعة والإتقان.

كان العدو مستهتراً بنا وبقواتنا، حيث بدأ بوضع نقاط مراقبته المتاخمة لنا وعلى طول نهر الأردن بشكل مكشوف، ووضع في كل نقطة العلم الإسرائيلي كدلالة... وكان يقصد بهذا عرضا لعضلاته واستهتاره بنا وبوجود العرب... وكنت بجولاتي على الحدود أرى هذه المناظر بل وأسوأ منها.

إنني أذكر بإحدى جولاتي على خط وقف إطلاق النار مع قسم كشفي ووصولي جسر الملك عبد الله (سويمة) قام أحد أفراد العدو وأخذ

يفرد العلم الإسرائيلي أمامنا، ويؤشر على النجمة التي بداخل العلم، وقد استثارنا... ولولا ضبط الأعصاب لحدث اصطدام بتلك اللحظة... إلا أنني أوضحت للأفراد بضرورة ضبط الأعصاب، وسيأتي وقت يغيب عنا منظر هذا العلم... وفعلاً غاب بعد بضعة أشهر من الاصطدامات المريرة على الحدود...

واستمر الاستعداد بشكل جدي... وبنيت الثقة بالنفس، وأخذت الاصطدامات بين قواتنا وقوات العدو تأخذ طابع جدي، وبكل هذه الحوادث وجدت أنها فرصة ذهبية لتنظيم أفرادنا من جهة وتلقين عدونا درساً... واستمرت الحالة حتى يوم 1968/11/20م عندما قصف العدو بلدة الكرامة الآمنة، ونتج عنها قتل وجرح اكثر من أربعة وعشرين شخصاً.

وفي صباح يوم 1968/11/21م الساعة 8.00 فتح العدو نيرانه على قواتنا المتاخمة إلى الكرامة وردت عليه قواتنا رداً عنيفاً، وقد ألحقت به خسائر فادحة، واضطر كعادته إلى اللجوء لسلاحه الجوي، عندما تخفق قواته الأرضية، وكانت قواتنا له بالمرصاد... ونتيجة الغارة أسقطت مقاومتنا طائرة «ميستير» مع الطيار «ايفون ديفيد» الذي قتل بالحال من قبل المزارعين الأبطال في منطقة الشونة، وتكبد خسائر فادحة بالأرواح والمعدات، لأننا كنا البادئين والمصممين للانتقام منه.

(8)

بدأت المعركة في وقت واحد وعلى جبهة واسعة، امتدت من شمال جسر الأمير محمد في وادي الأردن إلى غور الصافي جنوب البحر الميت... بدأت في الساعة 5.00 من صباح يوم 21 آذار 1968م، واستمرت 16 ساعة في قتال مرير على طول الجبهة... ومن مجرى الأحداث ثبت أن العدو أراد الاقتحام على أربعة محاور رئيسة تؤدي جميعها حسب طبيعة الأرض والطرق المعبدة عليها إلى مرتفعات السلط وعمان والكرك.

أ - **محور العارضة:** ويأتي من جسر الأمير محمد (داميا) إلى مثلث المصري إلى طريق العارضة الرئيس إلى السلط.

ب - **محور وادي شعيب:** ويأتي من جسر الملك حسين (اللنبي سابقاً) إلى الشونة الجنوبية، إلى الطريق الرئيس المحاذي لوادي شعيب السلط.

ج - **محور سويمة:** ويأتي من جسر الأمير عبد الله إلى غور الرامة إلى ناعور إلى عمان على الطريق الرئيس بين القدس وعمان.

د - **محور الصافي:** ويأتي من جنوب البحر الميت إلى غور الصافي إلى الطريق الرئيس حتى الكرك. ثبت أن العدو استخدم على كل محور من هذه المحاور مجموعة قتال مكونة من المشاة المنقولة بنصف مجنزرات مدرعة... والدبابات تساندها على كل محور مدفعية الميدان... والمدفعية الثقيلة... ومع كل مجموعة أسلحتها المساندة... ورشاشات 500... ومدافع مقاومة الدبابات 106 ملم ومدافع الهاون.

كما قام العدو بهبوط مظلي منقول بطائرات هيلوكوبتر على قرية الكرامة وعلى غور الصافي، كل ذلك في وقت متقارب وبخطة واحدة وعملية هجوم شامل واحد.

ومع أن العدو لم يتجاوز مدخل المرتفعات، حيث اصطدم بقواتنا الأمامية ورُد على أعقابه... إلا أنه بقي يعيد تنظيمه بعد كل هجمة على المحاور... يندفع مرة أخرى بقصد الاختراق تسانده مدفعيته وطائراته حتى الساعات الأخيرة من المعركة...

ومع أن هجوم العدو وعدوانه على الجبهة الأردنية تعدى حدود مسؤولية اللواء مشهور حديثة، إلا أن المعركة الرئيسة دارت على المحاور الثلاثة التي كانت تدافع عنها وحداته وهي:

1 - محور العارضة

2 - محور وادي شعيب

3 - محور السويمة

كانت الصورة العامة واضحة بأن العدو سيقوم بعملية ما ضد قواعد الفدائيين، وربما على بعض مراكزنا الأمامية، وشعرت حتى تاريخ 17 آذار 1968م بأن هذه العملية محدودة كذلك... إلا أن الصورة تبدلت بعد ذلك التاريخ، وأصبحت المعلومات التي تردني تشير إلى عمليات واسعة النطاق... وربما أن هجوم شامل بقوات كبيرة على الجبهة كلها.

وكان عليّ أن أقدر الموقف من جديد، فقمت بكشف واسع النطاق، واجتمعت بالقادة على جميع المستويات، وزرت قوات الحجاب على جميع المحاور... وخرجت بنتيجة واضحة أن العملية المقبلة ولو أنها ستشتمل على التعرض للفدائيين، إلا أنها ستكون بصورة رئيسة هجوماً عاماً على جميع المحاور، ومحاولة اختراق المحور الذي يضعف أمام اقتحامه وتغذيته بقوات جديدة، والاندفاع عبره إلى المرتفعات، وكان عليّ أن أحسب حساب أسوأ الاحتمالات.

قضينا كل أيام ما بعد معركة حزيران في إعادة التنظيم والتدريب المستمر... وحاولنا جهدنا استغلال ما عوضته لنا رئاسة الأركان من أسلحة ومعدات وآليات لأقصى درجة ممكنة... وكان العمل يجري ليلاً ونهاراً، وكان الشعور دائماً بأن علينا أن نبذل مزيداً من الجهد، وبقيت المعنويات عالية والتصميم على القتال مدعاة للثقة والإيمان.

وكانت للوحدات فرصة جيدة للقتال قبل معركة الكرامة... عندما قام العدو باعتداء يوم 1967/11/21م حيث تلقى درساً قاسياً وخسر خسائر كبيرة من الرجال والآليات، كذلك تلقى دروساً جديدة في عدوانه يوم 1968/1/25م و 1968/2/11م، وبالرغم من كل ما واجه منا من مظاهر العناد والتصميم بقي غروره مستمراً من حزيران، وكان لا بد لنا من معركة، فقد كان شوق الجميع لها عظيماً.

كنا نعرف جيداً - كل واحد منا - أن السيطرة الجوية بيد العدو... ولكن الخسائر القليلة التي أصابتنا نتيجة لغارته الجوية كانت السبب في تدريب جميع الوحدات «وتطعيمها ضد الجو» - إذا صح هذا التعبير - وكان سقوط عدة طائرات للعدو فيها، وطائرته التي سقطت في غور

نمرين وقتل طيارها «داود ايفون» نقطة تحول إلى اجتماع لحسم الأمر، وعالجت فيه جميع الاحتمالات القائمة آخذاً بعين الاعتبار قيام إسرائيل بشن هجوم كبير وليس غارة محلية ضد المقاومة، كما حاول العدو أن يدعي...

ولم يتطلب حسم الأمر فترة طويلة خصوصاً أنني تركت ضباط الأركان يقومون بجهدهم العالي ويعملون باستمرار... واغتنمت الفرصة التي تتيحها لي حرية العمل المتوفرة... ولهذا ذهبت لزيارة قوات الحجاب... وتحدثت إلى القادة والضباط وضباط الصف والجنود... وقمت بإجراءات معينة لتعزيز محور العارضة ومحور وادي شعيب والكرامة بالدروع والمشاة الآلية، وأعتقد أن لزيارتي في ذلك اليوم وللإجراءات التي اتخذت تأثير في سير المعركة في اليوم التالي.

كان رئيس الأركان قد حدثني عن تدريب قناصة رجال المشاة... وفعلاً عقدنا دورة في أحد الألوية لإعداد القناصة والأنيرجا لصيد الدبابات، وقد استمرت الدورة ثلاثة أيام، وقد فكرت فيما يستطيع هؤلاء أن يصنعوا في اليوم التالي ضد العدو، فكرت في ذلك عندما عدت إلى قيادتي بالثامنة والنصف ليلاً، وفي اليوم التالي كان لهؤلاء الرجال موقف بطولي ودقيق لن أنساه أبداً.

لم يكن هنالك أي شيء أعمله بعد كل الإجراءات... ومع أن شوقي للمعركة من أجل جنودي وتحقيق رغبتهم في الفوز كبير... إلا أنني شعرت أن أفضل شيء أصنعه هو أن أنام حتى أكون قادراً على العمل في اليوم التالي لساعات أطول، وأن أستعد للمعركة.

وما كدت أغفو قليلاً حتى رن جرس الهاتف... وكان الركن المناوب يبلغني بهدوء بأن هناك حركة واضحة على المحاور الرئيسة خلف الجسور... وقدرت أن العدو يقوم بتوسيع مراكزه لحماية تجمعه بقصد الهجوم، وشكرت الضابط المناوب الذي أبلغني بذلك... ورجوته أن يبلغني بأية تفصيلات أخرى صغيرة... وعدت للنوم... وأنا أفكر في قائد الهجوم المعادي الذي أمامي... وكيف سيدير معركته وشعرت إذا استطعت أن

انتزع زمام المبادرة منه في الساعة الأولى من المعركة... تقوم بأخذ زمام المبادرة ودحره مهما كانت نواياه... ومهما كان حجم قدراته... وكنت واثقاً أن القادة سيعملون بهمة عالية طوال الليل، وأن كل شيء سيكون جاهزاً في صباح الغد.

وفي الساعة 5.25 رن جرس الهاتف... فنهضت بسرعة وقلت بدأ الهجوم... بدأ قبل أن استمع إلى الركن المناوب يبلغني باجتياز جسر الملك حسين... وأبلغته أن يصدر الأمر بفتح النار على حشود العدو أينما كانت... ولم أذكر في حياتي أنني صحوت بهذا الأسلوب... وما استقبلت يوماً من أيام حياتي بمثل هذه السعادة والفرحة... ولكن كل شيء عاد إلى طبيعته، وتوضأت وصليت صلاة الفجر... وأخذت أدعو الله بعد الصلاة، وأذكر أنني قلت... «**يا ربي كما تعلم نحن ندافع عن حق... وهم يعتدون على حق... فأرجو منك النصر يا رب**».

وبعد أن ارتديت ملابسي ذهبت إلى غرفة العمليات واطلعت على الموقف ووجدت شؤون العمليات عادية ومنظمة... وأن كل الأمور تجري حسب التدريب الذي واصلناه فترة من الزمن، حقاً إن التدريب الجيد للأركان يجعل القائد حراً من التفصيلات التي لا تلزمه ساعة يكون بحاجة إلى اتخاذ قرارات كبيرة.

وفي الساعة 5.40 تمكن العدو من اجتياز جسر الأمير محمد (داميا)، وقبل ذلك بدقائق قليلة كان قد اجتاز جسر الملك حسين... وتحقق لي أن العدو يحاول بكل جهد مستطاع اجتياز جسر الأمير عبد الله، ولكنه لم يستطع ذلك الوقت... وتأكد لي على ضوء هذه المعلومات أن لجوء العدو إلى «معذرة» مقاومة الفدائيين ما هي إلا المبرر الذي أراده لاقتحام مواقع قواتنا...

وكانت الأمور حتى ذلك الوقت كما أريد... وكان الاتصال جيداً ولم تتأخر عنا المعلومات أبداً... وكان الأركان يضعون جميع التحركات على الخرائط المختصة بهدوء ودقة، ولكن بسرعة ووضوح، وشعرت أن زمام المبادرة سيتحول إلينا قريباً...

ما كنت أود أن أتدخل في كيفية إدارة المعركة من قبل القادة، ولكنني شعرت أنه من الضروري الاتصال بهم والتأكد من موقف كل واحد منهم... واتصلت بهم هاتفياً وذكرتهم بضرورة وجودهم في الأمام... حيث يمكن لرجالهم أن يشاهدوهم وأن يديروا المعركة من خط الاشتباك مهما أمكن... وقلت لهم أنهم يكتبون التاريخ العسكري لجيشهم ووطنهم وعروبتهم... وواضح أن الأمر أما حياة أو موت... وقلت لهم أن يدعو الله... وأن يبثوا الحماس للقتال في نفوس جنودهم في كل مكان... وكنت مرتاحاً لكل جواب سمعته... وقد عمل كل واحد منهم أكثر مما تمنيت منه أن يعمل... وكنت فخوراً بهم... واتصل بي رئيس الأركان عدة مرات... وأوضحت له الموقف، وفهمت أن جلالة الملك في غرفة العمليات... وشعرت من حديثه بالثقة والإيمان وأنه مرتاح للموقف، إنه مهتم جداً به.

وبقي الأمر خطيراً حتى الساعة 10.30... وبدأت بعد ذلك أشعر أن زمام المبادرة تحول إلينا... وأن إرادتنا هي التي تسيطر على المعركة، فقد صدت عدة هجمات له على محور العارضة، ومنع من اقتحام مراكزنا قرب الشونة الجنوبية، ولم يستطع عبور النهر عند جسر الأمير عبد الله.

وكانت قد انفصلت عن محور هجومه الرئيس على الشونة الجنوبية مجموعتا قتال... مجموعة اتجهت نحو بلدة الكرامة حيث هبط المظليون ووجدوا مقاومة عنيفة من دباباتنا ومشاتنا الآلية وأقسام مقاومة الدبابات وأقسام إسناد الرشاشات 500، ومن الفدائيين حيث دارت معركة بالسلاح الأبيض... ومجموعة أخرى اتجهت نحو مثلث سويمة الرامة... وكان لا بد من اتخاذ إجراءات احتياطية معينة، ودفعت عناصر من الدروع ولو تحت قصف الطائرات من أجل تعزيز الموقف... ولطرد العدو الذي أخذت حدة هجومه تنهار وأخذ يعيد تنظيمه من أجل اندفاع جديد.

ولأول مرة طلب العدو في الساعة 11.30 وقف إطلاق النار، ولكننا أصرينا أن يستمر القتال حتى خروج العدو من ميدان المعركة وطرده نهائياً غرب النهر...

وبعد أن فشلت هجمات العدو الأخيرة وتأكد لي أنه لم يعد قادراً على مزيد من الهجوم أصبحت المعركة معركة مطاردة حشوده أينما كانت... وقد أبلت مدفعيتنا ودروعنا في هذا المجال بلاء حسناً... وأمرت جميع القادة أن يحاولوا جهدهم منع العدو من سحب آلياته المدمرة، فقد كان دائماً يسحب خسائره ومعداته، ولو كلفه ذلك مزيداً من الخسائر... وكانت فرصة لإيقاع مزيد من الخسائر بين حشوده، وهو يحاول يائساً سحب كل آلية... إلا أنه هذه المرة لم يستطع... فدمر قسماً منها وترك الآخر الذي غنمناه في هذه المعركة.

وخرجت من قيادتي أقصد الوصول إلى الشونة والكرامة التي بدأ العدو ينسحب منها، وبدأ مع ذلك قصف جوي شديد جداً على جميع المحاور، ولعمق بعيد وصل إلى قيادتي في ذلك الوقت.

كان مستوى المقدرة على القتال مناسباً، للتصميم العظيم من قبل جميع الرتب... وكان النظام الجيد والطاعة العفوية واندفاع القادة عل كل مستوى... ووجود قادتهم الكبار بينهم من الأسباب العديدة في انتزاع زمام المبادة مع العدو... واحتفاظنا به حتى انتهت بهزيمته.

وهكذا بدأت الثقة بالنفس... وبدأ التصميم والعزم على مقاتلة العدو... واستمرت الحوادث والاصطدامات الدامية تأخذ طباعها مع اشتداد المقاومة العربية الباسلة، وتعددت حوادث التسلل من قبل الرجال المسلحين من فدائيين وغيرهم تدخل للأرض المحتلة، وبالطبع كانت تجد هذه الجماعات العطف والمساعدة، وحتى إعطاءهم نار الإسناد عند الضرورة، هذه الأعمال أزعجت العدو المنتصر المغرور لدرجة السيادة الجوية على ساحة المعركة... ففكر أنه لا بد من القضاء على كل مواجهة تجابهه... ولا بد من تحطيمها في مهدها والقضاء عليها... ومن هنا بدأ العدو بالاستعدادات المكشوفة لمعركة الكرامة.

(9)

أكثر من نصف قرن تقريباً وإسرائيل تمثل الخطر الرئيس وأداة العدوان الأساسية على الأمن العربي ليس بمقوماته العسكرية فحسب،

ولكن أيضاً بأبعاده الرئيسة الأخرى من حرية الاختيار السياسي وحق تقرير المصير والاستقرار اللازم للتنمية الاجتماعية والاقتصادية... فالتحدي لم يكن لمجرد اغتصاب أرض عربية عزيزة علينا كفلسطين... وتشريد شعبها...

لكن الهدف الحقيقي هو إرساء الوجود الإسرائيلي لقاعدة عدوانية توسعية في قلب الوطن العربي من أجل تقويض الوحدة العربية التي وعدنا بها من قبل الغرب... وكانت النتيجة احتلال فلسطين بكاملها... والسيطرة على كامل مصادرها من بترول... وممرات مائية مثل قناة السويس... وطرق تربط الغرب بآسيا... الخ.

خلال الخمسينيات والستينيات استقر التعامل على توزيع الأدوار في لعبة الشرق الأوسط مناصفة بين العملاقين أمريكا والدول الغربية من جهة والاتحاد السوفييتي ومجموعة الدول الاشتراكية من جهة أخرى... واستمر الجمود حتى وصلت منطقة الشرق فيما سمي «اللا حرب واللا سلم « وكان يعني هذا فشل الفاعلية العربية في رد التحدي لأمنها...

مع تعاظم هذه الحركة وتنسيقها مع قواتنا بالأمام؛ أزعجت الكيان الإسرائيلي خاصة الخسائر التي ألحقت في مستعمراتها في سمح وبيسان، وقررت إسرائيل المواجهة لهذا العمل ومحاولة القضاء عليه في مهده، ولكن لكون الحركة الفدائية موزعة على المدن والمحاور والمناطق النائية... لم تكن هدفاً سهلاً لسلاح الجو الإسرائيلي.

ونظرا لكثافة تواجد العمل الفدائي في غور الأردن وخاصة بالقرى المتاخمة للحدود مع إسرائيل مثل الشونة والكرامة والتي توجد فيها مجموعة كبيرة تزيد عن 400 فرد بقيادة الأخ أبو عمار.

عندما أشيع لإسرائيل عن تعاطف قواتنا مع هذه الحركة... وشعرت بارتفاع المعنويات القتالية بين قواتنا خاصة بعد المواجهات الكبيرة بين قواتنا على طول النهر وقوات العدو... قررت إسرائيل أن تقوم بعملية تكون القاضية على العمل الفدائي... وكذلك تحطيم المعنويات المرتفعة لقواتنا بعد هذه المواجهات... وبالتالي محاولة احتلال مرتفعات السلط

وناعور... وبالتالي يتسنى لإسرائيل السيطرة على العاصمة - عمان - وإملاء شروط الاستسلام...

لكن حسن استخدام القوات لأسلحتها وتمركزها الجيد باستخدام أفضل الأسس القتالية على الأرض، وحسن التنسيق بين الأسلحة والتنسيق التام مع القواعد الفدائية المتواجدة على المحاور شكل دفاع متكامل ضد العدو... واستطعتُ أن أعيد الروح المعنوية العالية بنفوس الجنود... وروح الانتقام من العدو الإسرائيلي المغتصب لأرضنا ومقدساتنا... وفي مقدمتها أولى القبلتين وثاني الحرمين «القدس الشريف».

وخلال هذه الفترة تنامت الروح المعنوية بين الجنود... وتعاطف مع الحركة الفدائية التي تقوم بالأعمال القتالية تكاد تكون يومياً ضد العدو الإسرائيلي، بالرغم من الخلافات التي نشأت بين الحكومة الأردنية والحركة الفدائية في المدن الرئيسة... استطعتُ أن أحول دون هذه الصدامات في ضمن منطقتي القتالية...

وهكذا اكتسبتُ احترام هذه الحركة من القاعدة حتى القيادات الفدائية... وهذه الثقة لم تأت من خلال العمالة للحركة الفدائية كما يصفها المدسوسون فينا من عملاء لإسرائيل وللمخابرات الغربية أو قصيري النظر، وبعض المقربين من القيادة السياسية... بل هي مصداقية الالتزام القومي العربي وشرف الجندية العربية الملتزمة بقضايا الأمة التزاماً قولاً وعملاً... والتي كانت تفتقره الساحة العربية في هذه الحقبة من الزمن...

مع اشتداد المجابهة والقصف المتبادل بين قواتنا وقوات العدو... نمت الروح المعنوية والعطف على الحركة الفدائية لما تقوم به من أعمال انتحارية ضد مراكز ومستوطنات العدو وخلال هذه الاصطدامات استطعنا في مقاومتنا الأرضية إسقاط إحدى المقاتلات الإسرائيلية قرب الكرامة وسقط قائدها الكابتن «ايفون» صريعاً... وهذه أولى نتائج حسن استخدام السلاح ورفع المعنويات... ورغم قدرة سلاح الجو الإسرائيلي على الطلعات على مراكزنا ومراكز القواعد الفدائية... فإن إسقاط هذه الطائرة بقائدها قد حذر إسرائيل من عدم المبالغة باستخدام سلاح الجو على

مراكزنا. ومع سقوط هذه الطائرة تعالت روح القتال بين كافة المقاتلين وأصبحت المجابهة تكاد تكون يومية خاصة مع قوات الحجاب على طول خط المواجهة وضمن حدود الفرقة.

استطعنا قبل وبعد سقوط الطائرة إزعاج القوات الإسرائيلية المتمركزة غربي النهر، والتي تحسب لنا حساب... وأصبحت تأخذ الحذر الشديد من هذه المجابهة، وكعادة إسرائيل كل ما تحدث اصطدامات بيننا يخرج سلاحهم الجوي ويقوم بالقصف العشوائي، وبشكل مكثف ضد مراكزنا وضد القرى في غور الأردن.

لكن حسن استخدام الأرض وتخندق قواتنا على الأرض قللت كثيراً من الخسائر بقواتنا... وأصبحت أيضاً تخشى من مقاومتنا الأرضية للطائرات المعادية... وبنفس الوقت كان السبب لتعودنا على هذا النوع من الغارات الجوية... وكانت السبب لما يسمى «تطعيم المعركة» للقوات وهو صمود القوات الأرضية في خنادقها ومقاومتها بكافة الأسلحة أثناء الغارات الجوية والتي أثبتت فاعليتها مؤخراً في معركة الكرامة.

بعد انتهاء معركة الكرامة بنتائجها المشرفة وخاصة أنها أتت بعد معركة الهزيمة 1967 التي ألحقت أكبر عار بتاريخ الأمة العربية وتصدرت معركة الكرامة... وارتبطت بالتاريخ العربي والإسلامي... واعتبرت في مصاف معارك العرب الخالدة... وأصبحت رديفة لمعركة اليرموك الخالدة...

وكان من أهم سمات معركة الكرامة نزول القادة إلى ساحة القتال رفعاً لمعنويات جنودهم، وانصاع الجنود حباً لأوامر القادة... وإن كلفهم ذلك أن يُقتلوا شر قتلة... ومن أمثلة ذلك... كانت الأوامر عدم خروج الجندي من الخنادق المتقدمة مهما كانت الظروف... فنفذ هذا الأمر بحرفيته... حتى أن القوات المهاجمة المدرعة سارت فوق المدافعين في خنادقهم، ولم يتولوا أمام هذا الزحف واختاروا على التراجع العزة لدينهم والدفاع عن الوطن...

أثناء القصف المكثف للطائرات المعادية اعتقدت أن 50% من الضحايا في المعركة سيكون من جراء هذا القصف، غير أن توقعاتي كانت خاطئة، فلم يكن القصف الجوي العنيف على قواتنا والمدنيين بشكل عام إلا برداً وسلاماً علينا - بحمد الله - واستطعنا الصمود وإلحاق أكبر الخسائر بقوات العدو الذي صوَّر نفسه على أنه القوة التي لا تهزم.

وهكذا تحطمت آمال الجنرال ديان في أريحا من تناول كوباً من الشاي على جبال السلط مع الصحفيين الذين تناولوا معي أنا فنجاناً من القهوة العربية الأصيلة... وفي الحال تحول هذا الجنرال إلى هاوي جمع الآثار... أو بكلمات أدق تحول إلى سارق آثار بعد أن عزلوه من منصبه.

وكانت الخسائر من طرفنا لا تزيد عن 200 شهيد وجريح وحوالي 24 دبابة وناقلة للجنود... بينما دلت المعلومات الفردية التي نقلت، وكذلك مشاهدات أهلنا في الأراضي المحتلة أن خسائر العدو كانت 250 قتيلاً و450 جريحاً... وفي الآليات 200 دبابة وناقلة ومجنزرة، تمكن العدو من سحبها تحت سيادة جوية كاملة... وقد تمكنا من الاستيلاء على ناقلتين مجنزرتين مع كافة معداتها سلمت هدية إلى جلالة الملك مع تدمير حوالي عشرين دبابة في ساحة القتال.

وقالت وكالة اليونايتد برس يوم 1968/3/29م. بأن أحد المسؤولين الكبار في دولة كبرى ذكر لها: «إن إسرائيل فقدت في هجومها الأخير على الأردن آليات عسكرية تعادل ثلاثة أضعاف ما فقدته في حرب حزيران عام 1967م»[1].

صمود الجيش الأردني :

إن صمود الجيش الأردني أمام الهجوم الإسرائيلي يشكل نقطة تحول بالنسبة إلى الجيوش العربية، هذا ما قاله كبار القادة العسكريين في العالم تعليقاً على نتائج معركة الكرامة التي خاضها الجيش الأردني، ومن الصعب إدراك ما عناه ذلك القائد الشهير قبل معرفة حقيقة المعركة

(1) المصدر: مقابلات خاصة مع (مشهور حديثة).

بتفصيلاتها الدقيقة... ومن الجدير بالذكر أن هذه هي أول مرة تنشر فيها التفصيلات الكاملة للمعركة... وقد أخذت حقائقها من الوثائق الرسمية للجيش الأردني... ومن القادة والضباط وضباط الصف الذين خاضوا المعركة... وقد اشترك في عرض حقائقها مدراء الفروع المعنيين في رئاسة الأركان... قادة الأسلحة المختلفة، وتعتبر السجل التاريخي العسكري للمعركة...

ويقول مشهور حديثة عن نتائج المعركة أيضاً:

أولاً: كانت نقطة تحول في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، بحيث أثبتت هذه المعركة قدرة الجندي العربي - إن لم يعدم السبل والإمكانات في ساحة المعركة من جهة - ثم إنه ضمن له عدم التدخل في تحركاته من جهة أخرى... وبالطبع في ظل قيادة مؤمنة وصادقة بوعد الله.

ثانياً: فرضت هذه المعركة احترام وتعاطف شعبي كبير مع الحركة الفدائية، بحيث تطوعت أعداد هائلة من الشباب الفلسطيني والعربي في صفوف الحركة، وكسبت تعاطف الرأي العام العالمي وحازت على الدعم المادي الكبير من الدول العربية.

ثالثاً: سقوط قائد الحملة الجنرال ديان واعتزاله الجندية والسياسة وعودته للتنقيب عن الآثار ونهبها في فلسطين المحتلة.

رابعا: سقوط مقولة «أن الجيش الصهيوني الذي لا يقهر... وما كان يردده الأعداء بان القوات العربية لا تصمد أمام القوة الإسرائيلية».

خامساً: إفشال الهدف الإسرائيلي في إيجاد منطقة أمنية خاضعة للسيطرة الإسرائيلية على غرار ما يسمى بالشريط الحدودي في جنوب لبنان.

سادسا: ضربت هذه الملحمة الخالدة مثلاً رائعاً في التلاحم بين القيادة والقاعدة وبين الرئيس والمرؤوس.

سابعا: اكتساب الأردن مكانة مميزة بين الدول العربية، بصفته صاحب أطول خط مواجهة مع إسرائيل.

إن المعركة انتهت وفشل الجيش الإسرائيلي في تحقيق أي من الأهداف التي قام بهذه العملية العسكرية من أجلها وعلى جميع المحاور، وأثبت العسكري الأردني قدرته على تجاوز الأزمات السياسية ويحارب جنباً إلى جنب مع عناصر الفصائل الفلسطينية، وقدرتهم جميعاً على الثبات وإبقاء روح قتالية عالية وتصميم وإرادة على تحقيق النصر. وقد أثبتت الوثائق التي تركها القادة الإسرائيليون في ساحة القتال أن هذه العملية تهدف إلى احتلال المرتفعات الشرقية لوادي الأردن وأنه تمت دعوة الصحفيين لتناول طعام الغداء فيها أو الشاي.

الإعداد المعنوي: جسدت هذه المعركة أهمية الإعداد المعنوي للجيش، فمعنويات الجيش العربي كانت في أوجها، خصوصاً وأن جميع أفراده كان تواقين لمسح سمة الهزيمة في حرب 1967م التي لم تسنح لكثيرين منهم فرصة القتال فيها.

الاستخبارات العسكرية: أبرزت المعركة حسن التخطيط والتحضير والتنفيذ الجيد لدى الجيش العربي. مثلما أبرزت أهمية الاستخبارات؛ إذ لم ينجح الإسرائيليون في تحقيق عنصر المفاجأة، نظراً لقوة الاستخبارات العسكرية الأردنية والتي كانت تراقب الموقف عن كثب وتبعث بالتقارير لذوي الاختصاص أولاً بأول حيث توقعوا الاعتداء الإسرائيلي وحجمه مما أعطى فرصة للاستعداد الصحيح.

الغطاء الجوي: برزت أهمية الاستخدام الصحيح للأرض حيث أجاد جنود الجيش العربي الاستخدام الجيد لطبيعة المنطقة وحسب السلاح الذي يجب أن يستخدم وإمكانية التحصين والتستر الجيدين، بعكس الجيش الإسرائيلي الذي هاجم بشكل كثيف دون معرفة بطبيعة المنطقة معتمداً على غطائه الجوي. كما أن التخطيط السليم والتنسيق التام بين جميع وحدات الجيش وأسلحته المختلفة والالتحام المباشر عطلا تماماً ميزة الغطاء الجوي الإسرائيلي.

معركة غور الصافي :

لقد بات واضحاً أن القوات الإسرائيلية المشاركة في المعركة كانت تهدف إلى احتلال أكبر مساحة من أراضي الغور من شماله إلى جنوبه، ووضع نقاط ارتكازية على سلسلة المرتفعات المحاذية، لتتم المساومة عليها فيما بعد.

ورغم أن تركيز تحرك هذه القوات كان باتجاه الكرامة، إلا أن هناك قوات أخرى كانت تتحرك باتجاه غور الصافي وغور فيفا، وتشكل مع القوات المتحركة من منطقة جسر الأمير محمد كفكي كماشة، لتصفية أية قوات فدائية أو أردنية.

وتعتبر منطقة غور الصافي أخفض بقعة في غور الأردن، وهي مركز الزلزال لحفرة الانهدام الممتدة من تركيا شمالاً حتى اليمن جنوباً، وهذه المنطقة لها بُعد تاريخي وأثري، ففيها مغارة «النبي لوط» والتي ولد فيها أبناؤه مؤاب وعمون في منطقة «عين عباطه»، كما توجد منطقة طواحين السكر التي عرفت بمنطقة النقع، حيث هناك توجد آثار رومانية استغلها الأتراك وأقاموا فيها معسكراً لهم. لكن هذه الوقائع ليست هي التي دفعت الجيش الإسرائيلي للتحرك باتجاهها، بل لأنها نقطة تحرك باتجاه جبال الكرك ومأدبا، وأيضا يسهل التحرك منها باتجاه الكرامة. ولهذا عبر الإسرائيليون من نقطتين هما: من فيفا جنوبي غور الصافي بمسافة 12 كلم، ومن باب الزقاق إلى الغرب من غور الصافي. وقامت القوات الإسرائيلية بقصف مركز الشرطة الأردنية في مدخل منطقة النقع، وهي تسمى منطقة المشنقة، حيث كان الأتراك قد استعملوها لإعداماتهم.

أما محور غور الصافي وهو المحور الرابع الذي تقدمت عليه القوات الإسرائيلية جنوبي البحر الميت، حيث تتمركز قواعد للفدائيين في غور الصافي - حمراء فدان - غور المزرعة - غور فيفا - وادي ضانا.

تقدمت القوات الإسرائيلية من وادي عربة إلى منطقة حمراء فدان (وهي عين ماء) بقوة كتيبة من الدبابات، واتجهت إلى منطقة وادي ضانا، حيث كانت تتواجد قاعدة للفدائيين معهم أسلحتهم الفردية... قامت القوات

الإسرائيلية بمهاجمة القاعدة المتواجدة في أول وادي ضانا بمحاذاة وادي عربة، وقامت طائرات الهيلوكوبتر بإنزالات على التلال المشرفة على وادي ضانا لمحاصرة الفدائيين، وجرت معركة غير متكافئة استمرت ساعتين، انتشر الفدائيون على المرتفعات المطلة على وادي ضانا... جرح عدد من الفدائيين ودمرت قاعدتهم... واتجهت القوات الإسرائيلية جنوباً ودمرت مخفر الضحل، وهاجمت غرندل، واشتبكت مع قوات الحدود الأردنية.

تقدمت القوات الإسرائيلية من مستعمرة ناؤوت هاكيكار ومستعمرة عين عروس إلى منطقة فيفا جنوبي وادي الحسا في منطقة غور الصافي - وهي قرية صغيرة مكونة من عشرات المنازل المتباعدة، وتبعد عن الحدود الإسرائيلية حوالي 1 كلم - وكانت قوة الفدائيين 35 فدائياً... ودارت معركة ضارية غير متكافئة، استخدم فيها القنابل اليدوية والسلاح الأبيض من قبل الفدائيين... واستشهد 12 فدائياً... وألحقت بالقوات الإسرائيلية خسائر بشرية... ودمرت مدرسة القرية وبعض المباني.

واستعانت القوات الإسرائيلية بالطائرات العمودية، وحدثت إنزالات على التلال المحيطة في غور فيفا... وامتدت المعركة إلى غور المزرعة... واشتبكت القوات الأردنية مع القوات الإسرائيلية ومنعت تقدمها باتجاه المرتفعات الشرقية المؤدية إلى الكرك...

طائرات هليكوبتر إسرائيلية لإنزال المظليين

شهادة اللواء الركن المتقاعد عبد الله زريقات[1]

تسلسل عملية الهجوم الإسرائيلي على مراكز الضحل وفيفا والصافي

أ ـ قوات العدو:

تقدر قوات العدو التي قامت بالهجوم على مناطق الأغوار الجنوبية والضحل بسريتي مظليتين محمولتين جواً، وكتيبتي دبابات متوسطة، وكما هو معروف مشكلة من العناصر التالية:

1 - 52 دبابة

2 - 73 ناقلة نصف مجنزرة.

3 - 108 سيارات شحن.

ب ـ قوات الجيش الأردني:

1 - كتيبة خالد بن الوليد 15 (ناقص سرية مشاة).

2 - مفرزة الضحل وتقدر بفئة مشاة.

3 - سيارتين مسلحتين.

4 - عناصر متطوعين من المدنيين وعددهم (457).

القوات أعلاه موزعة على الشكل التالي:

أ ـ قيادة الكتيبة في معسكر أبو حمور.

ب - سرية مشاة في مفرزة أمامية.

ج - فئة مشاة + 158 متطوع في غور المزرعة.

د - فئة مشاة في المريصد.

ه- - قيادة سرية + أقسام السرية + 217 متطوعاً في غور الصافي.

(1) الملف الوثائقي لمعارك الكرامة الجزء الثاني ص909-917.

و - فئة مشاة + 76 متطوعاً في غور فيفا.

ز - فئة مكونة من أفراد وادي عربة وعناصر من الأمن العام + ستة متطوعين في مخفر الضحل.

ح - حظيرتي سيارات مسلحة في (فدان).

1 - القصد: إن القصد من توزيع هذه القوات في المراكز المذكورة أعلاه للغايات الأتية :

أ - مراقبة تحركات العدو المقابلة لمناطق الأغوار الجنوبية ووادي عربة.

ب - إعطاء إنذار مبكر في حال قيام العدو باختراق رئيس على غور الصافي بالكرك أو الضحل - الرشادية.

ج - أعمال الإعاقة في حال تقدم العدو على المحاور الرئيسة في هذه المنطقة.

د - الدفاع المحلي وحماية المواطنين في المنطقة ضد الغارات المعادية أو أية أعمال عدوانية أخرى.

2 - **الأرض:** معظم الأراضي الواقعة في هذه المنطقة قابلة لمسير معظم الآليات وخاصة الدروع والمجنزرات وتكثر فيها الكثبان الرملية والأشجار التي من شأنها أن تحجب المراقبة الأرضية عن أي تحركات عسكرية.

3 - سير العمليات: الساعة 0500/ 21/آذار 1968 قامت قوة من العدو تقدر بسريتي دبابات زائد عناصر من المشاة المحمولين بالتحرك من مستعمرة عين الحصب إلى الجهة الشرقية، وفي الساعة 21/530 آذار 1968 اجتازت خط الهدنة في وادي الجيب وتقدمت داخل الأراضي الأردنية بمسافة تقدر بسبعة كيلو مترات، حيث توقفت، وهنا **انقسمت هذه القوة إلى مجموعتين:**

المجموعة الأولى: وتقدر باثنتي عشرة آلية من مجنزرات وسيارات مسلحة، وهاجمت دوريتنا المتمركزة، ذلك تحت حماية طائرتين مقاتلتين نوع مستر، وطائرة كشف من نوع اوستر، أرغم دوريتنا على الانسحاب، وتمكن العدو من احتلال المرتفعات، وبقي فيها حتى الساعة 1850 حتى انسحب نهائياً إلى المنطقة المحتلة.

المجموعة الثانية: تضم معظم القوة، وأغلب عناصرها من الدبابات توجهت إلى الشمال باتجاه مخفر الضحل، وشوهدت فجأة من قبل مراقب المخفر وعن مسافة حوالي ثلاثة كيلو متر، وقد استغل العدو طبيعة الأرض في ستر تحرك قواته.

ب - الساعة 0600/ 21 آذار 1968م شوهدت دروع العدو المتقدمة باتجاه مخفر الضحل، وقد كانت مفاجئة لأفراد المخفر الذين يتوقعون عادة هجوم العدو من الجهة الغربية؛ ولتفوق القوة المهاجمة، ولعدم توفر عناصر مقاومة الدروع، أمر المسؤول بإتلاف جميع الوثائق والمهمات وإخلاء المخفر نهائياً إلى الموقع الاحتياطي في النقطة شرق المخفر.

ج - الساعة 0610/ 21 آذار 1968م كانت دبابات العدو - وعلى بعد 600 ياردة جنوب المخفر - وبدأت تقصف المركز بمدافعها لمدة عشرة دقائق متواصلة، وبعد تأكد العدو من خلو المكان قاموا باقتحامه بثلاث دبابات ومجنزرتين، بينما قامت بقية القوة بتطويق المخفر من جميع الجهات.

د - الساعة 0625/ 21 آذار 1968م تمكنت قوات العدو من احتلال المركز وهي مكونة من ثلاث دبابات ومجنزرتين، وقامت بنسف المخفر الساعة 0940/ 21آذار 1968م، وبقيت في المخفر لغاية الساعة 1800/ 21 آذار 1968م الانسحاب النهائي واستمرت بقية القوة بالتقدم شمالاً إلى وادي خنزيرة وفي طريقها دمرت منشأة تقع عند قصر اطلاح.

ه- - الساعة 0630/ 21 آذار 1968م تحركت قوتان للعدو من مستعمرة نبوت هاكيكار، القوة الأولى وتقدر بسريتين مظليين محمولتين بطائرات هيلوكبتر، والقوة الثانية تقدر بسرية دبابات زائد عناصر من

المشاة محمولين في سيارات نصف مجنزرة. الساعة 6:40/ 21 آذار 1968م هبطت تسع طائرات هيلوكبتر في وادي خنزيرة، وأربع طائرات في عين فيفا وقد كانت واجباتهم كما يلي:

1 - الاشتباك مع الفدائيين المتمركزين في تلك المناطق والقضاء عليهم.

2 - حماية منطقة التجمع للقوات الأرضية القادمة من الضحل ونبوت هاكيكار في وادي خنزيرة هذا بالنسبة للمجموعة الأولى، أما المجموعة الثانية فقد كان واجبها قطع طرق الفرار على الفدائيين إلى الشرق من فيفا باتجاه الجبال.

3 - مسك رأس جسر للقوات المتقدمة على محور خنزيرة - فيفا - الصافي.

الساعة 0740/ 21 آذار 1968م ظهرت طائرات العدو وشوهدت من قبل مراقبينا في فيفا، كما شوهدت تحشدات الدروع في وادي خنزيرة وعلى أثر ذلك تحرك كل من قائد السرية وضابط الأغوار الجنوبية ومعهم قسم الرشاشات ال- 500، وقسم مدافع ال- 106 ملم، والأسلحة المساندة لتلك السرية من غور الصافي إلى قرية فيفا وذلك للمقاومة ولتنظيم الدفاع المحلي هناك.

الشهيد محمود خليل أسعد

الساعة 0845/ 21 آذار 1968م وصلت النجدة إلى فيفا وكانت وجها لوجه أمام دروع العدو التي ظهرت على مسافة قريبة جداً من بين الأشجار، فطوقت القرية وبدأت بالرماية على موقع الفئة وبعد أن قاتل الجنود قتالاً انتحارياً في معركة غير متكافئة

ومنهم جندي الإشارة رقم (65718) **الشهيد «محمود خليل أسعد»**[1] الذي بقي يمرر المعلومات لآخر لحظة وكانت آخر ملحوظة مررها بأن العدو **(دخل عليَّ الآن سامحوني)** وفعلاً بعد انتهاء المعركة وجد تحت الأنقاذ جالساً أمام الجهاز وبظهره عدة صليات نارية... ثم انسحب مَن بقي من الفئة تحت ضغط العدو إلى الجهة الشرقية من فيفا واستشهد سبعة أفراد، كما تمكن العدو من أسر قائد السرية وضابط الأغوار.

وفي الساعة 0930/ 21 آذار 1968م تمكنت قوات العدو من احتلال قرية فيفا وقاموا بنسف قاعدة ومستودعات الفدائيين التي تبعد شرق فيفا بمسافة 3 كلم تقريباً، وبدأ قسم منها وهو مجنزرتان وثلاث آليات التفتيش عن الفدائيين في القرية، بينما تقدمت بقية القوة على أربعة أرتال باتجاه الصافي، وتعرضت قوات العدو إلى رماية من قسم هاون 81 ملم - وهو السلاح الوحيد في قيادة السرية في معسكر تلة الصافي - حيث توقف العدو عن التقدم لمدة عشر دقائق وهنا انقسمت القوات إلى مجموعتين:

1- **المجموعة الأولى:** وهي مكونة من حوالي تسع دبابات وثلاث مجنزرات تقدمت للناحية الشرقية بمحاذاة الجبال وباتجاه موقع السرية، وعلى بعد 600 ياردة أخذت الدبابات مواقع الرمي وقامت بالهجوم، مما اضطر قواتنا الموجودة (وهي أقل من فئة) بالانسحاب تحت ضغط العدو إلى المرتفعات الشرقية، بعد أن أتلفت جميع الوثائق قام العدو باقتحام الموقع، وفي الساعة 1020/ 21 آذار 1968م تمكنت من احتلاله، وفي الساعة 1100/ 21 آذار 1968م قام العدو بنسف المخفر والمعسكر.

2 - **المجموعة الثانية:** تتألف من بقية القوة تقدمت باتجاه بلدة الصافي وقامت بتطويقها، ثم دخلت البلدة دبابة تحمل مكبرات صوت وتنادي سكان البلدة بالاستسلام - الذين هرب قسم منهم إلى الجهة الشرقية - وكانت تقوم طائرات الهيلوكوبتر التي كانت تحلق في سماء المنطقة باستمرار بإطلاق النار على المدنيين الهاربين دون تمييز، وأحياناً تقوم بإرجاعهم إلى البلدة.

---

(1) تتوهج الروح لحظة الاستشهاد، ويرتفع العنفوان، وتتكشف الصلابة والبطولة وعمق الإيمان، وهو كله تجسد في الشهيد البطل محمود خليل أسعد الذي استسمح القيادة لتعطل الإرسال لحظة الاستشهاد، فأية شفافية وعظمة لروح البطل.

عند دخول العدو إلى بلدة غور الصافي كان بحوزتهم مخططات بجميع مرافق البلدة، بالإضافة إلى أدلاء حيث كانوا وكأنهم على علم بكل ما هو بداخل البلدة من رجال وسلاح ومهمات وفدائيين.

وحتى الذين يعطفون على الفدائيين، خلال احتلال العدو للصافي عمل على جمع الرجال لتشخيص الفدائيين منهم، وقد اعتقل حوالي 12 مدنياً من السكان للاشتباه بأنهم من الفدائيين بينما هم من المزارعين الأبرياء، كما قام بنسف عدة منشآت منها مقاطعة الصافي والمجلس القروي، وقاموا بنهب بعض المتاجر وبقوا في البلدة إلى أن انسحبوا نهائياً في الساعة 1700 /21 آذار 1968م.

ز - الساعة 1110/ 21 آذار 1968م وبعد احتلال بلدة الصافي تقدمت قوة مدرعة للعدو وقوامها تسع دبابات إلى الشمال باتجاه المريصد، وفي الساعة 1130 وصلت إلى مسافة 800 ياردة إلى الجنوب من مخفر المريصد، وفي أثناء ذلك كانت قيادة الكتيبة وسرية الاحتياط تحتل مواقعها الدفاعية في الخرزة منذ الصباح، وعلى إثر اقتراب دروع العدو من مخفر المريصد. قام قائد الكتيبة بتعزيز دفاع مخفر المريصد بمدفع 106 مل، حيث وصل بالوقت المناسب، وفي الساعة 1200/ 21 آذار 1968م تمكنت قواتنا من تدمير دبابتين للعدو، وفي الساعة 1450/ 21 آذار 1968م بدأت قوات العدو بالتراجع باتجاه الصافي بعد أن قطرت الدبابات المعطوبة بالدبابات الصالحة.

ح - الساعة 1525/ 21 آذار 1968م تقدم قائد الكتيبة ومعه فئة التمهيد من موقع قيادته في الخرزة إلى موقع المريصد، حيث وصلها الساعة 1650/ 21 آذار 1968م ثم استأنف تقدمه باتجاه الصافي، وفي الساعة 2145/ 21 آذار 1968م وصل إلى البلدة ودخلها حيث كانت قوات العدو قد انسحبت نهائياً.

ط - اعتبار من الساعة 1500/ 21 آذار 1968م بدأت قوات العدو في الانسحاب حتى الساعة 1800/ 21 آذار 1968م حتى انتهى انسحابها من جميع المراكز.

أ ـ خسائر العدو:

- تدمير ثلاث دبابات.
- حوالي 15 إصابة بين قتيل وجريح.
- يُعتقد بوجود اصابات إخرى في قوات العدو الآلية.

ب ـ خسائرنا:

وقد استشهد في مركز الشرطة، ومناطق القصف الأخرى كل من:

1 - جميل خضر الشعيبات.

2 - عفاش عبد العزيز العبيشات.

3 - موسى حمدان العشوش.

4 - موسى حماد العشوش.

5 - محمد الكردي.

ج ـ من المدنيين:

- 7 قتلى
- 12 أسيراً
- تدمير: المجلس القروي
- مقاطعة الأغوار - ثلاث بيوت مدنيين.

وقد استشهد أيضاً في معركة غور الصافي سبعة جنود جميعهم من كتيبة خالد بن الوليد.

العسكريون:

- شهيد: 7
- أسير: 5 + عريف من الأمن العام

- جريح: 1
- مفقود: 3

هـ - الآليات:

- سيارتي جيب مع مدفعين 106 ملم.
- سيارتي روفر شاصي مع رشاشين 500
- سيارتي 1 طن 4 × 4
- سيارتي روفر
- سيارة واحد طن 4 × 2 مسلحة
- تدمير معسكر السرية في الصافي
- تدمير المراكز الدفاعية في فيفا والصافي.

شهادة ضباط وجنود من الجيش الأردني[1]

1 - شهادة العميد الركن المتقاعد شهاب أبو وندي:

كنت برتبة ملازم/2 قائداً للفصيل الرابع من السرية الثانية في كتيبة الدبابات الثالثة وكان موقع الدفاعي في عين الفنوش/جنوب العارضة، وقمنا باحتلال المواقع الدفاعية الجديدة بعد الثامنة مساء ليلة 3/21 شرق مثلث المصري ليتفاجأ العدو بمواقعنا، وقام قائد السرية محمد كساب المجالي برفع معنوياتنا وزاد هذا حماسنا وإصرارنا على القتال مهما كلف الثمن.

لا أعتقد أن أحداً نام تلك الليلة، وكنا نتلحف بمشمعات الدبابات، وفي الرابعة صباحاً استيقظنا وصلينا الفجر جماعة، داعين الله بالنصر أو الشهادة وقمت بتعبئة الأفراد وأوضحت لهم المهمة وبدأت تقدير مسافة ميدان المعركة، وتعبئة الدبابات وعندما بدأت الرماية في الخامسة والنصف صباحاً مررت ذلك لقائد السرية، أمرت الدبابات وأبلغتهم أن

(1) المصدر: السوسنة - اعداد ياسين العودات - عمان 22 - 3 - 2008.

الرمي بالأمر، ولما اقتربت الدبابات الإسرائيلية وعلى مسافة 1200 متر، قسمت الأهداف على الدبابات التي تحت إمرتي، وبدأنا بمشاغلتها، وخلال ساعة واحدة دمرنا عدداً من الآليات لم أتمكن من إحصائها، وتراجعت آليات العدو غرباً باتجاه مخفر داميا القديم، لإعادة التنظيم، ثم عاود الهجوم وأبلغت آمر الدبابات أن الرمي بالأمر أيضاً، ولما اقتربت وعلى مسافة 800 متر بدأنا الرماية من جديد، توقفت آليات العدو وبدأت بالتراجع غرباً تجاه الشعاب شرق مخفر داميا تاركين الآليات المدمرة ولم ينقذ منها شيء على أمل معاودة الهجوم. طلبت من قائد السرية رماية مدفعية وابلغني أن ضابط الرصد الملازم أول محمد هاشم عريقات قد فقد الاتصالات، وطلب مني توجيه الرماية على الأهداف المعادية، وأخذت مثلث المصري نقطة مرجع وطلبت رماية (طلقة تصحيح) وبدأت أحسب المسافة على أعمدة الهاتف الموجودة، وكانت تقريباً 50 متراً بين كل عمودين، وبعد طلقتي تصحيح تم إصابة الأهداف.

بدأ العدو في الواحدة ظهراً يتقدم بست دبابات اثنتان منها من نوع سوبر شيرمان وأربع من نوع سينتوريون، وعملت قاعدة إسناد جنوب غرب مثلث المصري على مسافة 200 متر، تمكنا من رماية هذه القاعدة وتدميرها، إضافة لآليات الرتل الذي توجه إلى مثلث المصري، وكانت حصيلة الآليات المدمرة ثلاثين آلية من دبابات ونصف مجنزرات، ومدرعات من نوع AMX تحمل مدفع 90 مليمتراً، ومن ضمن هذه الآليات ناقلة عمليات قيادة اللواء الإسرائيلي، وقد وجدنا بداخلها (الناقلة) خرائط إسرائيلية مؤشَر عليها مرتفعات السلط الهدف النهائي، طلبت من قائد السرية تزويدي بالذخيرة ولم تتمكن من الوصول لشدة القصف الجوي الإسرائيلي، وتقدمت إحدى الآليات التي تحمل الذخيرة وحاولت الوصول إلا أنها قُصفت واسُتشهد قائدها العريف فيصل إبراهيم من مدينة معان، بعد أن رمى طلقتين دمرت إحداهما دبابة إسرائيلية غرب طواحين الماء، إضافة لاستشهاد الجندي أول عبدالرحمن محمد كساب الفروخ، وكانت حصيلة الآليات الإسرائيلية المدمرة 87 آلية بين التدمير والعطب، بما فيها كاسحة الغام تحمل مدفعا عيار 105 مليمتراً.

شهادة العميد الركن المتقاعد علي عبد القادر اللواما (ضابط موقع في كتيبة المدفعية الثالثة/3 الملكية):

كانت كل الجبهات العربية صامتة ما عدا الجبهة الأردنية بعد حرب 1967م والتي استمرت عليها المناوشات وتبادل القصف بين الجيش العربي والعدو الإسرائيلي، وأُعيد تنظيم قواتنا المسلحة في مواقع دفاعية محصنة في المرتفعات الشرقية لنهر الأردن استعداداً لأي عدوان إسرائيلي.

وتوالت التهديدات العسكرية الإسرائيلية للأردن وخاصة في الشهور الأولى من عام 1968 وتواترت الأنباء عن استعداداته وتصميمه على شن عدوان على الجبهة الأردنية، ورصدت قواتنا المسلحة كل حشوداته وتحركاته التي كانت تجري بشكل علني لاستخفافه وغطرسته وغروره حتى استطاعت قواتنا تحديد تاريخ ومكان العدوان.

كنت أعمل ضابط موقع وبرتبة ملازم أول، وكانت المعنويات عالية للاستعداد والتضحية من قبل الجنود والضباط دفاعاً عن وطنهم وأهلهم وتواصوا بالصبر والصمود حتى أن كثيراً منهم قد أقسموا على القرآن الكريم إلا ينهزموا أمام العدو؛ فإما دحر العدو أو الشهادة. وتم تحضير مواقع المدافع وتهيئتها وتزويدها بالذخيرة المطلوبة وحددت الأهداف التي سيتم قصفها حسب الخطة الموضوعة وجرى إخفاء المدافع بشكل كامل حيث السيطرة الجوية الكاملة للعدو.

في الخامسة والنصف صباح يوم 1968/3/21 وبعد عبور قوات العدو قامت مدفعيتنا بقصف مدفعي شديد بعد أن أصبح العدو في أرض مكشوفة ونسيطر عليها من مواقعنا الدفاعية في المرتفعات مما جعل قوات العدو هدفاً سهلاً لمدفعيتنا تقصفه إينما توجه فحصل الارتباك في صفوفه وأخذ يتقدم تارة وينسحب تارة أخرى ليعيد تنظيم قواته. وإن كتيبتنا لوحدها أطلقت ما يقارب ألفي طلقة شديدة الانفجار وكانت المدافع تسكت حينما تقوم طائرات العدو بالتحليق فوق الأراضي الأردنية وعندما تغادر الطائرات الإسرائيلية تعود مدافعنا تقصف من جديد وأصبحت التقارير ترد تباعاً عن زعزعة معنويات جنود العدو وكذلك تراجعه وخسائره التي

كان يمررها على شبكات اتصالهم وهذا كان يرفع معنويات قواتنا المسلحة.

وفي هذا الصدد أذكر أن أحد أفراد سريتنا ذهب في إجازة اضطرارية صباح ذلك اليوم وقبل أن يغادر المنطقة سمع أصوات القصف فعاد إلى وحدته ليشارك مع زملائه في القتال لكنه أصيب من طائرات العدو واستشهد قرب الموقع وهو العريف عبدالحميد كامل ياسين رحمه الله.

في الساعة الحادية عشرة ظهراً وردت المعلومات بأن العدو أصدر الأوامر لقواته بالانسحاب مما أثار الفرح ونشوة الانتصار في نفوسنا جميعاً ثم أعلن العدو طلب وقف إطلاق النار لأول مرة في تاريخه لكن المغفور له الملك الحسين رفض ذلك ما دام هنالك جنديٌ واحد على أراضينا فواصل العدو انسحابه تحت قصف مدافعنا ورشاشاتنا تاركاً العديد من آلياته في أرض المعركة والتي شاهدها الشعب الأردني وعرضتها وسائل الإعلام أيضاً.

وفي الجانب الإسرائيلي فقد قامت أمهات الجنود القتلى بالمظاهرات وحملن الأعلام السوداء في شوارع تل أبيب احتجاجاً على نتيجة المعركة وكان وزير الدفاع السوفياتي قد صرح بعد انتهاء المعركة أن معركة الكرامة قد غيرت مجرى التاريخ العسكري في المنطقة كاملة.

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أتذكر الضباط الذين كانوا في الكتيبة وهم المقدم سامي حسن طوس قائد الكتيبة، والمرحوم يوسف البخيت، والملازم أول جمال محمد عبدالرحيم، والملازم أول شوكت جودت، والملازم أول زيدان خلف، والنقيب أحمد عواد، وكان معي في موقع المدافع قادة الأقسام المرحوم المرشح سمير محمد الكنعان، والمرحوم العميد المتقاعد عودة خلف المطارنة، كما نترحم على شهداء كتيبة المدفعية الثالثة في هذه المعركة وهم: عريف مدفعي عبد الحميد كامل ياسين، وجندي ثاني محمد فريد موسى الطوالبة، وجندي ثاني حامد محمد أحمد الصاصمة، وجندي ثاني محمد علي عبد الله القضاة، وجندي ثاني علي موسى علي فريحات، وجندي ثاني محمد محي الدين هزاع، وعريف خالد فوزي عبدالفتاح.

شهادة اللواء الركن المتقاعد جميل الشمايلة :

كنت قائداً لسرية مشاة وعندما بدأت قوات الجيش الإسرائيلي بعبور النهر باتجاه مواقعنا الدفاعية وجاءت المعلومات من القيادات العليا للتصدي لهجوم العدو وتدمير قواته وتشكيل فرق قنص دروع من الأسلحة المضادة للدروع من مدافع 106 ملم والروكتلانشر وفي المنطقة التي كنت احتل موقعاً دفاعياً فيها شكلت فريق قنص دروع مؤلف من مدفعين 106 ملم ومن حاملي الروكتلانشر ومن حاملة رشاش 500 وقمت بقيادة هذه المجموعة وتركت الموقع الدفاعي مع هذه المجموعة لملاقاة دروع العدو التي وصلت إلى مثلث سويمة الرامه عبر المنطقة المزروعة بالأشجار لتأمين التخفية والتستر أثناء التسلل إلى أقرب نقطة لدبابات العدو، وقد تم تبادل إطلاق النار من قبلنا باتجاه دبابات العدو كما أطلقوا علينا النيران على مسافة لا تتجاوز 150 – 200 متر تقريباً وفي المكان نفسه تسمى وجدت النقيب فاضل علي فهيد مصاباً والدماء تنزف من بطنه وساقه مبتورة إلا من جزء بسيط كان متصلاً في ساقه، في هذه اللحظات قامت دبابات العدو بتكثيف الرماية على موقعنا ونحن نرد عليهم من مدافع ال-106 ونغير مواقعنا بعد كل طلقة نقوم برمايتها على دبابات العدو لأن ذلك جزء من مهارة المعركة في رماية مدافع ال-106 وعندما شعر العدو بوقوع خسائر في دباباته جراء رمايتنا طلب سلاحه الجوي وقامت طائراته المقاتلة بالرماية من صواريخ جو - أرض على موقعنا إلا أن رشاش 500 الذي كان معنا تصدى لها فكانت رماية العدو غير دقيقة على مجموعتنا وكانت الصواريخ التي يطلقها من طائراته المقاتلة تسقط قريبة منا دون أن توقع سوى إصابة واحدة من أحد مدافع 106 العائد إلى المجموعة المجاورة من كتيبة 37 أو 39 كما أعتقد.

حوالي الساعة التاسعة صباحاً خفت شدة القصف الأرضي، وكثف طائرات العدو قصفها لكي تتمكن قواته من الانسحاب تحت ستر القصف الجوي لمجموعاتنا والمجموعات المجاورة وبقيت آليات العدو التي لم يتمكن من سحبها في أرض المعركة أمام منطقة الرامة على غرب الطريق المؤدي من الكفرين إلى مثلث سويمة ومنها دبابة كتب على جانبها

«v251» وهي رمز لدبابات اللواء المدرع الإسرائيلي الذي يعتبر لديهم من الوحدات المتميزة ويحمل سمعة كبيرة عندهم وهي الدبابة التي تم نقلها وعرضت في المدرج الروماني مع آليات العدو الأخرى وأسلحته التي تركها في أرض المعركة.

العميد الركن المتقاعد أمين بنيه المحيسن :

(ملازم ضابط استخبارات كتيبة الدبابات الثالثة الملكية التي كانت تسمى الأولى في ذلك الوقت) يذكر لنا: «كانت كتيبتنا موزعة على واجهة الفرقة كاملة وقيادة الكتيبة في تلة تعرف الآن بتلة الحاووز على بعد بضع مئات الأمتار من قرية الشونة ومشرفة على المحور الأوسط والأكبر في المعركة، ليلة 1968/3/21 وانطلاقاً من واجبي كضابط استخبارات كتيبة رافقت قائد الكتيبة المقدم الركن علاوي جراد نجادات في جولة تفقدية على جميع الواجهة وكان يشدد على **ضرورة الثبات والقتال حتى الموت وكان يدرج على لسانه «لا التفات إلى الخلف»** وكان واضح جدا أن في الغد قتالاً لأن حرب 1967 أعطت اليهود حالة من الغرور أفقدتهم التوازن وأخرجتهم على جميع المعايير العسكرية فيما يخص عملية الحشد لأي عمل وكانوا مستهترين وحركاتهم مكشوفة وكنا نستطيع أن نعد آلياتهم ليلاً بالواحدة بالاستعانة بالضوء فتيقنا أنهم استكملوا الحشد وأن الخطوة التالية هي العمل واللقاء قريب».

و يذكر **العميد المتقاعد أمين بنيه المحيسن** خلال جولته مع قائد الكتيبة مرورهم على فصيل دبابات في منطقة المدسي كان يقوده المرشح **الشهيد سالم الخصاونه** عندما قال له قائد الكتيبة: «بكره يا سالم علينا هجوم دير بالك». فرد عليه «**والله يا سيدي لن يمروا إلا على أجسادنا».**

صبيحة يوم المعركة دخل العدو من جسر الملك حسين واتجه شرقاً وجزء من قواته اتجهت للشمال باتجاه قرية الكرامة فأصبح سالم على النهر من الغرب والعدو من خلفه فاتجه سالم للخلف وقاتل قتالاً مريراً شهد به العدو، حيث قال قائد المجموعة التي اتجهت للكرامة: «لقد أوذينا كثيراً

من القوة التي اتجهت لنا من الغرب» وكان يقصد فصيل الدبابات الذي كان يقوده **سالم الخصاونه** الذي استشهد بعد قتال مرير مع زملاء له، أتذكر منهم رقيب الفصيل **حميد صدف** والعريف **محمد عبد الله الرقاد و العريف إسماعيل خضر الذي أقسم يمينا بالله أن يستشهد في أول معركة مع اليهود فكان له ذلك.**

ويقول العميد **المتقاعد أمين بنيه المحيسن** المعركة بالنسبة لنا كانت مثل ميدان التدريب والكل نفذ ما كان مطلوباً منه دون تشنج أو ارتباك أو تسرع والواجهة رغم اتساعها كانت متصلة وكان التنسيق موجود بين القادة، لواء حطين كان يقوده المرحوم العميد بهجت المحيسن في الجنوب ولواء الأميرة عالية كان يقوده العقيد **كاسب صفوق الجازي** في المنتصف وفي الشمال لواء القادسية بقيادة المرحوم **الزعيم قاسم المعايطة** والكل كان على أعلى درجات الجاهزية والحماسة.

ويقول المحيسن أنه لم يكن يجول في تفكير أي منا حسابات غير النصر أو الشهادة وكان كل التفكير في العزم والتصميم على الثبات والاستشهاد ويقسم انه لم يرى عسكرياً واحداً التفت للخلف وكل واحد شارك بالكرامة بطل وقدم للأردن والأمة العربية الشيء الكثير لأنه إذا أخذنا بعين الاعتبار أن طلقة المدفع حتى تصيب هدفها يشترك فيها على الأقل عشرون شخصاً فعندما تصيب الهدف ليس الذي ضغط على الزند هو الوحيد الذي أصاب الهدف.

ويروي لنا (**العميد المتقاعد محمود أبو وندي**) وكنا على أهبة الاستعداد وكان كل جندي يتقدم وهو يغني ويزغرد ولا تزال في الذاكرة الكلمات التي كانوا يرددونها «كيف دايان وجيشه ينزلوا وطنا، بالمدافع نشيله ونجلي الضيم عنا» ويذكر لنا أبو وندي قصة **الشهيد حسن عبد ربه** الذي جاء من إجازته ولم يكن مطلوباً منه ذلك ليلتحق بزملائه ويكون له شرف المشاركة والاستشهاد.

ويشيد أبو وندي بهمة ومعنويات وحسن تدريب الجنود الأردنيين ويروي هنا قصة سائق الدبابة محمد سليمان الذي كان يتكلم معه على

الجهاز بقصد توجيهه لأنه كانت أمامه دبابة للعدو تريد أن تصطاد دبابة قائد الفصيل الملازم محمد هويمل الزبن والذي لم أكن أعلم أنه استشهد، وكلما خاطبته عبر الجهاز يجيب: «بعد قليل سيتحدث معك» ولم يقل لي أن قائد الفصيل استشهد لأن هذا يؤثر على معنويات الجنود.

شهادة العميد الركن المتقاعد حاكم طافور الخرشا

كنت آنذاك برتبة ملازم أول أعمل مساعداً لقائد سرية الدبابات الثانية من كتيبة الدبابات الثالثة الملكية حيث كان واجبنا الدفاع عن محور جسر الأمير محمد (دامية) المثلث المصري مثلث العارضة الطريق المؤدي إلى مرتفعات السلط والتي عرف فيما بعد أنها كانت الهدف الرئيس للقوات الإسرائيلية المهاجمة، وأذكر انه عصر يوم 1968/3/20م وهو ما سبق يوم الهجوم زارنا قائد لواء القادسية المسؤول عن هذا المحور الذي نحن ملحقين به فقال لي في موقع قيادة السرية (مثلث العارضة) إن العدو سيقوم بالهجوم صباح الغد وأكد ذلك حيث أن جميع المعطيات تدل على هذا فعليكم تغيير مواقع فصائلكم إلى مواقع جديدة (بديلة) بعد الضوء الأخير ليتفاجأ العدو بهذه المواقع، وعندما عاد قائد السرية الذي كان بزيارة الحجاب أبلغته بأوامر قائد اللواء وفعلاً قمنا بتنفيذ هذا الأمر الذي تفاجأ به العدو صباح يوم المعركة. حيث كان توزيع فصائلنا على الشكل الاتي:

- فصيلة على مرتفع معسكر مثلث المصري.

- فصيلة سحبت من مخاضة السعيدية وضعت بعد الضوء الأخير في منطقة عين فنوش وبهذا يكون مثلث المصري بين فكي كماشة من قبل هذين الفصيلين.

- فصيلة في موقع قيادة السرية مثلث العارضة .

- أما الفصيلة الرابعة فكانت مع قوات الحجاب الأمامية انسحبت بعد الهجوم إلى موقع قيادة السرية.

قمنا بإبلاغ قائدي الفصيلين (مثلث المصري - عين فنوش) بعدم التعامل مع القوات المهاجمة إلا ضمن المدى وهو مسافة 1200 متر وفعلاً كانت المفاجأة للعدو بتدمير الموجة الأولى؛ حيث انسحب (انهزم) إلى الخلف بطريقة غير منظمة إلى مسافة تصل إلى 3 كيلومترات تاركاً بعض آلياته وقتلاه على مثلث المصري؛ حيث قامت مدفعية الميدان بالتعامل مع القوات المنهزمة بشكل ممتاز إلا أنه قام بتعزيز قواته بسرعة وأعاد الهجوم على نفس المحور محاولاً بذلك إخلاء قتلاه وجرحاه، وما دُمر له من آليات وفعلاً عندما أصبحت قواته ضمن المدى قامت فصائل الدبابات الآنفة الذكر بالتعامل معه وقد شوهد بعض أفراده يخرجون من الآليات المدمرة والالتجاء إلى بعض الغرف الإسمنتية الموجودة على مثلث المصري، قمنا بإرسال فصيل دبابات إلى منطقة عين فنوش لتعزيز الفصيلين ولتخفيف الضغط عليهم، في تلك الأثناء طلب مني قائد السرية الذهاب إلى موقع قيادة السرية الإدارية في منطقة معدي لإحضار ذخائر الرشاشات الموجودة هناك محملة بالنقليات وفعلاً قمنا بفتح سيارات الذخيرة ووضع صناديق الذخيرة وقد رصد سلاح الجو الإسرائيلي تحركنا هذا وقام بقصف المنطقة مما أدى إلى استشهاد أحد الأفراد وجرح آخرين وعندما تم تجهيز الذخيرة في السيارة قام أحد أفراد المفرزة الفنية بقيادة السيارة التي تحمل الذخيرة من معدي إلى مثلث العارضة وهي مسافة 4 كم إلا أن الطريق كان مسيطراً عليه من قبل الدبابات والمدفعية والطيران الإسرائيلي. وقد طلب مني سائق السيارة بأن أخرج من فتحة المراقبة لأبلغه بوجود الخطر من الدبابات والمدفعية والطيران المعادي وفي منتصف الطريق قامت إحدى الطائرات المعادية بقصفنا إلا أن الله سلم ونجوت بأعجوبة وفي هذه الأثناء قام العدو بدفع مجموعة جديدة من دباباته إلى الشمال من منطقة عين فنوش للتعامل مع قيادة السرية والفصيل المتواجد هناك مباشرة وكانت الغلبة لنا - والحمد لله - وقد قمت بنفسي بالرماية على رشاش 500 والموجود على دبابة قائد السرية على الطائرات المعادية وكذلك بالرماية من على مدفع نفس الدبابة على الدبابات الإسرائيلية المعادية والتي كانت تقابلنا وهي من نوع سنتوريون مارك 5، ومارك7، أما دباباتنا فكانت مختلفة فمنها باتون م48، و47، و لم يكن في

القوات المسلحة آنذاك إلا كتيبتا دبابات من النوع نفسه إحداهما كتيبة الدبابات الثالثة والتي كانت متمركزة على المحاور الثلاثة وكتيبة الدبابات الخامسة احتياط في منطقة عمان.

فوجئنا برتل من الدبابات قادماً من المنطقة الجنوبية على طريق الكرامة مثلث المصري بقصد تخفيف الضغط عن قواته على محور جسر داميا لتتمكن من الانسحاب بأقل الخسائر وكانت قوات العدو على هذا المحور تقدر بمجموعتي قتال. كانت خسائر العدو كبيرة في الأفراد والآليات. أما خسائر قواتنا فهي استشهاد 3 أفراد وتدمير دبابة من فصيل الحجاب.

أما بالنسبة لمحور جسر الملك حسين - غور نمرين - الشونة الجنوبية فكان المسؤول عن هذا المحور سرية الدبابات الثالثة من الكتيبة نفسها وكان لواء المشاة المسؤول عن المحور هو لواء الأميرة، عالية حيث قامت القوات المعادية بالاقتحام السريع عبر جسر الملك حسين الذي سيطرت عليه متخطية بذلك قوات الحجاب وعند وصول القوات المعادية إلى منطقة الشونة الجنوبية تم التعامل معها من قبل فصائل الدبابات الموجودة في منطقة وادي شعيب من الأسفل بالقرب من قصر العدوان وأوقعت بالقوات المعادية خسائر جسيمة حيث استبسل قسم من أفراد هذه السرية بالدفاع ومقاومة الدبابات الإسرائيلية وتدمير قسم كبير منها، وكالعادة قام العدو بدفع قوات جديدة لتعزيز قواته الأمامية والاندفاع عبر محور الشونة - وادي شعيب - السلط إلا أن إصرار فصيلي الدبابات على المقاومة الشرسة حال دون تحقيق العدو لهدفه. وأذكر هنا ما قام به **المرشح عارف الشخشير** قائد فصيل الدبابات المتمركزة بجانب قصر**(ابن عدوان)**حيث قام بالرماية بنفسه على مدفع دباباته ودمر قسماً من دبابات العدو إلا أنه جُرح وتم إعطاب دبابته فقام بالقفز إلى دبابة أخرى وهو جريح وقام بالرماية إلى أن دمرت الدبابة الجديدة واستشهد فيها وذلك رغم حداثته بالخدمة **العسكرية التي** لم تتجاوز الثلاثة أشهر في هذه الوحدة وهنا **قام لواء الأميرة عالية** بتشكيل مجموعات قنص دروع من أفراده تسللوا عبر الوادي وتعاملوا مع الدبابات الإسرائيلية الموجودة في الشونة وهذا

مما حدا بالعدو للانسحاب إلى الخلف باتجاه غور نمرين بعد أن دفع برتل من الدبابات عبر الطريق الرئيس الشونة - الكفرين - قهوة حنا وهو طريق ناعور - البحر الميت، وكذلك قام بدفع رتل آخر باتجاه بلدة الكرامة فتصدت لها إحدى فصائل الدبابات من نفس سرية محور وادي شعيب - فأبلت هذا الفصيلة بلاءً حسناً بتدمير أكثر من رتل من دبابات العدو إلى أن استشهد قائد الفصيل المرشح سالم الخصاونة وآمر الدبابات وهم: الرقيب حميد صدف العريف محمد الرقاد الرقيب إسماعيل يالو.

بالإضافة إلى دفع اللواء لمجموعات قناصي الدروع ومقاومة فصائل الدبابات على هذا المحور إلا أن كثافة الهجوم على هذا المحور كانت كبيرة، حيث قدرت قواته بلواء زائد مما حدا بالقيادة العامة لقواتنا المسلحة بدفع سرية دبابات من احتياط الجيش (الدبابات الخامسة)، حيث وصلت هذه السرية وقامت بالتصدي للقوات المعادية أيضاً حيث استشهد قائد الفصيل الأمامي من هذه السرية **المرشح راتب البطاينة**، ومن جهة أخرى تم تدمير جزء كبير من قوات العدو المهاجمة وبقي قسم منها في أرض المعركة وتم الاستيلاء عليها من قبل قواتنا المسلحة وأخذت غنائم حرب. وعلى هذا المحور قام العدو بإنزال حمولة ثلاث طائرات هيلوكوبتر هابطين، حيث هبطت إلى الجهة الشرقية من بلدة الكرامة وقام أفراد الكوماندوز الإسرائيلي باقتحام البلدة إلا أنهم لم يجدوا أحداً بها، حيث أُخليت من السكان والعناصر الأخرى قبل يومين من بدء الهجوم إلا أنهم قاموا بتدمير بعض المباني والمقار.

أما محور جسر الأمير عبد الله (سويمة - ناعور) لم يتمكن العدو من الاختراق حيث لم يستطع بناء جسر عليه بسبب القصف المدفعي الكثيف والمركز على منطقة الجسر وحاول بذلك عدة مرات إلا أنه فشل عندها تابع رتل الدبابات المندفع من الشونة السير باتجاه الجنوب بعد أن قام بالتعامل مع فصائل دباباتنا المتركزة هناك وبعد أن قام بتدمير دبابة قائد السرية على إثرها أُصيب قائد السرية بجروح بليغة عندها تمركزت سرية دبابات للعدو على مثلث قهوة حنا مما حدى بالقيادة العامة للقوات المسلحة بدفع سرية دبابات أخرى من احتياط الجيش تقدمت على محور ناعور

البحر الميت ولقلة المعلومات تواجد العدو على هذا المحور مما أوقع قائد الفصيل الأمامي من سرية التعزيز في مرمى القوات المعادية حيث تم تدمير دبابته واستشهاد **قائد الفصيل الملازم أول محمد هويمل الزبن** وكذلك دفعت القيادة العامة مجموعات من مدافع ال-106 عبر المزارع الواقعة ما بين الرامة باتجاه مرتفع ناقص 206 وهو الطريق الرئيس الشونة - الرامة - مثلث قهوة حنا.

شهادة اللواء الركن المتقاعد شبيب أبو وندي :

وكان يعمل ضابط (ملاحظة) رصد أمامي على جسر الأمير عبد الله ومع سرية الحجاب، وعلى مرأى من العدو الذي يتحين الفرصة للانطلاق فيما كان البواسل من وحداتنا المرابطة قد أكملوا استعداداتهم، ولديهم بكل شجاعة ودراية الإصرار والحزم على رد المعتدي ودحره مهزوماً خائباً ومكللاً بالخزي والعار... ويضيف أبو وندي: «كانت كل الدلائل تشير إلى أن الحرب واقعة لا محالة، من خلال مراجعتنا للتحركات غير الطبيعية ليلاً ونهاراً». وأرتال الآليات وحركة القوافل القادمة بين جهة النبي موسى أو البقيعة باتجاه أريحا والبحر الميت، وكانت حسب التقديريات التي توقعناها بعد أن تكاملت في منطقة حشد العدو بحوالي فرقتين + قوات المظليين وهي القوات الضاربة.

وكما توقعنا كان موعد الهجوم مع الضوء الأول، وقد سمعت أصوات الرماية في منطقة جسر الملك حسين وكانت رمايات متعددة ثقيلة ورماية مدفعية، على الفور دخلت الخندق وتفقدت الاتصالات، وتابعت التحركات المعادية وحشود العدو، وأول ما شاهدته سيارات (3 طن) تحمل جسوراً مفككة وفي مخاضة المياه حضيرة هندسية تعمل لقياس مستوى الماء وعمقه، مررت هذه المعلومات للقيادة الأعلى، وفي نفس الوقت خرجت صلية رشاش معادية من العدو، وجاءت الأوامر على الفور بالرماية وفتح النيران التي بدأتها الدبابات لتشعل النيران والحرائق وبدأت أشاهد الإصابات، وطلبت رماية المدافع على أحد الأهداف المسجلة وكانت

الرماية دقيقة 100% وبدأت أُلاحظ اختفاء العدو نتيجة لكثافة النيران، هنا بدأ القصف الجوي الإسرائيلي ليعاود العدو نشاطه وبمحاولة تجسير ثانية تصدت لها قذائف المدفعية وكان الالتحام الذي منع الطيران من القدوم نتيجة لمرحلة الاشتباك وبالتالي تمكنت المدفعية من حسم الأمور لجانبنا وانقطع الاتصال بين ضابط الملاحظة الأمامي **(م1 أبو وندي)** والكتيبة، وفي هذه اللحظات حسب أبو وندي بأن الكتيبة قد قرأت الفاتحة علينا، إلى أن تم إعادة الاتصال من جديد. وعاود ترمية المدافع على أهدافها. في هذه الحرب امتلك الأردنيون القدرة وسمو أهداف الحرب التي نتمسك فيها بشرف القتال ودوافعه والإصرار وبيان قدرة الجندي الأردني على انتزاع النصر والمحافظة على حقوقه ما يلي:

- برهن أبو وندي بذلك أنه استطاع أن يقرر حركة العدو بنيران المدفعية فيما فلوله تتراجع حاملة الفشل واليأس، كما أراد (أبو وندي) برماية طلقات إلى يمينهم وأجبرهم على التوجه هروباً إلى اليسار وقام لتصحيح الرماية إلى اليسار واضطرت جموع العدو إلى الهروب إلى ما كانوا قد هربوا منه، والجنود الأردنيون يعلوهم السرور والتصفيق والضحك..... هذا العنفوان الذي كان في ذلك اليوم المشهود جاء نتيجة طبيعية للتدريب والالتزام بتطبيق ما تعلموه في الميادين التدريبية.

- ومرة أخرى يتجلّى الشرف العسكري الأردني دفعة ويترفع عن كل الصغائر والرذائل التي يمارسها العدو فيقول أبو وندي شاهدت تجمعاً للآليات وحركة للجنود وسيارات الإسعاف في مخفر مستخدم للأمن العام الأردني قبل حرب حزيران 1967، وبعدما كنت قد سجلت معلوماته كهدف محدد للرماية، إلا أن اكتشافي لسيارات الإسعاف حملني على صرف النظر عن رماية ذلك الموقع.

اللواء المتقاعد أبو وندي بلغ من المواقع القيادية مواقع متقدمة ولديه خبرات متقدمة في التحليل الاستراتيجي فيقول أن فهمنا لطبيعة العدوان الإسرائيلي ونواياه، جعلنا على ثقة بأن النصر بأيدينا وكنّا على ثقة تامة بذلك رغم نتيجة حرب 1967، وأوضحنا للجنود بأن تلك الحرب قد فرضت علينا ولم نعط الفرصة لخوض المعركة وليس لدينا الغطاء

الجوي الكافي، هذا من جانب وفي جانب آخر كان القسم لدى الجميع أن لن تتعدى النتيجة أمرين النصر أو الشهادة وقد بنيت الخطة الدفاعية بقوة وإحكام، مع الاستبسال الذي جعل أفراد المدفعية في الملاحظات الأمامية يستخدمون الأنيرجا والروكت لانشر من الأسلحة الأخرى لتدمير دبابات العدو وآلياته.

واندحر «الجيش الذي لا يقهر» الذي أراد تغيير الواقع السياسي في المنطقة وفرض إرادته، رغم تقوّله أن هدفه تدمير قواعد المقاومة الفدائية، ونحن بحسب أبو وندي باعتراف الضباط الإسرائيليين المشاركين في المعركة أن الهدف احتلال منطقة الغور والمرتفعات الغربية للأردن والسيطرة على عقد المواصلات وإبقاء المنطقة معزولة على غرار ما حدث في جنوب لبنان، ولولا بسالة نشامى الجيش العربي لكانوا حتى الآن فيها، وإلاّ فما معنى حشد فيلق إسرائيلي (فرقتين ولواء مظليين)؟!

وكم مقاوم فدائي في الكرامة حتى تُحشد له هذه القوات، على أية حال ودون الالتفات لأي تفسيرات أخرى كان هدف العدو احتلال الكرامة وإخراج الفدائيين، ومن ثم تطوير الهجوم لوضع عمان تحت مرمى النيران الإسرائيلية، ويتلاقى ذلك مع قول لدايان يدين فيه نفسه على عدم استثمار الفوز في حرب 1967م واحتلال منطقة الأغوار الأردنية، ونقول للجميع بما فيهم العدو أن ذلك يجعلنا نؤكد ذلك وبأننا «من فمه ندينه».

(العريف **سليمان الحامد**) كان مدربا لدورة قانصي دروع استعد وزملاؤه لإجراء مناورة تدريبية إلا أن الأوامر صدرت لهم بالاستعداد للقتال وكانت الفرصة لتطبيق ما تعلموه عملياً في أرض الكرامة وتحت ظروف صعبة، كان يقود مجموعة دخلت الشونة كفرقة انتحارية داخل صفوف العدو تسللت إلى قرب دار البلدية وأطلقت قنبلة انيرجا على الدبابة الأولى فأصابتها وأشعلت فيها النار وانسحبت بسرعة إلى موقع آخر تنتظر مرور دبابة أخرى للعدو فاقتربت واحدة وعلى بعد خطوات أطلقوا عليها قنبلتي انيرجا وشاهدوها تنسحب وأصوات الاستغاثة تنطلق من داخلها، عندها يقول الحامد: (شعرت بسخونة على جبيني وأسعفني زميلي بسرعة وخرجنا من مكاننا إلى مكان آخر بسرعة وشاهدنا دبابة أخرى

تريد المرور عن الدبابة التي دمرناها فعالجناها من مسافة قريبة وانسحبنا إلى مكان قريب من مراكزنا الأمامية ووجدنا أمامنا سيارة (3 طن) أطلقت عليها طلقة انيرجا انفجرت في محركها وشعرت أن ذراعي الأيمن طار مني وحاولت الإمساك بالبندقية ثانية إلا أن يدي لم تطاوعني وشعرت بالدم يسيل منها وكدت أغيب عن الوعي) ويذكر الحامد أنه طلب من زملائه أن يبقوه في المراكز الأمامية حتى ينسحب العدو، وقال له أحدهم: (ولا يهمك مدفعيتنا نازلة فيهم) وأفاق في المستشفى والممرضة تقول له **(الله يعطيك العافية)**.

آلية إسرائيلية معطوبة وعليها جنود أردنيين

المعركة برواية إسرائيلية

وفي موضوع نشر بصحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية بتاريخ: 1968/3/21 أعلنت إسرائيل عن بدء عملياتها بالكرامة بعنوان (اليوم حان الوقت للعمل)؛ حيث أغارت قوة من الجيش الإسرائيلي على قواعد « الفدائيين» في الأردن لتدميرها كلياً وكما يدعون لهذا الهجوم متذرعين بأنه قبل شهر من ذلك التاريخ كرس الفدائيون كل جهودهم لإطلاق النيران على قوات الجيش الإسرائيلي في منطقة الحدود الغربية للأردن... مرة ومرتين وثلاث مرات خلال أسبوع واحد الأمر الذي تسبب في موت عدد من الجنود وإصابة آخرين... وقبل أكثر من شهر، أي في 15/ 2 قام الجيش الإسرائيلي بهجمات قوية ومركزة ضد المواقع الأردنية شرق الأردن، هذا التوجه جاء لتهدئة الحدود ليس كلياً و إنما بعض الشيء، وقبل ذلك كان الملك الأردني «حسين» قد صرح أن عمليات أعضاء «فتح» ليست مطلوبة أو مرغوبة للمملكة؛ الأمر الذي أدى إلى وقوع عاصفة قوية داخل الأردن ولم يمر وقت طويل حتى أعاد رئيس الحكومة الأردنية الأمر إلى ما كان عليه، الشيء الذي أجبر الملك حسين لتأييد تصريحات رئيس الحكومة رغم ورود العديد من التصريحات التي تتناقص مع ما صرَّح به الملك حسين الشيء الذي دفع الملك حسين للسكوت والرضى بسبب قوة الفدائيين وجبروتهم[1].

ومن خلال أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، ومن خلال بعض المعطيات الواردة من الساحة الأردنية فإنه اتضح للسلطات الأمنية الإسرائيلية الاتي :

الملك حسين وحكومته غير معنيين وليس لديهم نية لمنع تلك العمليات الإرهابية في إسرائيل، وهناك رجال الجيش الأردني يساعدون الإرهابيين في العمليات المختلفة، بواسطة فتح معبر خاص.

(1) يديعوت أحرنوت 1968/3/21.

ونتيجة لذلك، وبعد التأكد من تلك المعلومات، تقرر القيام بالعمليات العسكرية، وتضيف الصحيفة بأنه رغم العمليات العسكرية السابقة ضد بعض قواعد الجيش الأردني ان العمليات الفدائية تواصلت، ومن أجل وقفها قرر الجيش الإسرائيلي العمل العسكري ضد ما وصفه ببؤر الشر «وهي قواعد حركة فتح». ووفق التقرير فإنه يوجد في الأردن المئات من الفدائيين الذين ينعمون بالحرية؛ يلبسون الزي العسكري ويحملون السلاح وهناك بعضهم يحملون إشارة لمنظمات غير قانونية ويتدربون في معسكرات أُقيمت على طول الحدود مع إسرائيل وليست بعيده عن الأردن، ولذلك خرج الجيش الإسرائيلي لتدمير تلك القواعد ولإثبات أن الفدائيين ليسوا في أمان حتى في منازلهم[1].

كيف توزعت القوات على محاور الكرامة :

غربت الشمس عن وادي الأردن... وعندها آخر الجنود الإسرائيليين تخطى الحدود عن طريق معبر أللنبي، كانت القوة تعرف الهدف وهي قرية أردنية صغيرة تسمى الكرامة، حيث ترك السكان منازلهم وتوجهوا للقرى المجاورة وجيوب العاصمة عمان وحل مكانهم ثلاثمائة من أعضاء حركة فتح... حيث مثلت لهم قرية الكرامة مكاناً محبباً وقاعدة للتدريبات وعلى بعد 8 كم من الحدود مع إسرائيل هناك كان أعضاء حركة فتح يقررون الهجمات ومن داخل تلك القرية وجهوا العمليات التفجيرية ضد إسرائيل.

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/21.

تشكيل توزيع القوات المتقاتلة صباح يوم المعركة 21 - 3 - 1968

ووفق الخطة العسكرية الإسرائيلية توزعت وحدات الجيش لأربع قوات:

القوة الأولى: مكونة من الدبابات، ومن مهامها فتح طريق جسر أللنبي بالإضافة إلى تأمين منطقة العملية.

القوة الثانية: مكونة من المظليين على العربات المصفحة مهمتها التحرك خلف الدبابات لاقتحام قرية الكرامة.

القوة الثالثة: تكونت أيضاً من رجال وحدات المظليين وسلاح المشاة ومهمتها الاختراق وتأمين منطقة العملية.

القوة الرابعة: طائرات الهليكوبتر ووفق الخطة اضطرت للهبوط خلف مدينة الكرامة من مدخلها الشرقي لمنع أي إمكانية لهرب فدائيي حركة فتح.

كانت الخطة التي أعطيت للجنود تستند إلى وقف هجمات مقاتلي فتح ضد المواطنين الإسرائيليين ووقف كل عملياتها عن طريق قطع طرق الاتصال بين وحدات فتح والجيش الأردني، وكان هدف العملية هو قتل واعتقال أكبر عدد ممكن من مقاتلي فتح[1].

كيف جرت العمليات في الكرامة :

في الطريق إلى الكرامة وفي لحظة واحدة اشتعل وادي الأردن فالدبابات ومن ورائها العربات المدرعة والجيبات بدأوا بالتحرك وبسرعة وفي جسر دامية ساد الهدوء، وقد عبر طابور الدبابات بسرعة على ضفة الجسر وتحركت شرقاً لإغلاق الطريق وغلق معابر الكرامة من الشمال الغربي، وطابور الدبابات الثاني وصل جسر اللنبي لمعالجة أي هجوم متوقع وحسب الرواية الإسرائيلية التي ادعت بأن المقاتلين وقوات الجيش الأردني اختفوا من المكان بقي فقط بعض جنود الجيش الأردني الذين

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/22.

هربوا خوفاً[1] واخترق الطابور تجاه الشرق في الطريق المؤدية للعاصمة عمان وللكرامة.

ولحد هذه هذه اللحظة لم يكن هناك قتال، وفي نفس ساعة الفجر ومع شعاع الشمس الأول حلقت فوق رؤوس الطوابير الطائرات المروحية لسلاح الجو الإسرائيلي وتوجهوا للكرامة ومداخلها ولم يطلقوا النار بعد، وعند بدء إطلاق النار من قبل الفدائيين وأفراد من الجيش الأردني والتي كان مداها جيد، وقعت قذائف بمعدل سريع على جنود سلاح الهندسة بجوار جسر عبد الله، وقذائف أخرى سقطت على مواقع الجيش الإسرائيلي الموجود من الغرب للأردن أدت إلى وقوع إصابات أولية تم إنقاذها ونقلها لمراكز التجمع الطبية.

وقد روى أحد الجنود الإسرائيليين - الذي عاد من ساحة القتال - وحسب الرواية الإسرائيلية التي نشرت في جريدة يديعوت أحرنوت أنه لم يَر في حياته شيئاً كهذا وما فعلته المروحيات لإنقاذ المصابين، كان شيئاً نادراً حيث وصل أحد الطيارين للمكان بارتفاع منخفض وقابله المقاتلون وأفراد الجيش الأردني بفتح النار عليه من مدى قصير، مما أدى إلى انسحاب الطيار باتجاه البحر الميت وعاد مجدداً بعد دقائق وتفاجأنا بطيرانه بارتفاع منخفض ثم عاد وهبط وحمل عدداً من المصابين وعاد جنوباً بارتفاع منخفض جداً واستغرق الأمر ثلاث دقائق فقط.

قوة المدرعات التي عبرت جسر اللنبي وسارت في طريقها مسرعة حتى وصلت القرية وكان هناك دبابات أردنية بعدد غير قليل خططوا لإطلاق النار وكانت دباباتهم من نوع «سنتوريون»، وردت الدبابات الإسرائيلية بإطلاق النار وأصابت دبابات أردنية وأصبحت المنطقة كلها كتلة من النيران وغطتها سحب الدخان المتصاعدة من الدبابات المحترقة.

ونظمت القوة الإسرائيلية نفسها وعند الساعة السابعة والنصف صباحاً تم كشفهم من قبل الأردنيين الشيء الذي أدى إلى نشوب معركة صغيرة، حيث روى جندي إسرائيلي من الاحتياط كان مصاباً: «إنه خلال

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/22.

تبادل إطلاق النار أصيب الجزء السفلي من دباباته وتم إنقاذه، وتم نقل المصابين والقتلى نتيجة تلك المعركة لإسرائيل، وبدأت القوة المدرعة في التحرك وفي نفس الساعة بدأت صواريخ الدخان في الصعود من كل مكان حيث كانت مساحة إطلاق النار بين 10 إلى 30 كيلو متر». وفي قرية الكرامة فعلى الرغم من الاشتباك الذي حصل بين القوات المدرعة الإسرائيلية والدبابات الأردنية... وفي الطريق لقرية الكرامة أكدت وحدات المظليين التي وصلت للكرامة أن القرية فارغة من السكان، وفقط بقي فيها وحدات من الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين، وانقسمت وحدة المظليين حسب الادعاءات الإسرائيلية إلى فرقتين تحركت باتجاه الطرق الرئيسة للقرية وبدأ يتحدث اللغة العربية من المظليين في دعوة السكان للخروج من بيوتهم وأيديهم مرفوعة والتجمع في الساحة التي كانت بجانب المسجد... فلم يخرج أحد وبناء عليه قمنا بتطهير البيوت «.

مسجد الكرامة الذي دمره العدو

وروى مصور عسكري إسرائيلي أنه فيما يتعلق بالتمشيط فإن تلك العملية نفذت على عدة مراحل:

المرحلة الأولى:

قامت الدبابات بتقسيم شوارع الكرامة بطولها وعرضها للتأكد من عدم وجود مفاجئات متوقعة من قبل الأردنيين والفدائيين الفلسطينيين.

المرحلة الثانية:

تمشيط المنازل، حيث أقدمت وحدات من الجيش الإسرائيلي بتمشيط المنازل بحثاً عن الفدائيين والمسلحين. حيث اكتشفنا من خلال التمشيط وجود أنفاق أرضية وكهوف عديدة قادتنا تلك الأنفاق إلى الفدائيين حيث وجدناهم بالزي المدني. وعند الانتهاء من عملية تطهير بيوت القرية تم تجميع كل الناس في ساحة المسجد.

المرحلة الثالثة:

قامت القوات الإسرائيلية بتفجير كل المنازل التي استخدمها الفدائيون. وقد روى مساعد قائد وحدة المظليين[1] أن القتال ضد فتح كان ذا طبيعة خاصة فهم لم يكونوا مركزين في مكان واحد إلا أنهم كانوا مرتبطين جيداً بإحداثيات سرية لم يكن هناك إمكانية لكشفها، وعندما وصلنا إليهم كان القتال في الذروة، من خلال القتال وجهاً لوجه وخلال هذه المعارك قتلنا أكثر من 100 من رجال فتح، أما فيما يخص خسائرنا فقد كانت 3 قتلى و 11 مصاباً.

وأضاف نائب قائد الوحدة أن جزءاً كبيراً من الفدائيين كانوا من الأشبال بين 17، 18، 19 عاماً بحيث يجب القول والاعتراف أنهم جميعاً قرروا البقاء في مواقعهم حتى الموت ولم يحاولوا الهرب رغم عدم خبرتهم بالقتال.

---

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/22.

وقد استمرت عملية التطهير ساعات طويلة وتم اقتياد سكان قرية الكرامة واحداً واحداً إلى الساحة المجاورة للمسجد، وتم معرفة هويتهم والإفراج عن بعضهم واقتياد آخرين إلى السجون.

وخلال البحث والتمشيط داخل الكرامة تم اكتشاف عدة مئات الكيلوغرامات من المواد الناسفة والألغام المعدة لعمليات فدائية إضافة إلى أسلحة بكميات كبيرة جداً « قذائف صاروخية، وهاون، وقذائف ثقيلة « وعندما اقتربت عقارب الساعة من التاسعة صباحاً كان تطهير القرية قد استكمل، ومن خلال ادعاء أحد الجنود في وحدة المظليين قال: «انه خلال المعارك نجح قليلون من رجال فتح من الهرب من الكرامة، حيث كان لديهم فسحة من الزمن بين توزيع البيانات الخاصة بالجيش وبين دخول الجنود الإسرائيليين لقرية الكرامة». طمأنت البيانات التي كانت توزع من قبل الجنود سكان القرية قائلة لهم عليكم التصرف بهدوء فالعملية التي ستقوم بها تستهدف فقط أعضاء حركة فتح المسلحين.

ومن الغرب للكرامة كانت مدرعات جيش الدفاع تسيطر على مداخل القرية الغربي والمظليين يحيطون بالشوارع وكانت السماء من فوقهم مليئة بالطائرات المروحية التي حلق بعضها على المداخل الشرقية لقرية الكرامة على بعد 10 كيلو متر من الحدود الإسرائيلية... وهناك بين الجبال هبطت المروحيات الخاصة بسلاح الجو الإسرائيلي وأنزلت قوة المظليين المسلحة والتي قتلت رجال «فتح» الذين ادعوا أنهم حاولوا الهرب من الكرامة، وفي هذه الساعة من الصباح غطت سحب بيضاء من الدخان وادي الأردن نتيجة تفجير البيوت وما تبقى من أسلحة وصواريخ وما دمر من عربات الجيش الأردني و أكد ضابط إسرائيلي كبير أنه في المرحلة الأولى من العملية لم يحارب جنود الجيش الأردني ولم يدخلوا المعركة نهائياً... استغرق هذا وقت طويل قبل أن يدخلوا عملياً في المعركة[1].

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/22.

وفي وادي الأردن وفي الساعات التي سبقت الظهر كان وادي الأردن يشتعل بكامله وغطى الدخان كل الاتجاهات حيث دارت معارك طاحنة بين الجيش الأردني ووحدات الجيش الإسرائيلي ولمساعدة الوحدات على الأرض في تحقيق أهدافهم انضم قبل الظهر سلاح الجو الإسرائيلي للعملية حيث قاموا بتدمير بطاريات الصواريخ الأردنية، وقاموا على فترات بالتحليق فوق المواقع الأردنية و أمطروهم بالقذائف فكان فضاء الجو مليئاً بهدير الطائرات والتي استهدفت بالأساس موقع قريب من جسر الملك عبد الله، وبعد ذلك أغاروا وقاتلوا على جبهات مواقع أردنية مختلفة، وأبلغ أحد الجنود عبر اللاسلكي أن تعزيزات أردنية تحركت من اتجاه «أم الشرط» وعلى مفرق الطريق في جسر اللنبي، وعلى بعد (5 كم) من الحدود الإسرائيلية التقينا بجندي إسرائيلي مشوه حيث أصابت قذيفة مدرعته وقسمتها لنصفين، أما في جنوب البحر الميت فلم يكن وادي الأردن الهدف الوحيد للقوات الإسرائيلية لكن العملية المركزية كانت في قرية الكرامة حيث تقرر العمل ضد ثلاث قواعد لحركة فتح في جنوب البحر الميت البعيدة عن هذه القواعد ب- (15 كيلو متر) جنوب البحر الميت في قلب وادي عربة تلك المواقع التي كانت ولا زالت تشكل خطراً كبيراً على دولة إسرائيل، وفي حديث لرئيس الأركان الإسرائيلي «حاييم بارليف» مع الصحفيين قال فيها: «إن عمليات النار والدم التي نفذت في الكرامة وفي كثير من المواقع الأردنية كانت عمليات انتقام كان هدفها تدمير قواعد المخربين (فدائيو حركة فتح) وقد تحقق الهدف الذي عجز عن تحقيقه الجيش الأردني الذي لم يقم بواجباته تجاه حدوده مع إسرائيل[1]».

و أضاف أن خسائر الفدائيين والجيش الأردني بلغت أكثر من 160 فدائي في الكرامة، و 140 آخرين في محطات الشرطة في جنوب البحر الميت، وتم تدمير 30 دبابة أردنية، وفقدت إسرائيل 6 عربات مصفحة ودبابة واحدة فقط[2].

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/22.
(2) يديعوت احرنوت 1968/3/22.

الصحفيون الذين كانوا ينتظرون مرافقة موشي دايان إلى مرتفعات السلط

أسباب عمليات الجيش الإسرائيلي في الكرامة[1].

في مقال صدر بصحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ: 1968/3/24م أوضح رئيس هيئة الأركان الإسرائيلية أنه هناك تعاظماً في العمليات الفدائية والتي بلغت 37 عملية في شهر واحد الشيء الذي أدى إلى تحسن قدرات الفدائيين وسقوط العديد من الجنود الإسرائيليين والمواطنين قرباناً للأعمال التي نفذها الفدائيون في المدة الأخيرة. ورغم ذلك يضيف رئيس الأركان لم يتم التوغل خلال العمليات المسلحة لأسباب خاصة منها.

- وفق التوجهات الأساسية للحكومة تم اتخاذ قرار بحرية العملية لكن بعدم المس بالسلطات العربية.

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/24.

- العمليات الوقائية للجيش الإسرائيلي على الحدود وخاصة الحدود الأردنية كانت جيدة وفي الفترة الأخيرة نجحت القوات الإسرائيلية وحرس الحدود في قتل عدد كبير من الفدائيين.

- العمليات الانتقامية للجيش الإسرائيلي مثل عملية جيش سلاح الجو في 1968 /2/15 أوصلت رسائل للسلطات الأردنية والفدائيين في أرض الأردن مفادها أنهم في أرض غير آمنة وغير بعيدة عن سيطرة جيش الدفاع الإسرائيلي.

نتائج العملية

مراسل صحيفة صاندي تلغراف في العاصمة الأردنية عمان قال: «إن حركة فتح تحولت بالتدريج لأحد الأطراف الأساسية في أزمة الشرق الأوسط وهي أصبحت تشبه أكثر فأكثر جبهة تحرير قومية داخل الأردن نفسه»، وقد حضر رئيس الحكومة الإسرائيلية ليفي اشكول للكنيست[1] ورفض كل الادعاءات حول عملية الجيش الإسرائيلي وحول أعداد الضحايا الذين سقطوا جراء تلك العمليات، ورغم ذلك تجنبنا فتح جبهة قتال مع الجيش الأردني - وأكد رئيس الحكومة أنه بالرغم من وجود دبابات وشاحنات عسكرية في أرض المعركة ووفق التصريحات التي أدلى بها فقد قال لقد قتل في العملية 170 من الفدائيين وتم اعتقال 164 شخصاً تم إحضارهم إلى إسرائيل ومن بينهم 80 اتهموا بالانتماء لمنظمة فتح ومن خلال التحقيقات التي أجريت مع أسرى اتضح أن معلوماتنا الاستخبارية كانت دقيقة، ففي منطقة الكرامة كان يتواجد حوالي 1000 من رجال فتح و10 مراكز تدريب للفدائيين، وقاعدة تدريب، وقيادة جبهة التحرير الفلسطينية، و4 قواعد لوحدات التسليح ووجد هناك ألفا قاعدة للقذائف «هاون» ومدفعية وبنادق وقذائف أر بي جي إضافة إلى مواد ناسفة وألغام من أنواع مختلفة، وكشف في المكان عن غرفة مخصصة تحت الأرض لصواريخ أرض أرض، وخلال التحقيق اتضح أن منظمة

(1) يديعوت احرنوت 1968/3/26.

فتح خططت لموجة عمليات واسعة والتي كان من المقرر ابتداؤها في نهاية هذا الشهر.

ورغم تلك العملية أضاف رئيس الحكومة أنه غير مقتنع أن العملية نجحت في حل مشاكل الإرهاب أما الآن فأصبح مطلوب من الحكومة الأردنية أن توقف مساعدتها المباشرة وغير المباشرة لمنظمة فتح - وإذا استمرت الحكومة الأردنية في هذا التوجه فإنها ستتحمل كامل المسؤولية لما ستقوم به إسرائيل في المستقبل. وفي مقابلة لرئيس الأركان الإسرائيلي الذي قال فيها أصبحت أكثر اقتناعاً من ذي قبل بأن العملية العسكرية يوم الخميس ضد الفدائيين كانت ضرورية... فهذا الموضوع كان على جدول أعمال جلسة الحكومة والتي من خلالها قدم العديد من التقديرات من رئيس الأركان حاييم بارليف ورئيس شعبة الاستخبارات العامة العميد أهارون بارليف واعتمد الاثنان في تقديراتهم على النتائج التي كشف عنها خلال العملية وقدموا عرضاً للمقارنة بين المعلومات الاستخبارية وبين ما أُنجز على أرض الواقع... وفي نفس الوقت فإن هناك كان اتجاها داخل إسرائيل يتساءل « فهل كان من الضروري دفع ثمن غال كما حدث في العملية العسكرية، وهل كان من الممكن تحقيق الأهداف بدون هذا الثمن؟»[1].

أجوبة هذه الأسئلة قدمها رئيس الحكومة عندما صرح أن الاكتشافات الكثيرة من الأسلحة والمواد المتفجرة والناسفة التي كشف عنها في قواعد فتح بالأردن تدل بأنه كان هناك نية قتل وتدمير لدى الفدائيين، وأصبحت هناك ضرورة لعمليات الانتقام من قبل سلاح الجو الإسرائيلي الذي نجح بإرباك وإفشال خطط عديدة وخطيرة لأعمال قتل كان يتوقع تنفيذها بواسطة رجال فتح من القواعد التي دمرت، ومن أيد في الحكومة العملية فقد صوت على نجاح الجيش الإسرائيلي في تحقيق تلك الإنجازات وقد اختلفت وتبددت المخاوف الكبيرة التي ظهرت، وهمس بها أطراف هامة في واشنطن وهي بان إسرائيل بعملياتها من الممكن أن تهدد أساس الحكم الملكي في الأردن وفيما يتعلق بهذا الأمر فقد أكد رئيس الأركان بأن

(1) معاريف 1968/3/25.

العملية لم تكن موجهه ضد الأردن أو جيشها وإنما لقواعد فتح وفدائييها. وعلى مسلك عمليات الجيش الإسرائيلي ضد تجمعات فتح في الأردن وعلى التساهل في التعامل مع القوات الأردنية فقد روى بارليف بتوسع حول العملية من خلال تقييمه للعملية وما حدث في ساحة القتال وعلى العبر التي يجب استخلاصها من العملية... ومن ناحية الإنجازات أكد أنها كانت ناجحة جداً وذلك من خلال ما تم اكتشافه من أسلحة ومعدات في قواعد الفدائيين وحتى الآن لم يتضح ما حجم المفقودين الذين أكد رئيس الأركان من بعده أنهم 3 مفقودين من الجنود. خلال الجلسة صرح رئيس شعبة الاستخبارات أن التقديرات الاستخبارية مساء العملية كانت دقيقة.

وفي أعقاب ذلك أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي آفي ايفان من الخطوات السياسية التي تدور في مجلس الأمن حيث يتضح أنه دارت مناقشات وأسئلة حول ما إذا كان من المجدي أن يسافر ايفان، ليقف على رأس الوفد الإسرائيلي في الأمم المتحدة مقابل التنازل عن القيام بجولته الأوروبية المخطط لها مسبقاً.

ومن ناحية أخرى، فإن دولتين صديقتين لإسرائيل «الولايات المتحدة وبريطانيا» واللتين قامتا بانتقاد إسرائيل لعملياتها ولكن ذلك لم يمنعهما من تجنيد باقي الأعضاء في مجلس الأمن لإصدار قرار لصالح إسرائيل وذلك بالرغم من جميع الانتقادات الدولية، وخاصة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد العدوان الإسرائيلي على الأراضي الأردنية وقُراها.

وعلق بعض قادة العدو على النتائج بما يلي[1]:

أ - قال حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلي في حديث له ان إسرائيل فقدت في هجومها الأخير على الأردن آليات عسكرية تعادل ثلاثة أضعاف ما فقدته في حرب حزيران.

(1) معركة الكرامة المصدر موقع ويكيبيديا (http://ar.wikipedia.org).

ب - قال عضو الكنيست الإسرائيلي (شلومو جروسك) لا يساورنا الشك حول عدد الضحايا بين جنودنا، وقال عضو الكنيست (توفيق طوبي) لقد برهنت العملية من جديد أن حرب الأيام الستة لم تحقق شيئاً ولم تحل النزاع العربي الإسرائيلي.

ج - طالب عضو الكنيست (شموئيل تامير) بتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في نتائج الحملة على الأرض الأردنية، لأن عدد الضحايا أكثر نسبياً في القوات الإسرائيلية.

د - وصف قائد مجموعة القتال الإسرائيلية المقدم (أهارون بيلد) المعركة فيما بعد لجريدة دافار الإسرائيلية بقوله: «لقد شاهدت قصفاً شديداً عدة مرات في حياتي لكنني لم أر شيئاً كهذا من قبل، لقد أصيبت معظم دباباتي في العملية ما عدا اثنتين فقط».

الكرامة في مجلس الأمن الدولي

منذ لحظة بدء الهجوم الإسرائيلي وضع الأردن عن طريق مندوبه الدكتور (محمد الفرا) مجلس الأمن بالصورة الكاملة للوضع طالباً من المجتمع الدولي أن يمارس مسؤولياته.

وقد عقد مجلس الأمن الدولي اجتماعاً طارئاً في الساعة السابعة والدقيقة الثامنة والعشرين من مساء يوم 1968/3/22 (حسب توقيت الأردن) بناء على طلب المملكة الأردنية الهاشمية لبحث الهجوم الإسرائيلي على الأردن.

وكان الدكتور الفرا أول المتحدثين في المجلس طالباً فرض عقوبات رادعة بحق إسرائيل، وقال إن هذا الهجوم قد أدان إسرائيل أمام العالم أجمع.

لقد تميزت اجتماعات مجلس الأمن بالسرعة في عقدها والحدة في مناقشاتها، ويسجل لها أنها أصدرت قراراً يدين إسرائيل لهجومها بزمن قياسي وبعد أربع جلسات فقط رغم تبني الولايات المتحدة لمشروع غربي، لكن المشروع الآسيوافريقي نجح في كسب الأصوات وصدر بأكمله تحت رقم (248).

وقد تمت الجلسات الأربع خلال أقل من 24 ساعة تحدث خلالها عدة من مندوبي الدول ناقشوا خلالها الهجوم الإسرائيلي.

قرار مجلس الأمن رقم 248 (1968/3/24)

إن مجلس الأمن:

- بعد أن استمع إلى البيانات التي ألقاها كل من مندوب الأردن وإسرائيل...

- وبعد أن لاحظ محتويات الرسائل التي قدمها كل من الممثل الدائم للأردن والممثل الدائم لإسرائيل في الوثائق: S/8483 S/8484، S/8478، S/847، S/8470، S/8486.
- وبعد أن لاحظ أيضاً المعلومات الإضافية التي قدمها كبير المراقبين الدوليين والمتضمنة في الوثيقتين: S/7930/Add; and Add 65.
- وإذ يستذكر القرار رقم 236 (1967) الذي شجب مجلس الأمن بموجبه أي خرق لوقف إطلاق النار.
- وإذ يلاحظ أن العمل العسكري الذي قامت به القوات المسلحة الإسرائيلية على الأرض الأردنية كان كبيراً وخُطط بدقة.
- وإذ يعتبر أن جميع حوادث العنف وخرق إطلاق النار يجب أن تمنع.
- يستذكر أيضاً القرار رقم 237 (1967) الذي تضمن دعوة حكومة إسرائيل تضمن سلامة ورفاهية سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية.

1. يأسف للقتل الذي حصل، كما يأسف للتخريب الذي لحق بالممتلكات.
2. ويدين العمل العسكري الذي شنته إسرائيل، والذي يشكل خرقا لميثاق الأمم المتحدة ولقرارات وقف إطلاق النار.
3. يأسف لجميع حوادث العنف وخرق إطلاق النار، ويعلن أنه لا يمكن التسامح حيال الأعمال العسكرية الانتقامية كهذا العمل، وإن مجلس الأمن سيجد نفسه مضطراً لأن يتخذ إجراءات أكثر فعالية، كما ينص عليها الميثاق ليضمن عدم تكرار مثل هذه الأعمال.
4. يدعو إسرائيل للامتناع عن القيام بأعمال أو نشاطات تتنافى القرار رقم 237 (1967).
5. يطلب من الأمين العام أن يستمر في دراسة الموقف وأن يقدم تقريراً لمجلس الأمن عندما يرى ذلك ضرورياً.

معركة الكرامة كما تعكسها الوثائق البريطانية

نلقي أضواء جديدة على هذه المعركة من خلال دراسة الوثائق البريطانية غير المنشورة المتعلقة بالمعركة التي سمح بالاطلاع عليها منذ سنة 1998م والمحفوظة في مركز السجل العام public record Office أو ما يعرف بدار الوثائق البريطانية في لندن.

كان من الواضح أن تصاعد العمل الفدائي المنطلق من قواعد في غور الأردن قد دفع الكيان الإسرائيلي إلى القيام بهجوم واسع لتدميرها خصوصاً في منطقة (الكرامة)، غير أن صمود الفدائيين والجيش الأردني وما بذلوه من تضحيات، قد أدى إلى نتائج معاكسة تماماً لخطط الإسرائيليين، إذ وقعت خسائر كبيرة نسبياً في القوات الإسرائيلية... وانكسرت أسطورتها بأنها تمتلك جيشاً لا يُقهر...

كما أدت إلى تصاعد شعبية العمل الفدائي ونفوذه خصوصاً في الأردن... وجعلت الكيان الإسرائيلي في حالة من الحيرة؛ إذ أن هجماته تزيد العمل الفدائي قوة وشعبية... كما أن سكوته يعطي هذا العمل فرصة للتوسع والتمدد. ويلاحظ كثرة ما كتب عن هذه المعركة في المصادر العربية وغيرها... غير أننا نحاول أن نلقي أضواء جديدة من خلال دراسة تلك الوثائق، وهو بعد نراه مهماً في استكمال الصورة المتعلقة بتلك المعركة ونتائجها، ولذلك فإن محور الدراسة والمعلومات هنا هي الوثائق البريطانية...

ويتم اللجوء إلى المصادر الأخرى على سبيل التوضيح أو المقارنة... واستكمالاً للبنية العامة للموضوع، وسنستفيد في هذ الموضوع تحديداً من التقارير والبرقيات والرسائل الصادرة عن سفراء بريطانيا في عمان وتل أبيب إلى الخارجية البريطانية... بالإضافة إلى تقرير الملحقين العسكريين البريطانيين في البلدين... فضلاً عن مراسلات أخرى من بيروت وواشنطن، وردود الخارجية البريطانية لسفرائها.

أولاً ـ الظروف التي أدت إلى المعركة:

أدت حرب الأيام الستة في شهر 6/ 1967م بين العرب والكيان الإسرائيلي إلى كارثة كبيرة، فقد منيت الجيوش العربية المصرية والأردنية والسورية بهزيمة ثقيلة... واحتل الكيان الإسرائيلي بسرعة خاطفة الضفة الغربية التي كانت تحميها الأردن (5878 كم^2) وقطاع غزة الواقع تحت الإدارة المصرية (363 كم^2)، وبذلك استكمل احتلال باقي فلسطين وفق حدودها التي وضعت في أثناء الاستعمار البريطاني، واحتلت شبه جزيرة سيناء المصرية (61198 كم^2) والجولان السورية (1150 كم^2) كما أدت الحرب إلى تشريد 330 الف فلسطيني انتقل معظمهم إلى الأردن[1].

لقد كانت حرب 1967م صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني والشعوب العربية التي انتظرت بفارغ الصبر طوال 19 عاما منذ (1948) ما كانت تعد به الأنظمة العربية من القضاء على الكيان الإسرائيلي، ولذلك أضعفت هذه الحرب الثقة بالأنظمة وجيوشها، وسعى الفلسطينيون إلى أخذ زمام المبادة بأيديهم، وعدم انتظار تحقيق شعارات (الوحدة طريق التحرير) و (قومية المعركة) التي كانت سائدة من قبل، فضلاً عن انحسار الآمال تجاه جمال عبد الناصر لتحقيق الوحدة والتحرير، وتكرست بشكل أكبر الهوية الوطنية الفلسطينية، وتطلعت الأنظار إلى المنظمات الفدائية الفلسطينية بوصفها بديلاً أفضل.

قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» بإعادة ترتيب صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعلنت انطلاقتها الثانية في 28 /8/ 1967م في بيانها الخامس والسبعين[2] بتسع وسبعين عملية عسكرية، أدت إلى قتل وجرح 218 صهيونياً... وقد أصبحت «فتح» في تلك الفترة العمود الفقري للمقاومة، في حين أخذت تتشكل منظمات فدائية أخرى شاركت بدرجات متفاوتة في عمليات المقاومة.

---

(1) بكر المجالي، الملف الوثائقي لمعارك الكرامة ص 54.

(2) حول حرب 1967 ونتائجها، انظر مثلاً: الكيلاني، هيثم: الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربي الإسرائيلية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص219 – 315.

يظهر أن رؤية الفدائيين في الأشهر الأولى التي تلت الاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع كانت مبنية على إمكانية إنشاء (القواعد الارتكازية) الثابتة والمتحركة في الأرض المحتلة، سعياً إلى إيجاد مناطق محررة تكون منطلقاً لإزالة الوجود الإسرائيلي، وهي رؤية حاولت أن تستفيد من تجربة الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 - 1939 التي نجحت في السيطرة على الريف الفلسطيني والمناطق الجبلية فترة من الزمن...

وقد دفع الفدائيون بنحو ألف من عناصرهم إلى الضفة والقطاع ليقوموا ببناء التنظيم السري والقواعد الارتكازية وكان على رأسهم زعيم «فتح» المجاهد ياسر عرفات الذي تولى إعادة تنظيم المقاومة في الضفة الغربية بنفسه[1]... ولكن يبدو أن هذه المحاولة لم تنجح في إنشاء أي من القواعد الثابتة بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها الفدائيون... إذ أن الإجراءات العسكرية والأمنية الصهيونية العنيفة أدت إلى مطاردة مئات الفدائيين، واستشهد ما يزيد عن ستين فدائياً، واعتقل ألف آخرون، وقد أدى هذا إلى توجه الفدائيين إلى إقامة القواعد الثابتة في الضفة الشرقية لنهر الأردن...

(1) انظر حول إعادة فتح ترتيب صفوفها بعد حرب يونيو 1967: خلف، صلاح: فلسطيني بلا هوية. ط2، عمان: دار الجليل، 1996م، ص89-93.

وأخذت القواعد السرية القليلة التي كانت موجودة شرقي غور الأردن تبرز إلى العلن في مطلع 1968م، في حين أخذ كثير من الفدائيين المطاردين في الضفة الغربية بالانتقال إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن[1]. وقد أدخل ذلك العلاقة بين الأردن والفدائيين في مرحلة جديدة... كما لفت أنظار الكيان الإسرائيلي لضرب القواعد الفدائية في شرقي الأردن... مما صعد من احتمالات المواجهة مع الجيش الأردني، والقيام بهجمات انتقامية ضد مدن الأردن وقراه، وضد بنيته التحتية والاقتصادية.

وقد لاحظ تقرير للمخابرات العسكرية البريطانية في الشرق الأدنى أنه منذ حرب 1967م حدثت زيادة كبيرة في نشاط الفدائيين وفي عدد منظماتهم، وأشار إلى أن معظم العمليات الفدائية كانت تتم قبل الحرب من قطاع غزة وسوريا، ويمر الفدائيون أحياناً من لبنان أو الأردن، ولكن كل العمليات ضد إسرائيل بعد الحرب تمت عبر الأردن، ونتيجة لذلك كانت معظم مظاهر انتقام الإسرائيليين موجهة ضد الأردن[2].

يؤكد تقرير السفير البريطاني في تل أبيب (R.M.Hadow) الذي بعثه إلى الخارجية البريطانية حول معركة (الكرامة) أن مجموعات «فتح» حصرت عملها - في الثلاثة أو الأربعة أشهر الأولى التي تلت حرب شهر 6/ 1967م - إلى حد كبير في الضفة الغربية...حيث سعى الفدائيون (وقد درج السفير في تقريره على استخدام لفظة إرهابيين أو مخربين في الإشارة إلى الفدائيين) لتطوير مقاومة فلسطينية تربك بشكل جاد الحكومة الإسرائيلية... وقال أنهم لم ينجحوا في جهودهم، ورأى أن سبب ذلك يعود بشكل جزئي للإجراءات الإسرائيلية المضادة الفعالة... أما السبب الأكبر فيعود - حسب رأيه - إلى أن الفدائيين فشلوا في اجتذاب الدعم الشعبي الذي أملوا في تحقيقه... وأضاف... أنه مع نهاية عام 1967 (قبل الإرهابيون بالهزيمة في الضفة الغربية... ورجعوا إلى شرق الأردن،

(1) انظر: مقال: تطور الفكر السياسي الفتحوي (20). في النشرة المركزية (لحركة فتح)، العدد الثاني لسنة 1999م، المنشور على موقع www.fatteh.net/puplic/news letter/310199/index.htm

(2) صايغ، يزيد: «التجربة العسكرية الفلسطينية المعاصرة»، في الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني: الدراسات الخاصة، ج5، بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990م، ص368، و ص383.

حيث يقومون بأعمال تخريب ضد إسرائيل... خصوصاً في منطقة بيسان، ثم وبشكل أقل في مناطق وادي عربة بين البحر الميت وإيلات)[1].

ولسنا بصدد مناقشة رأي (هادو) في أن الفدائيين فشلوا في اجتذاب الدعم الشعبي، وافتقار رأيه هذا إلى الموضوعية، ولكننا نلاحظ أن المصادر الغربية والبريطانية كلها تتفق على أن محور تركيز العمل الفدائي في الأشهر الأولى التي تلت حرب 1967م كان الضفة الغربية والقطاع... وأن هذا المحور قد اتخذ من الأردن قاعدة ارتكاز علنية منذ مطلع 1968، وأن الأردن كانت - في كلتا الفترتين - مركز العبور الأساسي للداخل الفلسطيني...

بينما كان الكيان الإسرائيلي يطارد العمل الفدائي في الضفة الغربية والقطاع، فإنه كان ينظر بقلق إلى نمو قواعد الفدائيين وتجذرها في شرقي الأردن... والى الدعم الشعبي الذي يلقاه... بل إلى تغاضي عناصر من الجيش الأردني ودعمها للفدائيين، فضلاً عن دعم وحدات الجيش العراقي المتمركزة في الأردن...

وقد أشار «هادو» في تقريره إلى أنه قد تجمعت لدى الإسرائيليين معلومات عن «إنشاء قوة إرهابية كبيرة في شرق الأردن، وعن تواطؤ سري فعال معها من قبل الجيش الأردني... على الأقل على مستوى الرتب الأدنى[2].

وقد أشارت برقيتان من السفارة البريطانية في تل أبيب إلى الخارجية البريطانية في 13 /10/ 1967م إلى سعادة الإسرائيليين بالقضاء على ما أسموه «عصابة فتح في القدس»... حيث تم القبض على 24 فدائياً، والتحقيقات معهم تظهر أنهم تلقوا مساعدات من الجيش الأردني في أخذ معداتهم إلى نهر الأردن استعداداً لاجتيازه نحو الضفة الغربية...

---

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ج5، ص369، ص383.

(2) Arab Guerille edeyeen) Activity Against Israel.Prepared by intelligence Ctaff.Head Quarters (H.Q). British forces، Near East Confidential، 1 Decmber 1968

وتضيف أن الإسرائيليين يزعمون ان الفدائيين الذين نفذوا عملية 11 /1967/10م استفادوا من غطاء ناري أردني في أثناء انسحابهم إلى شرق الأردن[1].

كما أشارت برقية أخرى في 3 /11/ 1967م إلى تمكن السلطات الإسرائيلية من القبض على قائد «فتح» فيصل الحسيني الذي كان قد تسلل قبل ثلاثة أسابيع إلى القدس «10»... كما ذكرت إحدى الوثائق نقلاً عن راديو إسرائيل أن موشيه كشتي مدير وزارة الدفاع الإسرائيلية أعلن في 4 /12/ 1967 أنه منذ حرب الأيام الستة (شهر6/1967) قبضت قوات الأمن الإسرائيلية على 300 فدائي وقتلت 60 آخرين[2].

أضاف (هادو) في تقريره أن صفوف ما أسماه الإرهابيين استوعبت أعداداً كبيرة من الشباب الفلسطيني من البلاد العربية الذين تدربوا في سوريا ومصر والجزائر... وممن تلقوا تعليماً عالياً، ودوافعهم أيديولوجية بشكل أكبر مما أسماه طراز المرتزقة القديم...

وقال إن الإسرائيليين يدّعون أن هؤلاء مسلحون تسليحاً جيداً... ويلبسون ملابس التمويه الحربية... ويظهرون بشكل علني في عمان وغيرها... وأنهم لم يعودوا يستخدمون الأردن فقط ممراً للهجوم على إسرائيل أو ملجأ أو مكانا للراحة بعد العمليات... فلقد نقلوا ثقل منظمتهم الرئيس إلى وادي الأردن... وأنشأوا قواعد ومراكز للتدريب، كما يعتقد أن قيادتهم موجودة هناك... وقال أن الجيش الأردني لم يقنع بتوفير تغطية نارية للفدائيين ليساعدهم على العودة بعد اكتمال مهامهم، وإنما ظهر أنه يقصف المستعمرات الحدودية وخصوصاً منطقة بيسان.

يحاول السفير البريطاني في عمان توضيح مسألة التعاون بين الفدائيين والجيش الأردني في تلك الفترة، فيؤكد أن دعم الجيش الأردني

(1) FCO 17/633. Report H. The Karama Raid.R.M.H.
(2) FCO 17, 467, Telegram (Tel.) no.1115, British Embassy (B.E) Tel Aviv to F.O. 13 October

للفدائيين هو أقل بكثير من ذلك الذي تزودهم به وحدات الجيش العراقي الموجودة في الأردن...

ولكن الضباط الصغار عرفوا بتقديم المساعدة على شكل استخدام سيارات الإسعاف ووسائل المواصلات باتجاه طريق الشمال - الجنوب في وادي الأردن... وعلى شكل مرافقة الفدائيين... أما ما وراء هذا الطريق غرباً فإن الفدائيين يعملون بأنفسهم... ويوفر الجيش الأردني أحياناً مواصلات وسيارات إسعاف لاستقبال الفدائيين العائدين... كما يوفر عادة تغطية نارية للمجموعة المنسحبة...

وقد أكد «مشهور حديثة الجازي» قائد الفرقة الأردنية التي كانت ترابط في منطقة الغور أنه كان من سياسته دعم العناصر الفدائية... بل المبادرة أحياناً بقصف المواقع الإسرائيلية في الضفة الأخرى من النهر[1].

مهما يكن من أمر فإنه يبدو لنا من مجمل دراسة المصادر والوثائق أن دعم الفدائيين عسكرياً إنما هو اجتهاد شخصي من الضباط والجنود في مناطق الغور في أجواء كان يسودها الشعور بالمهانة من هزيمة 1967م والاستياء من الواقع العربي والحماسة لعمل شيء ما... دعماً للعمل الفدائي ضد الكيان الإسرائيلي...

وحذر السفير البريطاني في عمان من أي هجوم إسرائيلي على الأردن، في حين تقوم السلطات «بمحاولة تهدئة الأمور في ظروف صعبة جداً، وتضغط بقوة باتجاه تسوية في الأمم المتحدة»... وقال: «إن ذلك الهجوم سيكون غير مبرر بتاتاً»... وربما يفسر باعتباره عملاً إسرائيلياً محسوباً لإفشال احتمالات التوصل إلى حل سلمي من خلال الأمم المتحدة[2].

استبعد السفير البريطاني في تل أبيب ألا تتخذ إسرائيل إجراءً انتقامياً في ظل تصاعد العمل الفدائي، وقال في برقية له إلى الخارجية البريطانية في 6 /11/ 1967م تعليقاً على إحدى العمليات الفدائية... أن

(1) See: FCO 17/467

(2) FCO 17/633. Hadow Report on the Karama Raid pp 2-3 -70

هذه العملية هي الثانية والعشرون في منطقة بيسان منذ الأول من شهر 1967/10م... وأنها قد أثارت تعليقات صحفية كثيرة... واضعة اللوم على الأردن ومهددة بالانتقام...

وقال السفير إنه إذا ما استمرت هذه العمليات ضد أهداف مدنية، وأدت إلى خسائر في الأرواح فإن الحكومة الإسرائيلية - حسب تقديره - ستجد من الصعوبة بمكان تجنب اتخاذ إجراء انتقامي تجاوباً مع تصاعد الضغط الشعبي...

وقال: «لعل الإسرائيليين سيفكّرون جيداً قبل القيام بعمل عبر الحدود لأنهم سيدخلون على الأرجح في قتال ضد مواقع أردنية مستعدة... كما قد يكون لذلك أصداء دولية ضارة بهم في الأمم المتحدة، وأنهم على الأرجح سيستخدمون قوات الطيران الإسرائيلية للقيام بمهام واضحة سريعة لضرب أهداف محددة بعناية مثل قواعد فتح».

وقد استبعد السفير البريطاني احتمال اتخاذ إسرائيل إجراءات اقتصادية ضد الأردن؛ مثل قطع المياه عن منطقة شرقي الغور... لأن ذلك سيؤدي إلى إدانتهم دولياً... كما أنه لن يعالج جذور المشكلة... ولن يكون انتقاماً كافياً من الهجمات الفدائية... كما استبعد إغلاق إسرائيل لمضائق تيران في وجه السفن المتوجهة إلى ميناء العقبة، لأن هذا يضعهم فيما وضع عبد الناصر به نفسه في 1967/5/23م[1].

ويبدو أن العامل الحاسم لدى الإسرائيليين بشأن هجومهم على الأردن كان هو نجاح السلطات الأردنية في منع العمليات الفدائية والاختراقات الحدودية... وليس حجم الجهد الذي تبذله في ذلك... بمعنى أنهم يحاسبون على النتائج قبل أي شيء آخر...

لكن مع تمكن العمل الفدائي الفلسطيني منذ مطلع 1968م من نقل ثقله الرئيس إلى شرقي الأردن وتصاعد العمل الفدائي عبر الحدود أخذت

(1) Despatch. The Fedyeen in Jordan. P.G.D. Adams (British Ambassador to FCO 17/222 Amman). Amman to Stewart. F.O. Conhdential. 26September 1968

ردود الفعل الإسرائيلية أشكالاً أعنف، وفي الفترة 8 – 1968/2/15م قامت القوات الإسرائيلية بقصف عنيف استمر أسبوعا... واستهدف مناطق واسعة في غور الأردن شملت مواقع الجيش الأردني... ومعظم قرى المواجهة الشمالية ومخيمات اللاجئين وخصوصاً مخيم الكرامة...

وكان يوم 1968/2/15م هو الأعنف، حيث استخدمت القوات الإسرائيلية الطائرات والمدفعية والدبابات في قصفها، وهو ما أدى إلى استشهاد سبعة جنود أردنيين بينهم ضابط برتبة رائد، وجرح 27 جندياً آخرين بينهم ضابطان... واستشهد من المدنيين 13 وجرح 31[1].

وعلى أي مستوى فقد أدرك الإسرائيليون مع بداية هذا العام أن أسنان التنين قد تناثرت بسبب ضعف العزيمة... وأن «فتح» قد أصبحت قوية وكبيرة جداً في الأردن، لدرجة أنه يكاد يكون من المستحيل إضعافها.

على أي حال... فقد اتفق السفيران البريطانيان في تل أبيب وعمان على أن هجمات 1968/2/15م لم تحقق أهدافها، بل كانت لها نتائج عكسية، إذ ازدادت «فتح» والعمل الفدائي قوة وشعبية.

وبالرغم من أن القصف الإسرائيلي أجبر سكان مخيمات «الطوارئ السبعة» (التي أنشئت في الغور لاستيعاب اللاجئين اثر حرب 1967م) على الانتقال إلى مخيمات ومناطق جديده أكثر أمناً... كالبقعة وزيزيا وسوف وشنلر... مما أفقد الفدائيين غطاءهم الشعبي في الأغوار... فإن ذلك - حسب تعبير آدمز السفير البريطاني في عمان - قد سهل عليهم السيطرة فعلاً على مساحات واسعة في الغور[2].

(1) مشهور حديثة الجازي - برنامج شاهد على العصر، الحلقة الخامسة، قناة الجزيرة - قطر 1 يوليو 1999.

(2) FCO 17/467. Tel. no. 1167 Adams Amman to F.O. Conhdential. 9 october

لوحظ أن لهجة الملك تجاه الفدائيين قد أصبحت بعد ذلك أكثر ليونة... بل إنها تحمل تشجيعاً ضمنياً... ففي 1968/2/27م قال إنه معجب بأعمال الفدائيين ولكنه يريد التنسيق ضمن خطة عمل كبيرة[1].

وفي 1968/3/13م أعلن أن حكومته لن تفرط بذرة واحدة من تراب الوطن، مهما كلفنا ذلك من تضحيات... ووصف الأردن في حديثه للتلفزيون اللبناني بأنها «بلد الفدائيين»[2].

هكذا بدأ للكيان الصهيوني أن يأخذ زمام الأمور بيده وأن يبادر بنفسه إلى القضاء على القواعد الفدائية شرقي الأردن... وفي الوقت الذي كانت تتعثر فيه مهمة د. يارنج مبعوث الأمم المتحدة للوصول إلى حل لتسوية سلمية مع الكيان الإسرائيلي... كان عدد الصقور الإسرائيليين في ازدياد... وكان هؤلاء يرون أن على إسرائيل أن ترفض من موقع القوة أن يحدد الغرب كيف ستسير الأمور بانتظار تحقيق تسوية سلمية.

ويرى هؤلاء الصقور أن العرب بحاجة إلى درس عنيف آخر، لعله يجبرهم على الذهاب إلى طاولة المفاوضات، وأخذت تتطور فلسفة إسرائيلية جديدة في الشهرين السابقين على معركة (الكرامة) حددها وزير خارجيتها «ابا ايبان» في خطابه في 1968/3/5م... أن إسرائيل لن ترضى أن يظل العرب يستمتعون بحالة (اللاحرب واللاسلم) بحيث يستمر الإرهابيون في مضايقة إسرائيل بلا نهاية... وأن إسرائيل سوف تتبنى

---

(1) CO 17/467 Tel. no. 1227. Hadow to F.O. Immediate Conhdential. 6 November 1967 ولم يحدد تفصيلات العملية الفدائية، ولكن من خلال مراجعتنا للوثائق الفلسطينية لعام 1967، وجدنا بياناً لفتح في 8 نوفمبر 1967 يشير إلى أن الكيان الإسرائيلي رفع في 6 نوفمبر شكوى إلى الأمم المتحدة، متهما حركة فتح بعدد من العمليات... وأن فتح مصرة على استمرار عملياتها... كما صدر لفتح بلاغ عسكري رقم 80 بتاريخ 8 نوفمبر 1967 ونشرته الرأي العام الكويتية في 14 نوفمبر 1967، يتحدث عن عدد من العمليات، كان أحدها انفجار لغم في بيسان ليلة 6 نوفمبر تحت شاحنة عسكرية فقتل 4 من ركابها وجرح الباقين ودمر الشاحنة، ولعل هذه العملية التي يقصدها السفير (هادو). انظر: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967م جمع وتصنيف جورج خوري نصر الله، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية – 3، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الخرطوم، 1969، ص787 – 789.

(2) انظر الوثائق الفلسطينية لعام 1967، ص797-799.

سياسة خارجية نشطة لإقناع العرب أن لديهم خياراً بسيطاً... أما سلام كامل وأما حرب شاملة... وليس بينهما شيء آخر[1].

وجد الكيان الإسرائيلي في عملية تفجير حافلة تقل طلاباً من مدرسة هرتزليا مشجباً يُعلق عليه هجومه... فقد انفجر لغم أرضي في 1968/3/18م في تلك الحافلة على الطريق قرب بير اورا نحو 30 كلم إلى الشمال من إيلات... وقتل رجلان مرافقان، وأصيب 28 طالباً بجروح بينهم 8 بجروح بالغة... وكان هذا الهجوم السادس والثلاثين الذي ينسب إلى فدائيين قادمين من شرق الأردن منذ منتصف شهر 2/ 1968[2].

وفي الحقيقة فإن التصريحات الإسرائيلية وتحركات القوات الإسرائيلية كانت تشير إلى استعدادات مبكرة لهجوم واسع على شرقي الأردن. وقد أوضح هادو في برقيته العاجلة يوم الهجوم الإسرائيلي على (الكرامة) أن الهجوم ليس انتقاماً لحادث حافلة المدرسة... وليس مجرد عمل استنزافي... رغبة في إعطاء العرب درساً... وإنما يظهر أنه موجه أساساً لتدمير الفدائيين وقواعدهم في الأردن...

وأشار إلى أن هذه العملية قد جرى التحضير لها قبل بضعة أيام، بعدما تلقوا معلومات قادتهم إلى توقع موجة جديدة من العمليات الفدائية، وأن هدفهم كان التخلص من الحجم الكبير للفدائيين ولضرب منظمتهم ضربة تشلها بحيث لا تتعافى منها إلا بعد زمن طويل... هذا إن تعافت منها[3] أصلاً.

وقد نقل السفير البريطاني في عمان معلومات ذكرها زميله السفير الأمريكي نقلاً عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية الذي التقاه يوم 1968/19/3/ والتي اخبره فيها المدير عن تحركات إسرائيلية عسكرية

---

(1) انظر: (تطور الفكر السياسي الفتحوي «20») في:
www. Fateh. net. /pubhc/newsletter /310199/index.htm

(2) انظر: الدجاني، برهان وآخرون (محررون)، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية رقم 5، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1971، ص 114-115.

(3) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968 ص117.

جنوبي بحيرة طبريا، وفي مناطق مسادا - وشعار - هاجولا - وكنيرت - وبيسان - واشدوت يعقوب[1].

ونقل عن كارمون قوله... إنهم مستعدون للانتظار لمدة قصيرة لرؤية ما يمكن أن يحقق الملك وإلا فإن الإسرائيليين سيشعرون أنهم مجبرون لاتخاذ الإجراء بأنفسهم.

وقال هادو أنه يمكن أن يستخلص من ملاحظات كارمون... ومن خلال التحركات العسكرية العلنية: «إن إسرائيل مصممة على الضغط على الأردنيين، وأنه ما لم يتخذ الملك إجراءاً فعالاً لضبط إرهابيي (فتح) فإن القوات الإسرائيلية جاهزة للتحرك»[2].

قام نائب رئيس الوزراء الأردني وزير الدولة للشؤون الخارجية السيد أحمد **طوقان**[3] باستدعاء سفراء بريطانيا وفرنسا وروسيا وتحدث معهم عن الوضع. وذكر السفير البريطاني في برقية أرسلها في 1968/3/20 عن الاجتماع أن الوزير أخبرهم أن المخابرات الأردنية تتلقى معلومات منذ 3/11 عن استعدادات إسرائيلية لهجوم كبير على الأردن ... وأن القوات الأردنية مدعومة بالقوات العراقية وضعت في حالة تأهب.

وقد طلب الأردنيون من الحكومة البريطانية استخدام نفوذها في كبح الإسرائيليين عن الهجوم... وذكر السفير البريطاني أنه طلب من المسؤول الأردني وضع القوات الأردنية على الحدود تحت أقصى درجات ضبط النفس... ورد الوزير بأن هذا هو الحاصل فعلاً... وأن الملك حسين يتابع بنفسه ضبط الوضع وجعله تحت السيطرة، وأن الأردنيين لن يتسببوا بأي تصعيد[4].

---

(1) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968 ص 118.
(2) FCO 17/633 Hadow Report on the Karama Raid. p.3
(3) دولة السيد أحمد طوقان: مواليد نابلس 1903 تقلّد عدة مناصب حتى أصبح نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية 1968، ونائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للدفاع عام 1969.
(4) FCO 17/633 Hadow Report on the Karama Raid. p.3

وعلى هذا فإن الاستعدادات الإسرائيلية للهجوم كانت تتم بصورة شبه علنية، ولم يكن هذا الهجوم مفاجئاً لأحد... وإن لم تتضح تماماً طبيعته وتفصيلاته، وقد تأكد من خلال التهديدات التي أطلقها كل من رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات... كما أصبحت خبراً عاماً بإعلان مندوب الأردن في الأمم المتحدة، وكذلك بتصريح ناطق باسم «فتح» في 3/19/ 1968 إن إسرائيل تحشد قواتها على طول نهر الأردن[1].

ثانياً: المعركة 21 - 3 – 1968 :

أدلى رئيس الوزراء الإسرائيلي «ليفي اشكول» ببيان رسمي في الكنيست في 3/21 /1968 أعلن فيه عن الهجوم الإسرائيلي، وتحدث فيه عن مبرراته... وقال إنه منذ 15 - 2 وحتى ليلة أمس (20 /3/ 1968) قام الفدائيون بسبع وثلاثين عملية، وتحدث عن اللغم الذي انفجر بطلاب مدرسة... وقال: «ان الحكومة الأردنية لم تتخذ إجراء لمنع ما أسماه الأعمال الإرهابية، وأن قواعد الفدائيين معروفة تماماً للحكومة الأردنية، وأن أعضاء من هذه (العصابات) يظهرون في البلدات والقرى، ويلبسون زيهم الرسمي وبيدهم الأسلحة، بل يدعون ممثلي الصحافة الأجنبية ليعرضوا عليهم تدريبهم ونشاطهم...

وإنه بناء على معلومات من مصادر عليا مسؤولة فإن موجة جديدة مما سماه (الإرهاب) كانت ستنفذ، وأضاف... أن الاتصالات السياسية لم توقف القتل، ولذلك لم يكن أمامنا خيار سوى الدفاع عن النفس... وأن الحكومة أمرت الجيش بالهجوم ضد الإرهابيين، وأن ذلك بدأ الساعة 5.45 صباحاً[2].

(1) FCO 17/633. Tel. No. 377. Hadow to F.O. immediate. Conhdential. 21 March 1968

(2) FCO 17/633. Tel. No. 216.Adams to F.O immediate Conhdential. 20 March

إن أهم الوثائق البريطانية المتعلقة بمجريات المعركة جاءت تحديداً في تقرير الملحق العسكري في السفارة البريطانية في عمان العقيد ويستون سيمونز J.F. Weston Simons الذي رفعه مباشرة إلى وزارة الدفاع في لندن، وهو مكون من تسع صفحات[1].

أما الوثيقة الثانية فهي تقرير الملحق العسكري في السفارة البريطانية في تل أبيب الذي رفعه إلى السفير البريطاني في تل أبيب، ثم قام السفير البريطاني بإرساله ملحقاً لتقريره عن معركة (الكرامة)، وهي مكونة من ثلاث صفحات[2]. وربما كان السبب في ان الوثيقة الأولى ورفعت إلى وزارة الدفاع مباشرة (دون أن تكون مجرد ملحق لرسالة السفير) هو أن الأردن نفسه كان ميدان المعركة، ومن ثم اكتسب تقرير الملحق العسكري فيها مزيداً من الأهمية، وجاء مفصلاً... وأرسلت نسخ منه إلى كل الجهات المعنية في بريطانيا...

يقول الملحق العسكري البريطاني في عمان... أنه أعد تقريره بناء على معلومات شهود عيان بريطانيين وكنديين... وبناء على جولته في شمال البحر الميت، فضلاً عن ملخص عن المعركة استمع إليه من مدير المخابرات العسكرية الأردنية مساء 1968/3/22، وهذا يعطي أهمية خاصة لتقريره، أما زميله الملحق العسكري البريطاني في تل أبيب فلا يشير إلى أي من مصادره، وقد اتفق الاثنان في تقريرهما على أن هدف العملية المعلن هو القضاء على قواعد «فتح» وقيادتها في شرق الأردن، وأن المنطقة المستهدفة تحديداً هي منطقة «الكرامة»، حيث أن القاعدة الرئيسية لحركة «فتح» كما استهدفت قواعد ثانوية ل-«فتح» جنوبي البحر الميت في الصافي وفيفا وجريرة.

وقال العقيد سيمونز (الملحق العسكري في عمان) ان مدير المخابرات العسكرية الأردنية قدر القوات الإسرائيلية المهاجمة بلواء من

(1) F17/633. Tel. No. 369 Hadow to F.O. immediate Conhdential. 21 March 1968

(2) onhdential 20 March FCO 17/633, Tel. No. 218 Adams Amman to F.O. 1968.

ثلاث كتائب دبابات، ولواء مشاة محمول على عربات نقل، وكتيبة مغاوير (كوماندوز) مظلات، مع لواء احتياط مدرع، وعلى ذلك فإن تقدير القوة المهاجمة يكون 4500 جندي، وعلق على ذلك بأنه بناء على الاستطلاعات البريطانية فإن تقدير القوات الإسرائيلية المهاجمة كان بحدود 1100 جندي (لكنه لم يشر إلى التعزيزات التي جاءت في الساعات التالية... ولا إلى عدد القوات التي هاجمت مناطق جنوب البحر الميت).

أما زميله الملحق العسكري في تل أبيب فيقدر العدد بنحو ألفين... وأن الهجوم الرئيس على الكرامة نفذه لواء واحد[1].

وأضاف سيمونز: إن الهجوم الذي استهدف منطقة الكرامة قد بدأ الساعة 5.30 صباحاً باجتياز سرية مدرعات جسر اللنبي (جسر الملك حسين) ولكن المقاومة أوقفت تقدمها بعد مسيرة 22 متر فقط... وبعد ساعة (6.30) اجتازت سرية إسرائيلية (جسر داميه)، كما أنزلت اربع طائرات مروحية مشاة في منطقة (الكرامة) كما تم في الوقت نفسه (6.30 – 7.00) تعزيز السرية المتوقفة عند جسر اللنبي، وأخذت تتقدم باتجاه الشونة في الوقت الذي كانت تتعرض فيه لمقاومة أردنية مدعومة بدبابات متخندقة إلى الغرب من غور نمرين.

ونقل عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية أن سرية قطعت منطقة جسر الأمير عبد الله... وقال سيمونز... ان الطيران بدأ غاراته في (7.30) صباحاً... وفي منطقة الكفرين والشونة اشتبكت القوات الإسرائيلية المشاة والمدرعة بالدبابات والمشاة الأردنية التي استخدمت أسلحة مضادة للدروع (عيار 106 ملم) متخندقة ومدعومة بالمدفعية الأردنية... وفي منطقة (الكرامة) ظهر ان القوات الإسرائيلية التي تم إنزالها تعاني من المصاعب، فتم تعزيزها ب-«11» طائرة مروحية تحمل مشاة... ولم تستطع القوات المدرعة الإسرائيلية القادمة من الشونة الالتحاق بقوات الإنزال الإسرائيلية في الكرامة...إلا بين (10 – 10.30) صباحاً.

(1) انظر: الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص118-119.

وأشار سيمونز إلى مزية الخنادق التي جهزتها القوات الأردنية بمدفعيتها ودباباتها قبل شهرين على الأقل من المعركة، حيث ظهر من خلال استطلاعه أن القصف الإسرائيلي لها كان إلى حد كبير غير فعال[1].

قال سيمونز إن القوات الإسرائيلية دمرت بشكل منظم المباني على جانبي الطريق الرئيسي للكرامة، كما دمرت مركز الشرطة والسينما، أما المباني على الطرق الجانبية فيظهر أنها لم تتضرر إلى حد كبير...

وأضاف ان الطيران الإسرائيلي دخل المعركة في الساعة 7.30 صباحا ب- 6 طائرات ميراج، هاجمت الكرامة، ونقل عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية إن الطائرات المستخدمة كانت أساساً سوبر ميستير وميراج... وأنها استخدمت القنابل والصواريخ في القصف، وقال سيمونز... إن الطائرات المستخدمة في موجات هجومها تشكيلات من 2 أو 4 أو 6 أو 8 طائرات، وان الضربات الجوية استمرت حتى آخر انسحاب إسرائيلي في الساعة 8:30 مساءً[2].

وقد أوضح زميله الملحق العسكري البريطاني في تل أبيب أن الطائرات قامت بنحو 450 غارة خلال ذلك اليوم... وأن هجماتها ضد المدفعية الأردنية كانت على الأغلب غير فعالة تماماً[3].

أما بالنسبة للهجوم على منطقة جنوبي البحر الميت والذي اكتسب طابعاً ثانوياً، فينقل سيمونز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية قوله... أنه في الساعة 6.30 صباحاً هبطت إحدى عشرة طائرة مروحية في

---

(1) FCO 17/633. Tel.No. B.E. Tel Aviv to F.O. Immediate. 21 March 1968

(2) FCO 17/633. Report on Operations in Karama and Areas on 21 March 1968. by Colonel J.F. Weston. Simons. Defence attache to the British Embassy. Amman to the Minsitrey of Defence. D14. London , Secret, 24 March 1968. (Hereafter referred to as Simons Report)

(3) FCO 17/633 , Despatch no. 2. Operatons Across the Jordan by Israel torces on 21 March 1968. by [H. Rofus] Defence & Military Attache. British Embassy. Tel Aaviv. to R.M. Hadow. ereafter referred to as Report the British Dedence Attache in Tel Aviv). FCO 17/633. Simons Report, pp. 1-2

المنطقة، وأنه في الساعة 8.30 جاءت 60 دبابة وعربة نصف مجنزرة إلى الصافي لدعم الإنزال... وأنها انسحبت بعد إيقاع دمار كبير في الصافي حتى الساعة 5.00 مساءً... لكن مدير المخابرات العسكرية اعترف بأن معلوماته حول هذه العملية ضئيلة.

أما سيمونز فيذكر وبناءً على المعلومات التي استقاها من مهندس مدني بريطاني في المنطقة... أن ما ذكره مدير المخابرات العسكرية مبالغ فيه جداً (وهنا طلب سيمونز ألا تنسب هذه المعلومة إلى أي مصدر، ربما حرصاً على سلامة المهندس البريطاني وحفظاً لمركزه).

وقال إنه في الساعة السادسة صباحاً جاءت ثلاث طائرات مروحية صغيرة ترافقها طائرة استطلاع، وقامت بإنزال جنود إسرائيليين، كما جاءت طائرة مروحية أخرى بعد ساعتين... وأنه في الساعة 6.30 صباحاً سمعت انفجارات في منطقة جريرة، وفي التاسعة صباحاً وصلت دبابتان إلى فيفا وبدأتا هدم البيوت، ثم اتجهتا إلى الصافي حيث قامتا بالعمل نفسه...

وذكر سيمونز أن أحد شهوده رأى دبابات مصابة بمضاد دبابات أردني عيار 106 ملم، ونقل عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية... أن ثلاث طائرات ميستير هاجمت الصافي، وعلق سيمونز بأن لذلك أهمية خاصة، إذ أن الهجوم قريب جداً من محطة رادار مصرية في منطقة دبكة[1][2].

نقل سيمونز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية... أن الانسحاب الإسرائيلي بدأ في الساعة الثانية بعد الظهر، وأنه اكتمل في الساعة الخامسة مساءً من قرية الكفرين وجسر داميه... وقال سيمونز إنه يبدو أن القوات الإسرائيلية في (الكرامة) انسحبت عبر جسر أم شوغات... وقال إنه يعتقد أن خماش (رئيس الأركان الأردني) أمر بحصار القوات الإسرائيلية في الشونة حتى الساعة 6.30 مساء، بهدف إشعارهم انهم

---

(1)

(2) FCO 17/633 pp. 2-5 , Simon Repor

وقعوا في المصيدة... وقال إن ما فعله كان نموذجاً لطريقته في القيادة... إذ يظهر أنه لم يقم بمحاولة جادة لإبادة هؤلاء الإسرائيليين، أو ملاحقة قواتهم المنسحبة خوفاً من تصعيد الأمر... وكذلك من المحتمل أنه لم يكن يرغب في الدخول في اشتباك ليلي يضيع ذخيرته فيه...

وعلى أي حال فقد تم الانسحاب الإسرائيلي من شرق الأردن في الساعة 8.30 مساء... وتوقف القتال... وأشار سيمونز... إلى أن الأردنيين كانوا قد رفضوا طلب الجنرال اود بول (مراقب الأمم المتحدة) بعد الظهر بوقف إطلاق النار، لأنهم كانوا يريدون التأكد من انسحاب كل الجنود الإسرائيليين عبر النهر[1].

أما بالنسبة لخسائر الطرفين... فإن الخسائر الأردنية - حسب مدير المخابرات العسكرية الأردني - كانت في صباح 22 آذار... استشهاد 22 جندياً بينهم 6 ضباط - وجرح 63 جنديا بينهم 12 ضابطاً... وقال إنه أخبر أن عشرة من هؤلاء الجرحى ماتوا خلال يوم 22 آذار ليصبح العدد 32 شهيداً و 53 جريحاً.

وعلق سيمونز على ذلك... بأن مصدراً بريطانيا موثوقاً جداً، وفي مركز مهم ولكن حساس جداً... قال إن قائمة الموتى في مستشفى ماركا العسكري في صباح 23 آذار تضمنت 76 شخصاً، وأنه خلال زيارة وادي الأردن في اليوم نفسه رأى المصدر 21 جثة في وحدة إسعاف ميدانية...

وقال المصدر أن الجرحى في مستشفى ماركا العسكري بلغوا حوالي 120 جريحاً... ونقل سيمونز عن مصدر بريطاني آخر عده موثوقاً بالدرجة نفسها وله مركز مهم وحساس... أنه بعد ظهر 21 آذار استلم مستشفى ماركا العسكري 27 مصاباً بجروح كان من الواضح أنها بسبب الاشتباك المتلاحم بالسلاح الأبيض.

وعلق سيمونز على ذلك بأن هذا يعطي مصداقية للدرجة التي وصل إليها القتال في (الكرامة)... ويلقي بالشك على الأرقام الرسمية للمصابين،

(1) Simon Repor FCO 17/633 p 4 and p7

ولكن سيمونز لم يبين فيما إذا كان هؤلاء القتلى والجرحى هم فقط من الجيش الأردني... أم أن هناك فدائيين وربما مدنيين من بينهم. وذكر سيمونز أنه قد تم تدمير 10 دبابات أردنية و 10 مركبات مختلفة ومدفعين... كما استشهد بين 10 إلى 12 مدنياً في شمال البحر الميت (أشار مدير المخابرات الأردنية إلى احتمال وجود قتلى آخرين في (الكرامة) وأن هناك 7 شهداء جنوبي البحر الميت[1].

أما الخسائر الإسرائيلية؛ فينقل سيمونز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية قوله... أن معظم الإصابات الإسرائيلية حدثت حتى الساعة العاشرة صباحا، وأن الأردنيين التقطوا رسالة إسرائيلية تقول أن لديهم 73 قتيلاً، وكثيرين آخرين من الجرحى...

وبناء على ذلك قال ان مجموع الإصابات الإسرائيلية هو حوالي 150 – 200، وأضاف مدير المخابرات العسكرية أنه تم إصابة 45 دبابة إسرائيلية، و25 عربة مجنزرة و27 عربة أخرى... وأنه ظلت بقايا 17 عربة في شرقي الأردن...

ولاحظ سيمونز أن الإسرائيليين قاموا بعمل هائل لسحب معداتهم، وأضاف... أن السلطات الأردنية قالت أنها أسقطت ثلاث طائرات ميستير بين 9.00 – 9.30 صباحا، وطائرتين أخرتين غير محددتين بعد الساعة الخامسة مساء[2].

أما الملحق العسكري في تل أبيب فيقول: إن الإسرائيليين خسروا 21 قتيلاً و70 جريحاً مات ثلاثة منهم بعد ذلك، وتركوا وراءهم (في شرق الأردن) أربع دبابات على الأقل وعربتين نصف مجنزرتين، وأضاف أن الإسرائيليين يدَّعون أنهم قتلوا 180 فدائياً من فتح تقريباً، وقبضوا على 130، اعترف 90 منهم أنهم من فتح، وأنه تم تدمير مخازن ومعدات للفدائيين في الكرامة[3]...

---

(1) Report of the British Defence Attache Tel Aviv. p2
(2) O 17/633. Simons Report. p.5 and p.7
(3) FCO 17/633. Simons Report. p.4

وقد علق السفير البريطاني في عمان على تقديرات إسرائيل للإصابات الأردنية فيقول: يظهر أنها مبالغ فيها جداً، وأن تقديم تقرير دقيق هو مستحيل الآن... ولكن المجموع يقدر بأربعين قتيلاً، و 70 جريحاً في الكرامة، و 7 قتلى، وعدد غير معروف من الجرحى في التقاطع الجنوبي، وأن معظم الإصابات كانت في أفراد الجيش الأردني[1].

إن اللافت للنظر في تقرير سيمونز المفصل عن المعركة... أن الفدائيين كانوا غائبين عن تفصيلاته لسير المعركة، ولم يتطرق إلى مقاومتهم ولا إلى تقديراته هو لأسلحتهم وأعدادهم... كما لم يتطرق إلى أعداد شهدائهم وخسائرهم !! بالرغم من اعترافه منذ البداية أنه كان أساساً هدف الهجوم الإسرائيلي، كما أشار إلى الشعبية الهائلة التي حصلوا عليها بعد المعركة... وليس لدينا تفسير أكيد لغياب هذه التفصيلات عن تقريره... ولكن ربما عاد الأمر إلى ضحالة معلوماته أو عدم وجود مصادر معلومات خاصة له في أوساط الفدائيين، وأنه فضل كتابة المعلومات المباشرة التي استقاها بنفسه من مصادره المختلفة.

في الوثائق البريطانية المحفوظة هناك برقيتان من السفارة البريطانية في تل أبيب نقلتا تصريحين لناطق باسم الجيش الإسرائيلي في أثناء الهجوم الإسرائيلي... يشير التصريح الأول للناطق العسكري إلى أن... القوات الإسرائيلية دمرت مراكز الشرطة في دفال والصافي والسيسي، ودمرت قواعد الفدائيين في الصافي ووادي الحسا «46»، وأن أجزاء من القوات عادت والباقي في طريقه للعودة... وأنه قتل 150 فدائياً، ولحقت خسائر كبيرة بالجيش الأردني، ودمرت 15 دبابة على الأقل، وتم الاستيلاء على اثنتين، وأنه تم إصابة كثير من قطع المدفعية الأردنية، واعترف (حتى ساعة تصريحه) بمقتل 15 وجرح 70 إسرائيلياً، وإصابة 6 عربات مجنزرة، وإسقاط طائرة إسرائيلية واحدة[2].

(1) FCO 17/633. Simons Report. pp. 5-6
(2) FCO 17/ 633. Simons Report. pp. 6-7

لا مجال هنا لمناقشة تفصيلات المعركة وخسائر الأطراف من وجهة نظر الأردن أو المقاومة الفلسطينية، غير أننا - استكمالاً للصورة والمقارنة - نشير باختصار إلى أن هناك شبه إجماع على أن القوات الإسرائيلية كانت مكونة من 4 ألوية وكانت بحدود 15 ألف جندي، وأن الفدائيين الذين قاتلوا كانوا نحو 500 فدائي...

أما القوات الأردنية التي واجهت الهجوم فكانت فرقة عسكرية مكونة من ثلاثة ألوية (من 5 - 6 آلاف) بقيادة مشهور حديثة الجازي، وقد تولى المجاهد (ياسر عرفات) أبو عمار بنفسه قيادة الفدائيين وإلى جانبه أبو إياد وفاروق القدومي وأبو صبري، وقد نصحت القيادة العسكرية الأردنية فتح بالانسحاب، لأن طبيعة حرب العصابات التي يخوضونها لا تحتمل مواجهة جيش نظامي، غير أن قيادة فتح قررت ما أسمته (الصمود الواعي) خصوصاً بعد حالة الإحباط والهزيمة التي تلت حرب 1967م، ولذلك هدفت فتح إلى تحقيق عدة أهداف أبرزها... رفع معنويات الجماهير - وتحطيم معنويات العدو وقهر أسطورته بأنه جيش لا يقهر - وزيادة الثقة والتقارب مع الجيش الأردني - وتنميه القوى الثورية داخل الجيش العربي - واختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في المعارك الحاسمة...

وتشير هذه الأدبيات إلى حالة الصمود والتضحية المتميزة في صفوف الفدائيين والجيش والى روحهم المعنوية العالية، والى مدى الخسائر الكبيرة والإرباك الذي أصاب القوات الإسرائيلية، بحيث أصبحت معركة الكرامة أقرب إلى ملحمة أسطورية ألهبت حماس الجماهير التي أقبلت بعشرات الآلاف على التطوع في صفوف الثورة.

وفضلاً عن الاختلاف الكبير في تقديرات الطرفين الإسرائيلي والعربي... لخسائرهما... فإنا نجد أن المصادر العربية نفسها تعطي أرقاماً متضاربة بحيث يحتاج فك ألغازها إلى دراسة خاصة !! ونحيل القارئ الكريم إلى الهامش التالي الذي ذكرنا فيه بعض الروايات، ونميل وفق مجمل المعطيات إلى أن شهداء الفدائيين كانوا مئة، وشهداء الجيش

الأردني كانوا نحو ستين... وحوالي ستين آخرين من الجرحى، ولعل قتلى الإسرائيليين كانوا 70 تقريباً، وجرحاهم حوالي مئة[1].

وقد حمل السفير البريطاني في تل أبيب على ما سماه مبالغة بيانات المقاومة الفلسطينية في ذكر عدد الإصابات الإسرائيلية، وقد كتب رسالة موثقة بهذا الشأن إلى الخارجية البريطانية وأرفقها بجدول (Annex A) يقارن بين ما يعلنه الطرفان الفلسطيني والإسرائيلي عن العمليات ونتائجها، وقد أشار إلى أن الفلسطينيين أعلنوا في معركة الكرامة عن مقتل 315 إسرائيلياً (بينهم 15 قتلوا في أثناء الانسحاب) وجرح 400 إسرائيلي آخرين، وأنه قد استشهد أو فُقد أو جُرح 25 من فتح، واستشهد 23 من قوات (التحرير الشعبية).

أما الإسرائيليون فأعلنوا عن مقتل 150 فلسطينياً، ثم ادعوا بعد ذلك 200 – 250، والقبض على 130 – 150 آخرين، وقد مال «هادو» إلى قرب الأرقام الإسرائيلية إلى الدقة[2].

ثالثاً: نتائج معركة الكرامة:

ربما لا يستشعر القارئ العادي نتائج كبيرة متوقعة من هذه المعركة، التي استمرت 15 ساعة فقط، وخسائر الطرفين في القتلى والجرحى والمعدات ظلت في حدود معقولة بشكل لا يؤثر جوهرياً على الوضع العسكري للطرفين، كما لم تحتل أو تتحرر أية أرض جديدة، ولكن لعل أهمية هذه المعركة تكمن في أن الطرف العربي صمد ولم يهزم، وأفشل الهجوم الإسرائيلي وليس بالضرورة أنه أحدث قدراً أكبر من الخسائر في الطرف الإسرائيلي...

---

(1) انظر تقرير وزارة الدفاع الانجليزية FCO 17/633. Report oF the British Defence Attache in Tel Aviv. p.3

(2) FCO 17/633. Tel. no. 240. Adams to F.O. Immediate Conhdential. 23 March 1968 CO 17/633. Tel. no. 372. Hadow to F.O Immediate. 21 March FCO 17/633. Tel. no. 376 Hadow to F.O. Immediate.21 March 1968

لقد أحدثت حرب 1967م وما نتج عنها من تمكن الكيان الصهيوني من التوسع بثلاثة أمثال حجمه السابق خلال بضعة أيام، شعوراً بالمهانة والمرارة والإحباط في الوسط العربي، وعندما حدثت معركة الكرامة كانت قفزة نوعية في الأداء العربي، فكانت بمثابة بارقة الأمل التي تجددت في نفوس العرب، كما فتحت آفاقاً رحبة للعمل الفدائي الفلسطيني، الذي أثبت كفاءته وقدرته في مواجهة العدوان الإسرائيلي مما أكسبه أرضية صلبة، فاندفع عشرات الآلاف للانضمام إلى صفوفه.

نتائج معركة الكرامة بالأرقام:

الفدائيون	شهداء حركة فتح 74 شهيداً[1] شهداء قوات التحرير الشعبية 27 شهيداً	100 جريح من الأهالي والفدائيين	- أسر 130 من الأهالي وفدائيين - تدمير مخازن ومعدات في الكرامة منها تدمير 200 بيت
الجيش الأردني[2]	87 شهيداً بينهم 6 ضباط	108 جرحى بينهم 12 ضابط	-تدمير 13 دبابة -إعطاب 39 آلية
إسرائيل[3]	250 قتيل	أكثر من 450 جريح في أقل من 18 ساعة	- تدمير 88 آلية و 27 دبابة - تدمير 24 سيارة مسلحة - تدمير 18 ناقلة جند - تدمير 19 سيارة شحن - إسقاط 7 طائرات

(1) منذ انطلاقة حركة فتح عام 1965 لغاية عام 1970م لم تكن فتح تعتمد الرتب العسكرية لقادتها العسكريين وكان التسلسل فيها يسمى بخلية أو كادر ومعظم شهداء حركة فتح في معركة الكرامة كانوا كوادر وطلاب جامعات.

(2) خسائر الجيش الأردني نقلاً عن موقع القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية – معارك الشرف والبطولة – معركة الكرامة 1968م.

(3) خسائر قوات العدو نقلا مقال بعنوان جهنم في الكرامة للكاتب الإسرائيلي أفيتار بن تسيدف نشرها في مدونته الالكترونية «غلوبال ريبورت» تداولها الكثير من المدونات والمواقع الالكترونية الاسرائيلية لما فيها من اعتراف واضح وصريح بأول هزيمة عسكرية يتذوقها الاسرائيليون منذ اغتصابهم لفلسطين عام 1948م. (المصدر أيمن الحنيطي، «معركة الكرامة الخالدة: جهنم في عيون الإسرائيليين»، وكالة الانباء الأردنية (بترا)، 2013/3/20م).

أ – الانعكاسات على العمل الفدائي الفلسطيني:

كان العمل الفدائي الفلسطيني - وخصوصا فتح - هو أكثر المستفيدين من معركة الكرامة، فبعد يومين من المعركة ارسل السفير البريطاني في عمان آدمز برقية إلى الخارجية يؤكد فيها أن الهجوم الإسرائيلي على (الكرامة) «كان له تأثير معاكس تماماً للأهداف الإسرائيلية»...

وأضاف ان الرأي العام لا يعد الهجوم الإسرائيلي هزيمة ل«فتح» أو للجيش الأردني... وان فتح والجيش قد صار لهما قضية مشتركة من خلال المعركة... وهذا قوّى من مكانة فتح وزاد من دعم الجيش لها، كما ان الدعم الشعبي ل«فتح» وللجيش ظهر واضحا بمشاركة جمهور ضخم جدا في تشييع جنائز الشهداء يوم 22 آذار 1968م...

وقال إن فتح تشارك الآن بشكل علني في السيطرة على قاطع (الكرامة) في وادي الأردن، وإن أعضاءها ظاهرون للعيان في عمان، وأن نجم فتح...«آخذ الآن في الصعود في الأردن»«48»... وسخر الملحق العسكري البريطاني في عمان «سيمونز»... من إدعاء نائب مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية... أن هدف الهجوم قد تحقق وأنه قد تم ضرب «فتح» بقوة... وأن القيادة الحالية قد صدمت بعنف...

وقال سيمونز... أنه ليس هناك شيء أبعد عن الحقيقة من هذا... وانه نتيجة لهذه المعركة فإن فتح تدّعي ويدعمها الرأي العام... أنهم من خلال قتالهم جنباً إلى جنب مع الجيش الأردني كانوا مسؤولين عن هزيمة الإسرائيليين...

وقال إنه من الملاحظ جداً منذ 21 آذار أن «فتح» تستعرض قوتها بشكل علني وبكامل سلاحها في شوارع عمان، ويحصل عناصرها على قص شعر وحلاقة مجانية... وبعكس ما اعتقده الإسرائيليون قبل ذلك... فإن هذا لم يحدث من قبل...

وأضاف سيمونز: «إنه من خلال استطلاعنا لوادي الأردن كان من الواضح أن (فتح) تتعاون بشكل علني مع الشرطة - بدعم الجيش - وفي

الحقيقة فإن فتح لا تزال موجودة في (الكرامة) بأعداد كبيرة وتتولى السيطرة»[1].

ولم تخل لهجة السفير البريطاني في عمان في وصفه للنفوذ الذي أخذ يتمتع به الفدائيون من نوع من التحريض ضدهم بحجة الخشية على نظام الحكم القائم هناك... ففي برقية أرسلها في 28 مارس 1968م قال: «إن الوضع هنا أصبح محرجاً؛ إن الفدائيين يوسعون سلطتهم غير القانونية في تحد للحكومة... ويهددون بأن يكونوا حكومة داخل حكومة»[2].

لكن السفير آدمز... اعترف أن الرأي العام يقف إلى جانب الفدائيين... وقال في رسالة أخرى في 2 أبريل 1968م: «أن الملك حسين وإدارته الذين حاولوا خلال الأسابيع الماضية الظهور بشكل متعاطف مع الفدائيين، دون استفزاز إسرائيل بالظهور بشكل علني داعمين للفدائيين، قد وجدوا أن الرأي العام يطلب منهم موقفاً أكثر إيجابية تجاه هؤلاء الأبطال الشعبيين»[3].

وقد علل آدمز تغير الرأي العام بسرعة إلى جانب الفدائيين بأمرين، الأول: أن الناس بشكل عام ساخطون لعدم حصول تقدم باتجاه تسوية سلمية... وما دام الإسرائيليون يرفضون بإصرار قرار الأمم المتحدة الصادر في 22 نوفمبر 1967م (قرار مجلس الأمن 242) بشكل لا لبس فيه فإن الطريق مغلق، وان رحلات مندوب الأمم المتحدة «يارنج» قد أصبحت في أعين الأردنيين أقرب إلى ان تكون سخيفة مثيرة للسخرية.

والأمر الثاني: أن الهجمات الإسرائيلية على وادي الأردن قد أرهبت السكان المدنيين فغادروا بأعداد كبيرة، مما سهل على المجموعات الفدائية السيطرة على مساحات واسعة من وادي الأردن.

---

(1) انظر مثلاً عن الانعكاسات الايجابية لمعركة الكرامة في المصادر العربية: فلسطيني بلا هوية، ص97، والموسوعة الفلسطينية ج3 ص638، والمسار الصعب ص42.

(2) FCO 17/633. Tel. no. 241. Adams to F.O. Confidential Immdeiate 23 March 1968

(3) FCO 17/633 Simpons Report p8

وأشار آدمز... إلى قدرات الفدائيين المتميزة في المجالات الإعلامية، فقال: «إن الفدائيين... تمكنوا بذكاء من جني مكاسب شعبية إثر عملية 21 مارس»، ولاحظ آدمز أن الفدائيين مدعومون بفعالية في علاقاتهم العامة عبر متحدثين باسمهم في بيروت وخارج الأردن[1].

وعلى أي حال فإن هذا التحليل بالرغم من أنه لا يخلوا من جوانب صحيحة لم يلمس جوهر إعجاب الناس بالعمل الفدائي، والمتمثل أساساً في ريادة هذا العمل للمقاومة المسلحة بعد حرب 1967، والتضحيات والصمود والبطولات التي أبدوها في أثناء المعركة، والآمال التي بعثوها في جو قاتم محبط.

يرى آدمز في رسالته (بعد 11 يوماً من المعركة)... أنه «في الوقت الحالي فإن الفدائيين (وهذا ربما يعني عمليا فتح)... هم القوة الفعالة (الديناميكية) في الصراع العربي الإسرائيلي، وبالنظر إلى أن الدول العربية لا تستطيع توجيه قواتها بفعالية ضد إسرائيل، فربما كان على «فتح» أن تحمل شعلة النضال العربي ضد إسرائيل... ولعل هذا يعد شهادة كبيرة من هذا السفير لصالح «فتح»... «.

ولكن آدمز استدرك قائلاً: إنه يجب عدم استبعاد ان يكون الفدائيون عرضة للضعف العربي المعتاد من «عدم الوحدة... ومن الميل إلى تدمير الذات» !!

ويرى آدمز أن الأرض الخصبة للتوالد في مخيمات اللاجئين... يمكن ان يتوقع منها أن تنتج عدداً ضخماً من الفلسطينيين الغاضبين اليائسين دون أي شيء يخسرونه، والذين تعرض عليهم «فتح» مخرجاً من الضجر الذي يضعف المعنويات وبعض الأمل... حتى لو كان باهتا بتحرير الأرض العربية[2].

---

(1) FCO 17/635. tel. no. 271. Adams to F.O. Immdeiate Secret 28 March 1968

(2) FCO 17/222. Desatch. The Fedayeen. Adams to A.R. moore Confidential 2 April 1968

لمس موظفو السفارة البريطانية بأنفسهم تصاعد النفوذ الفدائي، فقد أشار أحد كبار موظفيها في برقية إلى الخارجية في 25 مارس 1968م، إلى أنه تم إيقافه في حاجز فدائي عندما حاول في اليوم السابق الذهاب إلى وادي الأردن، وأن الفدائي الذي أوقفه كان يلبس لباساً أنيقاً زيتونياً... وأنه كان من الواضح أنه ذو شعبية بين السكان المحليين، بما فيهم الشرطة والجيش، في المكان الذي كان فيه ذلك الحاجز[1]. وأرسل الموظف نفسه بعد ذلك بأسبوع رسالة إلى الخارجية البريطانية... لاحظ فيها ان عملية جمع الأموال من الأردنيين لصالح العمل الفدائي تتم بصورة منظمة جداً[2].

وحتى أواخر سبتمبر 1968م كان آدمز لا يزال على اقتناعه بالمكاسب التي جنتها «فتح» نتيجة معركة (الكرامة) والغارات الإسرائيلية الانتقامية، وأكد أنه «منذ حرب يونيو 1967 أصبحت «فتح» هي الأكثر شهرة وسحراً وشعبية بين المنظمات الفدائية»... ولم يتردد آدمز في القول أنه... «في الحقيقة فإن الفدائيين - لأول مرة منذ عشرين عاماً من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي - قد حصلوا على وضع في الأردن مكّنهم من تحقيق دعم شعبي عظيم...

ولم يتورع آدمز عن استنتاج يحمل معنى تحريضياً ضدهم، فقال... ولذلك لا يمكن للسلطات الأردنية أن تضعهم تحت السيطرة...

ولم يقف الحديث عن انعكاسات معركة (الكرامة) على العمل الفدائي عند السفير البريطاني في عمان وموظفيه، وإنما نجد تعليقات مهمة عليها أيضاً للسفير البريطاني في تل أبيب هادو، ففي تقريره عن معركة (الكرامة)...

قال: «بينما انتقد قليل من الإسرائيليين قرار الهجوم على قواعد (الإرهابيين) الفدائيين فإن هناك إدراكا متنامياً أنه مهما كان النجاح العسكري، فقد كان لها نتائج خطيرة معاكسة على المستوى السياسي، إن

(1) FCO 17/222. Adams to A.R. moore. 2 April 1968
(2) FCO 17/222 Adams to A.R. moore 2 April 1968

النكسة الإسرائيلية الظاهرة قد عززت من الروح القتالية العربية، وأضعفت صورة الجندي الإسرائيلي الذي لا يقهر... ولم يتم سحق (الإرهابيين) الفدائيين أو إرعابهم لدرجة توقف عملهم... بل على العكس.

فكل التقارير تقول أنهم عادوا بقوة إلى معسكراتهم، وهم أكثر ثقة من قبل... أصبحوا أبطالاً شعبيين... وتلقت حملة التجنيد التي يقومون بها زخماً جديداً... وبدلاً من ضرب اسفين بين الجيش و(الإرهابيين) الفدائيين فإن العملية قد جمعتهم معاً رفاق سلاح».

وقال: إن على الإسرائيليين أن يتوقعوا تصاعداً في العمليات الفدائية، ويجب أن يكونوا قلقين من احتمالات أن «حالة الانتعاش السائدة في الأردن ستنتقل إلى الضفة الغربية، وتجعل الظروف أكثر مناسبة لتحقيق هدف «فتح» الرئيس - الذي لم تتخل عنه أبداً - وهو تصعيد ثورة شعبية ضد قوات الاحتلال[1]... وفي اليوم التالي لإرسال هادو هذا التقرير... أرسل برقية إلى الخارجية البريطانية قال فيها: «إن (فتح) تتمتع بدعم شامل تقريبا في الأردن»[2].

ولم يختلف الموقف الأمريكي عن الموقف البريطاني في استيعاب الفوائد العظيمة التي جناها العمل الفدائي الفلسطيني في معركة (الكرامة) فقد علق باتل (وهو مسؤول كبير في الخارجية الأمريكية)... عندما ذكرت له ملاحظات آدمز في برقيته التي أرسلها في 28 مارس إلى الخارجية البريطانية... بأنه يوافق على أن الحالة أصبحت حرجة في الأردن، وأن وصف الوضع فيه بأنه... «حكومة داخل حكومة» هو وصف دقيق... وأن الهجوم الإسرائيلي في 21 مارس لم يؤد إلى ضعف الفدائيين في عيون العرب الآخرين، ونتيجة لذلك ازدادوا قوة... وازدادوا وحدة... وازدادت صعوبة السيطرة عليهم[3].

---

(1) FCO. 17/222. Tel. D.G. Crawford. Amman to M.E. Daly
(2) CO. 17/222. Letter. Crawford. Amman. To J.C. Mobely F.O. 2 April 1968
(3) 17/633 Hadow Report on the:arama Raid p.4

ب – الانعكاسات على الأردن:

عندما نحاول استخلاص رؤية الوثائق التي بين أيدينا - لنتائج معركة (الكرامة) على الأردن نجد أن التركيز ينصب أساساً على انه سرى اعتقاد في أوساط الحكم والجيش أن الهجوم الإسرائيلي لم يكن يستهدف الفدائيين فقط، وإنما كانت له أهداف أوسع كإحتلال الأرض، ولذلك ارتفعت معنويات الجيش الأردني عالياً لأنهم اعتقدوا أنهم أفشلوا الخطة الإسرائيلية في احتلال جزء من أرض شرق الأردن... وهو ما أكده بعد ذلك مشهور حديثة في مقابلة تلفزيونية[1].

وقد نقلت الوثائق برقية من عمان حول المؤتمر الصحفي الذي عقده الملك حسين في 23 مارس 1968 والذي بدا فيه «في مزاج واثق مرح» على حد تعبير البرقية، كما ظهرت القوة والحزم في نبرات حديثه... إذ قال إن الأردنيين لن يسلموا أرضهم... هنا نعيش بكرامة... وهنا نموت...

وأضاف الملك أن الأردن لا يمكن أن يتحمل مسؤولية أمن القوات الإسرائيلية التي تحتل أرضاً أردنية، وذكر أن كل الناس شاركوا بقوة في معركة (الكرامة) وكان من الصعب التفريق بين الفدائيين وغيرهم...

وعلّق الملك بأن الأمور قد تصل إلى أن الأردنيين كلهم سوف يصبحون قريباً فدائيين[2].

يبدو أن الهجوم الإسرائيلي قد دفع الحكم في الأردن باتجاه أكثر تشدداً، وربما - في الوقت نفسه - إلى حالة أكثر قلقاً على التداعيات المستقبلية، فقد أشارت الوثائق إلى تحطم أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر، وأن الجيش والشعب في الأردن قد تجددت روحهم المعنوية... كما أشارت إلى انخفاض أعداد «المعتدلين» للسعي إلى تسوية سلمية، وفي مقابل ازدياد واضح في أعداد مؤيدي فكرة استخدام القوة العسكرية، وأنه -

(1) 17/635. Tel. no. 439 Hadow to F.O Secret. pointy.29

(2) CO 17/635 Tel. No. 1082. Sir.P. Deon Washington to F.O.Immdeiate 111 Confidential. 29 March 1968

حسب تعبير آدمز - فإن المعتدلين الأردنيين سيكون من شبه المؤكد أنهم الآن خائفون من التحدث تأييداً لمفاوضات تسوية مع إسرائيل.

من جهة أخرى كانت السلطات الأردنية تدرك مخاطر هجوم إسرائيلي أضخم من هجوم الكرامة... أو احتمالات احتلال أجزاء من شرق الأردن بحيث تكون موضوعاً للمساومة على تسوية سلمية أو إيقاف العمل الفدائي... وذلك في وضع عربي لم يتعاف بعد من هزيمة 1967، وتختل فيه موازين القوى لصالح إسرائيل بدرجة عظيمة... ولذلك سعى الملك حسين إلى شد أزر الأردن عربياً ودولياً... فدعا في أثناء الهجوم الإسرائيلي يوم 21 مارس 1968 إلى انعقاد مؤتمر قمة عربي طارئ[1]. وهو ما لقي تأييداً من عدد من الدول العربية وترددا أو تجاهلاً من دول أخرى[2].

إن الأردن يجد صعوبة كبرى في تعويض أسلحته التي خسرها في حرب 1967 لعدم وجود المال... وقال إن الملك دعا لاجتماع قمة عربي جديد لشرح معاناة الأردن المالية، حيث يأمل في الاستجابة لذلك...

كما أن الملك... مدح الفدائيين وبطولتهم، واقترح على الدول العربية الأخرى أن تسمح للفدائيين بالمرور عبر أراضيها، حتى يتم تخفيف المسؤولية الثقيلة عن الأردن، لكونها دائماً عرضة للعدوان الإسرائيلي[3].

توقع الملك هجمات إسرائيلية جديدة وأكد ذلك مسؤولون أردنيون قالوا: إن إسرائيل قد تضرب أهدافاً مدنية مثل عمان أو المصفاة في الزرقاء...

وقال إن الهجوم الإسرائيلي على (الكرامة) قد جعل من شبه المؤكد أمر النظر في الدخول في المفاوضات أكثر صعوبة على الملك... إلا إذا

(1) CO 17/633 Simons Report. p.8 and Tel. nop. 246. Adams to F.O. Immdeiate Confidential 24 March 1968

(2) مشهور حديثة - مقابلة مع قناة الجزيرة 1 يوليو 1999.

(3) FCO 17/633 Tel. no. 246 Adams to F.O. Immdeiate 24 March 1968

حصل على دعم صادق مخلص ومعلن من مصر على الأقل... وربما من الدول العربية الأخرى...

ولكن آدمز لم يكن متفائلاً بأن مؤتمر القمة العربي القادم سوف يدعم المعتدلين بالدرجة نفسها التي حدثت في مؤتمر الخرطوم في أغسطس 1967[1].

ونقل آدمز عن الملك... أن كل الدول العربية سوف تضع أوراقها على الطاولة، بما في ذلك الدول التي تقدم دعماً مادياً للفدائيين، وانه يجب الخروج بنتيجة...

وقال آدمز أن الملك لم يحدد النتيجة، لكن كان انطباع آدمز أن الملك يأمل أن يشارك الآخرون بتخفيف ثقل المسؤولية عن كاهله تجاه أولئك «الوطنيين المتحمسين المزعجين»[2].

وحسبما أورد آدمز... فإن الملك حسين توقع قيام إسرائيل بهجوم أعنف، وقد أخبره الملك - كما -خبر الملك السفير الأمريكي بشكل منفصل - أن... هجوماً آخر ربما يكون نهاية الأردن...

ورأى أن الأردنيين ربما يكونون معذورين في أن يظنوا أن نية إسرائيل الحقيقية ليست في التخلص من الفدائيين فقط... ولكن في إسقاط النظام الهاشمي... خصوصاً وأن الهجمات الإسرائيلية الكثيفة لإزالة ما يشتبه في أنه قواعد للفدائيين شرقي الأردن... لا ينسجم مع ادعاءات إسرائيل الواثقة بأنها وضعت العمل الفدائي في الضفة الغربية تحت السيطرة...

(1) FCO 17/633 Tel. no. 241. Adams to F.O. Immdeiate Confidential. 23 March 1968

(2) FCO 17/633. Tel. no 241. Adams to F.O. 21 March 1968

وقال إنه إذا كان هذا هو نية إسرائيل الحقيقية فيجب أن يعلموا بما لا يدع مجالاً للشك أنهم يحدثون ضرراً عظيماً بأصدقائهم الغربيين، ولذلك نصح بإرسال رسالة عاجلة من أعلى المستويات في بريطانيا إلى إسرائيل لحثها على عدم القيام بهجوم آخر[1].

ويبدو أن برقية آدمز قد لقيت اهتماماً خاصاً في الخارجية في لندن وفي سفارتها في واشنطن وتل أبيب، كما سنلاحظ في الصفحات التالية عند الحديث عن الانعكاسات الدولية للمعركة.

في 2 أبريل 1968 أرسل آدمز رسالة إلى الخارجية البريطانية خصصها للحديث عن الفدائيين وعلاقتهم بنظام الحكم في الأردن وانعكاسات معركة (الكرامة) على تلك العلاقة...

وأشار آدمز إلى أنه لا يوجد صراع علني بين الفدائيين والسلطات، حيث ان السلطات حريصة على تجنب المواجهة، وقال أن مدير الأمن العام بذل جهداً عظيماً لطمأنتنا بأن الوضع تحت سيطرة قواته تمام... بالرغم من ان ذلك يمكن ان يكذّب إلى حد ما بناء على المعلومات التي تتلقاها السفارة...

وأكد آدمز ان الملك سيسعى في مؤتمر القمة العربي إلى تخفيف العبْ عن الأردن، من خلال الوصول إلى اتفاقية تجعل عمليات الفدائيين منسقة، وتحت شكل من أشكال التوجيه أو التحكم، وبحيث تشارك في المسؤولية مصر وسوريا والدول العربية الأخرى...

وقال آدمز إنه لا توجد دولة يمكن أن تتسامح بوجود قوة عسكرية موازية تعمل على أرضها... دون أن تكون تحت سيطرتها، لكنه أضاف إن الملك حسين... مهما كان يتمنى أن يبقيهم تحت سيطرة قواته العسكرية، لكنه أضاف أن الملك يعتقد أنه يمكن أن يفعل ذلك... على حد تعبيره...

ولم يتردد آدمز في أن يختم رسالته بجملة تحريضية متشائمة قائلاً... الخروج على القانون والعنف وعدم احترام السلطة يظهر أنها كلها

---

(1) 1968 FCO 17/222.Tel. no. 260 Adams to F.O. Priornt

في تزايد، وهي بالطبع على بعد خطوة بسيطة للانتقال من الدفاع عن العنف ضد إسرائيل إلى استخدام الوسائل نفسها لتحقيق تغييرات محلية هنا[1].

يظهر أن تقييم آدمز للوضع وللعلاقة مع الفدائيين والحكم في الأردن لم يتغير في الأشهر التالية... بل ازداد وضوحاً... ففي 26 سبتمبر 1968 كتب تقريراً حول الفدائيين في الأردن جاء فيه... في مقابل عدم قدرة الفدائيين على تشكيل خطر على دولة إسرائيل... فإن الفدائيين قادرون على تحقيق درجة كبيرة من التأثير على الوضع في الأردن...

ج – الانعكاسات على الكيان الإسرائيلي:

لاحظنا أن الهجوم الإسرائيلي على (الكرامة) قد حقق نتائج معاكسة تماماً للأهداف التي وضعها... بغض النظر عن الجدال حول حجم الإصابات والخسائر في الطرفين...

وقد علق الملحق العسكري في تل أبيب بأنه بالرغم من التقييمات المتألقة للهجوم في الصحافة والراديو الإسرائيلي فإنها لم تحقق ما كانوا يأملونه، وقال إن كلمات نائب مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية الشجاعة أنهم يعلمون أنها ستكون عملية صعبة ومكلفة... وأنهم مستعدون لذلك... قد غطت درجة من سوء التقدير...

وأضاف... أن الإسرائيليين... لسبب غير قابل للتعليل... قد ظنوا أن مقاومة الأردنيين ستكون رمزية، وقال إنه لا يستطيع أن يتخيل ما الذي جعل الإسرائيليين يفكرون وفق هذه الأسس، وقال إن الأمور سارت على غير ما أراده الإسرائيليون، وأن انسحاب قواتهم تأخر أربع ساعات

(1) FCO 17/633 Tel. no. 241. Adams to F.O. Immediate Confidential. 23 march 1968. and Tel. no. 246 Adams to F.O. Immediate. 24March 1968

ونصف... وأن خسائرهم كانت كبيرة... وأنهم لم يتوقعوا أن يدفعوا هذا الثمن الغالي[1].

علّق أحد كبار مسؤولي الخارجية الأمريكية على الهجوم الإسرائيلي بأنه يشعر أن الإسرائيليين يعيشون حالة من الحيرة والشك، وأن هناك تساؤلات واسعة في إسرائيل حول مغزى هجوم 21 مارس ومدى نجاحه، وقال إنه مقتنع أن الإسرائيليين سيردون بشكل ما على هجمات «فتح»... ولكنه غير متأكد البتة من نوع الرد الذي سيختارونه...

وحسب رأيه ففي أسوأ الأحوال ربما يجتازون الحدود ويسيطرون على منطقة في شرقي الأردن، وفي أحسنها ربما يلجؤون إلى الأمم المتحدة... لكن المسؤول العسكري رجح الرد العسكري[2].

لاحظ «هادو» السفير البريطاني في تل أبيب ان هجوم (الكرامة) كان نموذجاً لضعف التنسيق بين مختلف أجزاء الأداة الحكومية الإسرائيلية، وعلى الدور المسيطر لوزارة الدفاع في مثل هذه الحالة... فالعملية تمت بالرغم من أن هناك دلائل أكيدة على أن السلطات الأردنية تأخذ الآن مسألة (فتح) بشكل جدي، وان هناك شائعات من الإسرائيليين أنفسهم مفادها أن الملك حسين ينوي إقالة بهجت التلهوني... ثم انهم قاموا بالعملية في يوم وصول مبعوث الأمم المتحدة جونار يارنج إلى القدس[3].

تحدث «هادو» مع أبا ايبان وزير الخارجية الإسرائيلي بعد ثلاثة أيام من الهجوم مبيناً له الخسائر السياسية التي لحقت بالإسرائيليين، وقد ردّ أبا ايبان بشكل فلسفي قائلاً: أنه في حالة التعامل مع العرب، فإن

(1) FCO 17/635. Tel. no. 271. Adams to F.O. Immediate. Secret. 28 March 1968

(2) FCO. 17/635. Tel. no. 271. Adams to F.O. 28 March 1968

(3) FCO. 17/633. Report of the Britsh

الأفضل دائماً هو ترك الغبار ينجلي قليلاً قبل إعطاء تقييم حول النتائج الحقيقية للوضع[1].

يبدو أن الإسرائيليين حاولوا تبرير النتائج غير المرضية للمعركة بانتقاد القيادات السياسية التي ذكروا أنها وضعت قيوداً في تخطيط العملية وتنفيذها... وأنها تعمّدت التخلي عن عنصر المفاجأة، وأنها حصرت القوات الإسرائيلية بعملية محدودة، ووفق قيود صارمة بألا تشتبك مع القوات الأردنية إلا دفاعاً عن النفس، وتجنب الأضرار بحياة المدنيين وممتلكاتهم[2]. وهي تبريرات يصعب قبولها في ضوء قيام إسرائيل بنحو 450 غارة طيران على المواقع الأردنية، والتدمير المنظم لقرية الكرامة وقتل عشرات المدنيين.

وتبعا لما يقوله هادو فإن المعركة وما حملته من نتائج عززت تيار الصقور في الأوساط الإسرائيلية، على حين تأثر الحمائم الذين يؤيدون أخذ الرأي العام الدولي بالاعتبار، وقال هادو... إن الإسرائيليين - على الأغلب - سوف يفضلون انتظار حدوث عملية فدائية كبيرة تثير غضبهم، وذلك للقيام بهجوم واسع على قواعد الفدائيين شرقي الأردن.

وأضاف أن هذا يناسب القادة العسكريون الإسرائيليون الذين يشعرون انهم حرموا من النجاح الكامل في (الكرامة) بسبب السياسيين، وأنهم في المرة القادمة سوف يصرون على وجوب تحييد مواقع الجيش الأردني على التلال شرقي الوادي، وعلى الإبقاء على احتلال كل المنطقة، بما يكفي لتطهيرها تماماً من الإرهابيين...

وأنه إذا ما كان ضرورياً... فإنه لن يعجزوا عن استكمال الطريق إلى نهايته بالذهاب إلى عمان[3]. على حد تعبيرهم... وهذا يدعم تخوفات

---

(1) 5 Tel. no.1082. p. Washington to F.O. Immediate Confidential 20 March 1968. FCO. 17/633 Tel. no. 277. Hadow to F.O. Immediate Confidential 21 march 1968

(2) FCO. 17/633. Tel. no. 391. Hadow to F.C. Confidentialm 24 March 123 1968

(3) FCO. 17/633 Hadow on The Karama Raid. Pp. 4-5

الحكومة الأردنية - التي سبقت الإشارة إليها - من احتمالات هجوم إسرائيلي كبير سيكون احتلال أجزاء من الأردن بعضاً من أهدافه...

وربما أكدت هذه المخاوف برقية أرسلتها السفارة البريطانية في تل أبيب في 27 مارس 1968 إلى الخارجية البريطانية تقول فيها... ان أحد جوانب التفكير الإسرائيلية انه اذا كان الملك حسين لا يستطيع تنفيذ وقف إطلاق النار في وادي الأردن (وهي منطقة يذكر أنها لم تعد تحت سيطرته، كما تقول البرقية) فإن إسرائيل ربما تعامل هذه المنطقة بوصفها بلداً معادياً منفصلاً، ليس لها معه اتفاقية وقف إطلاق نار[1].

لاحظ هادو عندما استعرض الأداء الإسرائيلي لسنة 1968 ان إسرائيل وجدت نفسها منقادة إلى وضع دفاعي أكثر فأكثر... وان كونها قوة احتلال جلب عليها مصاعب كبيرة، وان حركات المقاومة تمكنت من إبقاء الحدود الأردنية مشتعلة باستمرار... ونستطيع من خلال الأرقام التي قدمها «هادو» عن الحوادث أو العمليات عبر الحدود الأردنية ان نلحظ ان معدلها كان في الأشهر الثلاثة الأولى لعام 1968 - 28 عملية شهرياً، وقد ارتفع معدلها في الأشهر التسعة التالية إلى 49،2 عملية شهرياً (مع ملاحظة ان بعض الحوادث كان يقوم بها الطرف الإسرائيلي أحياناً...

وقال «هادو» ان كل ما كان الإسرائيليون يستطيعون عمله هو رد الفعل دون ضمان النتيجة... كما حدث في الهجوم على (الكرامة) وغيرها... ويبدو ان كل ما فعلوه كان هو زيادة الدعم العربي للإرهابيين (الفدائيين) وإضعاف قدرة الحكومات العربية المجاورة في السيطرة على أنشتطهم[2].

(1) FCO. 17/633 dow Report on the Karama Raid p.5
(2) FCO 17/635 Tel. no. 425 Hadow to F.O. 27 March 1968

د – الانعكاسات الدولية:

من الواضح أن الهجوم الإسرائيلي قد تسبب في خسارة سياسية إسرائيلية على المستوى الدولي، وفق الوثائق البريطانية هناك نحو عشرون وثيقة في ملف Fco17/633حول مناقشات مجلس الأمن الدولي لإصدار قرار بشأن الهجوم الإسرائيلي على (الكرامة)... وتتضمن مقترحات الدول المختلفة، ومسودات قرارتها، وقد انتهت المداولات بصدور قرار مجلس الأمن رقم 248 في 24 مارس 1968 وفي الوثائق صورة أصلية عن القرار الذي جاء فيه أن مجلس الأمن يأسف لوقوع خسائر في الأرواح وللأضرار الكبيرة في الممتلكات.

يدين العمل العسكري الذي قامت به إسرائيل... في خرق واضح لميثاق الأمم المتحدة وقرارات وقف إطلاق النار.

يأسف لكل حوادث خرق وقف إطلاق النار، ويعلن أن مثل هذه العمليات العسكرية الانتقامية وغيرها من خروق خطيرة لوقف إطلاق النار لا يمكن التسامح معها... وسيكون على مجلس الأمن ان ينظر في اتخاذ خطوات أخرى أكثر فعالية، حسب الميثاق حتى يضمن عدم تكرار هذه الأحداث[1].

ولا شك ان هذا يعد انتصارا للأردن على الساحة الدولية، وهو كسب ضمني بشكل أو بآخر للعمل الفدائي الفلسطيني... لأن الإدانة - على الأقل - توجهت إلى الطرف الإسرائيلي وليس إليه، كما يحمل تهديدا ضمنياً «لإسرائيل» بعقوبات في المرة القادمة.

ويرى هادو ان هذا القرار لا يتوقع ان يكبح الإسرائيليين... وأن الإسرائيليين يعتقدون أن هذا القرار سوف يشجع الفدائيين ليكونوا أكثر

---

(1) to FCO. 17/897. Israael: Annual Review for 1968. by Hadow-127 FCO.17/635. United -74Stewart, F.O. confidential 15 January 1969. Nation, Security Council. S/RES/248 (1968). 25March 1968 See also FCO 17/633 Tel. no. 780, Britsh representative to the United Nation to F.O. 24 March 1968.

عنفا... ويعطيهم درجة من الاحترام بوصفهم محاربين من أجل الحرية... كما سيرى فيه الفدائيون عاملاً كابحاً لهجوم إسرائيلي مضاد[1].

أما بريطانيا - وهي القوة الدولية التي نستقرئ وثائقها - فقد تنازع سفيراها في عمان آدمز، وفي تل أبيب هادو في الشد باتجاهين مختلفين، متأثرين - على ما يبدو - بما يرونه ويحسونه في اطار اتصالاتهم وعلاقاتهم ومعيشتهم في كلا البلدين...

غير أن الخارجية البريطانية ضبطت إيقاعهما في حدود سياستها العامة، فقد ابدى السفير البريطاني في عمان انزعاجه من احتمال شن إسرائيل هجوماً آخر قد يؤدي إلى إسقاط النظام الهاشمي، وعدّ ذلك إضراراً كبيراً بأصدقاء إسرائيل الغربيين... ولذلك نصح بإرسال رسالة عاجلة من أعلى المستويات (في بريطانيا) تحذر إسرائيل من شن هجوم آخر على الأردن... وأن هذا سوف يضر بشكل خطير المصالح الغربية في المنطقة...

وانه بينما قد يرى الإسرائيليون ان هذا سوف يخدم مصالحهم الخاصة على المدى القصير... فإنه في رأي حكومة صاحبة الجلالة سيؤدي في النهاية إلى إزالة أي احتمال لتحقيق السلام في المستقبل المنظور... وسيؤثر بشكل خطير على مصالح بريطانيا وحلفائها الغربيين... ليس في الأردن وحدها وإنما في الجزيرة العربية وفي الخليج العربي[2].

أما السفير البريطاني في تل أبيب فقد رأى أن الإسرائيليين لا يبالون كثيراً بهذا الأمر، إن مصالحهم تتعرض للخطر... وقال بشكل ساخر متشائم: إن الإسرائيليين يشبهون العرب تماماً في قدرتهم على هدم البيت على رؤوسهم... ولذلك اقترح «هادو» ان تقوم السلطات الأردنية بمحاولة علنية لتأكيد سيطرتها على وادي الأردن... وعلى «فتح» بشكل عام... لان

(1) FCO. 17/633 Hadow Report on the Karama Raid p.5
(2) 271.Adams to F,o. Immediate, Secret. 28 March 1968

هذا سيعطي بريطانيا وأمريكا سلاحاً يجادلون به الإسرائيليين لإعطاء الملك حسين فرصة، كما يمكنهما من التهديد باتخاذ إجراءات أشد[1].

وهكذا وجدت الخارجية البريطانية نفسها أمام اقتراحين أحدهما يطالب بضغط أكثر على إسرائيل... والآخر يطالب بتوجيه هذا الضغط إلى الأردن... لكنها لم تستجب لأي منهما... إذ لم تر ضرورة لإرسال رسالة على مستوى عال إلى إسرائيل، لأنه تم الحديث مع الإسرائيليين وفق المضامين نفسها قبل فترة وجيزة جداً[2].

كما رفضت الحديث مع الملك حسين بالطريقة التي اقترحها هادو... لأن الملك - كما ذكرت الخارجية - يعلم جيداً مخاطر السماح للفدائيين، لكنها ترى أن حريته في المناورة في هذه الأثناء محدودة جداً... بحيث من المشكوك به أنه يستطيع حتى اذا رغب أن يُلقي بالاً لنصيحتنا...

وبالإضافة إلى ذلك تشير الرسالة إلى أن ما يظهر من ضعف البريطانيين على فهم مصاعبه، ربما يقوده بشكل أكثر قوة إلى احتضان مَن سمتهم بالمتطرفين[3].

لذلك ترى الخارجية البريطانية أن هدفها الأول في العلاقة مع الأردن في هذه الوضع، هو إعطاء الملك حسين الوقت حتى ينجح في تحقيق بعض القدرة على المناورة على الصعيدين الدبلوماسي والداخلي... ومحاولة إقناع الإسرائيليين ان هذا يبقى هو الأفضل لمصالحهم على المدى البعيد، وانه لا يمكن للملك حسين كبح الفدائيين دون بعض التنازلات من الجانب الإسرائيلي... وطلبت الخارجية من سفيرها في إسرائيل ان يشدد على العزلة الدولية التي ستجد إسرائيل نفسها فيها... إذا ما قامت بهجمات جديدة متعمدة على الأردن[4].

---

(1) FCO. 17/635 , Tel.no. 439. Hadow to F.O. Secret Priority29 March 1968

(2) .CO 17/635 Tel. no. 46. F.O. to Amman (Adams). Confidential. 29 March

(3) FCO 17/633 Letter, R.F. Brenchley (F.O.) to Hadow. Confidential. 8 -132 April 1968.

(4) FCO 17 633 Brenchley(F.C) to Hadow. 8 April 1968

أما رد الفعل الأمريكي على معركة الكرامة... فلا يختلف كثيراً عن الموقف البريطاني؛ إذ نقلت الوثائق البريطانية تصريحاً للناطق باسم الخارجية الأمريكية في يوم 21 مارس 1968 قال فيه: «إن مزيداً من العنف لا يمكن أن يجلب سلاماً مستقراً ودائماً في الشرق الأوسط... وان العمليات العسكرية الإسرائيلية اليوم ضد مناطق أردنية... رداً على عمليات إرهابية تلحق الضرر بالآمال بتحقيق تسوية حول القضايا الأصلية». واكد ان الخلافات العربية الإسرائيلية يجب ان تحل من خلال جهود الأمم المتحدة وليس من خلال استخدام القوة[1].

حاول أحد كبار مسؤولي الخارجية الأمريكية (باتل) شرح رؤية حكومته فقال: إن الأمريكان قد ضغطوا على الإسرائيليين بقوة قبل 21 مارس وبعدها ولم ينجحوا في إقناعهم بقبول مراقبي الأمم المتحدة... أو بأن يكونوا أكثر تجاوباً للدخول في مفاوضات من خلال جونار يارنج...

وأوضح باتل... أنه مقتنع بأن الإسرائيليين سوف يردون بشكل ما على هجمات «فتح»... ولكنه رفض نظرية ان الإسرائيليين يعملون بنشاط لإسقاط النظام الهاشمي... وأن كان يظن خلال الأسابيع السابقة فإن الإسرائيليين يبدو انهم أخذوا يبدون اهتماماً متضائلاً في المحافظة على وضع الملك...

وقال باتل: إن الإدارة الأمريكية تدرس بشكل عاجل ما يمكن فعله بشأن الوضع الحالي... وانهم يعملون على صياغة مسودة لرسالة عالية المستوى إلى الإسرائيليين، يوجهها الرئيس الأمريكي أو احدى شخصيات حكومته، بحيث تكون مصممة لحث الإسرائيليين على عدم اتخاذ أي إجراء عسكري آخر... وأن مضمون الرسالة قد يتضمن تعبيراً عن قلق الحكومة الأمريكية الشديد من الوضع الحالي، وشكها في ان نموذج

---

(1) -82633. Tel. no. 937. B.E. Washington to F.O. Priority , 21 March 1968. Immediate , Confidential, 17/635 Tel. no. 1082 , B.E. Washington to F.O. 29 March 1968

الهجمات الفدائية ونموذج الانتقام منها سوف يحقق أي شيء بنّاء... وان هجوم 21 مارس لم يحل شيئاً[1].

يظهر أن الموقف الأمريكي ركز على محاولة إنجاح مهمة مبعوث الأمم المتحدة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط يارنج... وقد كان واضحاً منذ البداية مدى صعوبتها، إذ نقل السفير البريطاني في الأردن ان الرأي العام هناك يرى أن يارنج نفسه يشعر منذ البداية ان مهمته تكاد تكون مستحيلة... وقال السفير البريطاني نقلاً عن السفير السويدي في عمان (الذي هو صديق ومقرب من يارنج) أن يارنج ذكر له أن هذا هو الوضع فعلاً[2].

ومن الواضح ان الموقف السوفييتي - الذي لم نجد وثائق ذات بال حول ردود فعله - قد كان مؤيداً للموقف العربي ضد الهجوم الإسرائيلي على الكرامة... وقد حاول السوفييت تحميل بريطانيا والولايات المتحدة جانباً من مسؤولية الهجوم الإسرائيلي على (الكرامة) بسبب مساعدتهما الاقتصادية والعسكرية لإسرائيل...

وقد علق السفير البريطاني في عمان على ذلك بأن الأردن استخدم أسلحة بريطانية وأمريكية في صد الهجوم الإسرائيلي... وأن بريطانيا مستمرة في دعم الأردن اقتصادياً بشكل سخي، في حين لم يقدم الروس شيئاً سوى إرسال بعثة اقتصادية لم تحقق حتى الآن أية نتائج[3].

(1) ential . FCO 17/635 Tel. no. 271 Adams to F.O. Immediate , Secret-135
FCO 17/633 Tel. no. 233 Adams to F.O. Immediate. 22 March 1968

(2) فتح ، الكرامة، ص39.

(3) خلف، فلسطيني بلا هوية، ص97.

خاتمة :

ربما كان مجموع الخسائر في الأرواح والمعدات التي وقعت في الجانب الأردني والفلسطيني أكبر من تلك التي مني بها الجانب الإسرائيلي، لكن خسائر الإسرائيليين كانت كبيرة نسبياً وأكثر بكثير مما توقعوه، غير أن ما هو أهم من ذلك بكثير هو أن نتائج الهجوم الإسرائيلي جاءت معاكسة تماماً لأهدافه من الناحية السياسية...

فقد أوجد الصمود الفدائي والأردني في الكرامة وما رافقه من تضحيات ونجاح في منع الصهاينة من تحقيق أهدافهم حالة من الشعور بالانتصار واسترجاع الثقة بالنفس، خصوصاً بعد حالة الإحباط التي نتجت عن حرب 1967م... وهي حالة انعكست إيجاباً على العمل الفدائي الفلسطيني في الأردن، وعلى خط المقاومة بشكل عام...

لقد وضعت معركة الكرامة الإسرائيليين في حالة من الحيرة والشك، إذ أن هجماتهم على قواعد الفدائيين في الأردن تزيد من شعبية الفدائيين ونفوذهم... كما أن التوقف عن الهجمات الانتقامية يفسر على انه ضعف إسرائيلي... ويعطي الفدائيين الفرصة لتقوية مراكزهم وتنظيم صفوفهم كما يغريهم بالقيام بمزيد من العمليات.

إن الوثائق البريطانية تقدم لنا مادة غنية حول خلفيات معركة الكرامة... وتطوراتها ونتائجها، وهي تضيف إضاءات جديدة إلى الموضوع... على أنها يجب ألا تؤخذ حكماً أو مصدراً وحيداً للمعلومات... وإنما باعتبارها مصدراً مهما في استكمال الصورة التي رسمتها المصادر الأخرى[1]...

(1) معركة الكرامة كما تعكسها الوثائق البريطانية اعدها (محسن محمد صالح) استاذ مشارك في قسم التاريخ والحضارة الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا وهي الوثائق التي اعتمد عليها الاستاذ محسن محمد صالح للحصول على رسالة الماجستير وقد قمنا بنقلها بتصرف - من ص 1-30.

تعليقات الصحف حول معركة الكرامة

أولا : تعليقات الصحف العربية :

قالت جريدة **الجمهورية العراقية الصادرة بتاريخ** 1968/9/3/26م تحت عنوان: «**تحية الفداء**»

فجر الخميس الماضي صعدت إلى بارئها أرواح أبطال نذروا أنفسهم لتحرير وطنهم السليب ومعها أرواح أهل لنا في تلك الربوع الطاهرة، إثر عدوان (غادر) لئيم قامت به عصابات العدو وقواته، ولكن رغم هذا فقد وقف جيش الأردن الباسل المجاهد هذا الجيش الفتي ومعه أبطال منظمة فتح والفدائيون العرب بوجه هذا العدوان الغادر يكيل له الصاع صاعين ويقذف بوجهه حمم الموت الزؤام مدافعين عن أرضنا وذائدين عن حمانا حمى العروبة الطاهرة حاملين أرواحهم على أكفهم فرحين بالشهادة شاهرين سلاحهم بوجه عدوهم وغامسين حرابهم في صدره تجمعهم كلمة التوحيد وشعار الإسلام (الله اكبر الله أكبر الله أكبر...) فزلزلت الأرض زلزالها وفتحت نار جهنم بوجه عدونا الذي ولى هارباً موليا الأدبار من شدة بأسنا وقوة مقاومتنا فبوركت أيديكم والنصر حليفكم وقلوبنا معكم تدعو لكم بالنصر والفلاح فأنتم معنا في صبحنا ومساءنا نفرح بانتصاراتكم.

وما جرح - ديان - إلا نتيجة بطولاتكم فألف تحية وتهنئة لكم يا قوات فتح ويا أبطال العاصفة. فإلى الأرواح الطاهرة ألف رحمة ورحمة فإنها أرواح الشهداء والصديقين. فقد جدتم بالنفس وهذا أقصى غاية الجود.

ألف تحية لك يا جيش الأردن الباسل يا جيش العروبة يا جيش الفداء، فقد كنت في كل معركة كالأسد الهصور تذود عن عرينك وتحمي حماك بشجاعة نادرة ورجولة متفانية، فأنت في الطليعة في معركتنا الكبرى معركة المصير، معركة الشرف، معركة الموت أو الحياة.

وتحت عنوان:

«العجلة ومعركة النصر الأكبر»

كتبت الصحفية **عواطف عبد الجليل تعليقاً في جريدة الجمهورية القاهرية** الصادرة بتاريخ 1968/3/25 حول معركة الكرامة جاء فيه:

مع نسمات الربيع تهب نسمة أمل تمسح الجرح الدامي في قلوبنا، وتهز الأدران التي علقت بنفوسنا منذ معركة يونيو القاسية... مع نسمات الربيع تحركت قوى العدوان الإسرائيلي يدفعها الحقد الأسود على الفتية البواسل الذين آمنوا بربهم ووطنهم، ومضوا يفتدون كل شبر من أرضهم بدمائهم الحارة الزكية... ولقي العدو غير ما توقع... وخاب مسعاه، وأرغمته القوات الأردنية الباسلة على الانسحاب تحت ستار من الدخان الأسود الكثيف... وكان العدو اللئيم يظن أنه سوف يلقي على من يقفون خلف الفدائيين درساً لن ينسوه، أبداً، وقد فات هذا العدو المفتون بنتائج معركة خاطفة، أن كل عربي في كل شبر من الوطن العربي، بل وخارج الوطن العربي يقف بقلبه وروحه مع الفدائيين الأبطال داخل الأرض المحتلة.

وليس معنى هذا أننا فقدنا الأمل في لحظة من لحظات الزمن الذي انقضى منذ معركة يونيو حتى اليوم... أبداً الأمل كان وما زال يملأ القلب والنفس والعقل، ولكن مع جراح تدمى ولا تتوقف عن النزف... والنصر وحده هو الذي يلئم الجراح ويشفيها.

أما صحيفة **المحرر** اللبنانية الصادرة بتاريخ 1968/3/28 فقد كتبت تعليقاً تحت عنوان: **«كسرنا الحلقة المسحورة بقلم إلياس سحاب « فقالت:**

عشرون سنة مرت على قضية فلسطين، وهي طلسم مقلق بالنسبة للعالم بأسره، وبالنسبة لنا.

فبالنسبة للعالم، كان هناك إجماع على التبرؤ من الجريمة النكراء التي ارتكبها في الجمعية العمومية عام 1948م، يوم سرق مجموعة من ممثلي الدول - معظمهم جاهل بتفاصيل القضية وبعضهم لا يعرف أين تقع فلسطين على الخريطة - سرقوا حق شعب فلسطين في تقرير مصيره، وقرروا هم مصير البلد وأهلها، وأفتوا بان التقسيم هو اعدل الحلول.

منذ اليوم التالي لهذا القرار، غسل العالم يديه منه، وأصبحت أية مناقشة لقضية فلسطين، تتجاهل عام 1948م وما جرى فيه، وتبحث في تفاصيل القضية ما قبل 1948م، اضطهاد اليهود في أوروبا، وتفاصيل ما بعد 1948م: تجمع الدول العربية لإبادة إسرائيل.

حتى الدول التقدمية الصديقة كانت تقع في فخ اعتبار القضية صراع حدود بين العرب واليهود، أو تعتبره - أحسن الحالات - صراعاً بين الأنظمة العربية التقدمية ونظام الحكم الإسرائيلي المرتبط بالاستعمار.

هذا بالنسبة للعالم، أما بالنسبة لنا، فقد بقينا طيلة هذه السنين عاجزين عن اختراق أي جدار بقضيتنا، فأينما توجهنا بها نواجه بمسألة اضطهاد النازية لليهود، وحق اليهود في أن يعوضوا إنسانيا عن هذه الاضطهاد... أما ما نتج عن ذلك من تشريد لشعب فلسطين فإن أحداً لم يكن على استعداد للنظر فيه إلا على أساس تقديم مساعدات محدودة لمجموعات (اللاجئين)...

لماذا استمر هذا الواقع عشرين عاماً؟

لأسباب منطقية طبيعية نحن مسؤولون عنها مسؤولية أساسية.

فقد استمرينا طوال هذه السنين ومن الناحية السياسية العملية، نقدم قضية فلسطين للعالم تحت شكلين مختلفين:

1 – في الأمم المتحدة كان الوجود الوحيد لقضية فلسطين يتجسد في التقرير السنوي الذي يقدمه مدير وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين.

2 – في الميدان السياسي العام، كانت التصريحات بتحرير فلسطين، أو بإعادة حقوق شعبها، تصدر عن رؤساء دول عربية... كما أن الصدامات

العسكرية الضيقة أو الواسعة التي حدثت منذ عام 1948، كانت الأطراف المقابلة لإسرائيل فيها، أطراف عربية غير فلسطينية...

ومنذ أن بدأت الخيوط الأولى للعمليات الفدائية الفلسطينية الأولية تتسلل إلى الصحافة العالمية بدأنا نسمع حديثاً عالمياً جديداً عن قضية فلسطين.

وعندما سجلت معركة (الكرامة في الأسبوع الماضي أول عملية مقاومة واسعة النطاق يشترك فيها شعب فلسطين، بدأنا نسمع إعجاباً وتشجيعاً برجال المقاومة، الشجعان).هذه الإشارات الجديدة ما زالت محدودة غير أن أهميتها حالياً ليست في حجمها بل في المنعطف الخطير الذي سجلته عندما تحولت قضية فلسطين، من قضية لاجئين، وقضية صدام عربي - إسرائيلي إلى قضية شعب مسلوب الأرض، يقاوم المحتل لاستعادة أرضه. قد يقال ان العالم كان عليه ان يفهم هذا الواقع قبل اليوم بكثير. ولكن جماهير الرأي العام ليس لديها وقت كاف لملاحقة تفاصيل القضايا الوطنية المنتشرة هنا وهناك... فهي لا ترى الحق في أية قضية، إلا عندما ترى الدماء تبذل من أجل استعادة هذا الحق. وقد نجحنا في معركة (الكرامة) في تسجيل الخطوة الأولى على هذا الطريق، وكل تطور جديد فيه سيعكس بالضرورة تطوراً جديداً في نظره الرأي العام العالمي إلى قضية فلسطين فالإعلام لا يمكن أن يستقيم إلا بناءً على واقع حي... وما كان للأعلام العربي أن يؤدي في السابق أكثر مما أدى في الظروف التي كان فيها عملاق النضال الشعبي الفلسطيني سجين القمم.

وكتبت **جريدة البعث السورية** الصادرة بتاريخ 1968/3/27م عن انتصار (الكرامة) تعليقاً كتبه **الأستاذ عبد الله حوراني تحت عنوان:**

(العدو الأخير... أهدافه ونتائجه)

ولقد أعطت هذه المعركة عدة نتائج سواء في الجانب - الإسرائيلي - أو الجانب الفلسطيني والعربي، أو على الصعيد العالمي. وكلها تؤكد خسارة العدو وفشل مخططاته.

أولاً: حققت المعركة نصراً قوياً على العدو وكبدته خسائر فادحة اعترف بها هو وتحدثت عنها وكالات الأنباء، وأثارت سخطاً واستياء لدى مواطنيه. بل أنها أثارت الفزع وخلقت نوعاً من التخوف من المستقبل، وفي هذا ما يؤثر على مشاريع العدو التوسعية والإسكانية.

ثانياً: أكدت المعركة قدرة شعبنا على الصمود وعلى مواجهة العدو والانتصار عليه. وإذا كانت هذه المعركة محدودة. ذات نتائج محدودة إلا أنها أثبتت ان عدونا ليس ذلك القوة الخارقة. وأن الانتصار عليه ممكن. ويمكن ان يتحقق في معارك كبيرة ذات أهداف أكبر.

ثالثاً: جسدت المعركة وحدة شعبنا في مواجهة العدوان. فهي من وجهة جسدت تلاحم المنظمات الفدائية في أرض المعركة، ومن جهة أخرى تلاحم هذه المنظمات مع جيش شعبنا في الأردن وجيش التحرير الفلسطيني. وقد جاءت نتائجها المنتصرة لتعطي النتائج الفورية لما يمكن ان يحققه هذه التلاحم. ولتجعل وحدة المقاومة الفلسطينية أمراً ضرورياً وواجباً. ويتحتم على جميع القوى المعنية ان تجتاز جميع العراقيل التي تعترض طريق هذه الوحدة.

رابعاً: أعطت هذه المعركة العمل الفدائي فرصة إثبات وجوده على مستوى كبير يصل إلى معركة تستمر خمس عشرة ساعة ويواجه فيها دبابات العدو وطائراته وينتصر عليها. فقد كان دور المقاومين الفلسطينيين بارزاً ورئيسياً - كما كان دور الجيش العربي الأردني بارزاً ورئيسياً - في مواجهة العدو والانتصار عليه. وبذلك منح العدو نفسه دون ان يريد العمل الفدائي مزيداً من الثقة بنفسه، ومزيداً من ثقة المواطنين به وبقدرته على الاستمرار ومواجهة العدو في معارك كبيرة.

خامساً: أراد العدو من خلال عدوانه ان يضرب حركة المقاومة ضربة قاتلة فنقلت المعركة ونتائجها أخبار حركة المقاومة وانتصاراتها إلى كل أرجاء العالم. وأثارت عطف وتأييد شعوب العالم على هؤلاء المقاتلين الشجعان الذين يعملون لحرية وطنهم.

سادساً: رفعت نتيجة المعركة - على الصعيد الفلسطيني والعربي من ثقة شعبنا بنفسه وبقدراته وإمكانياته. وأعطت على محدوديتها دفعاً جديداً لجماهير امتنا لا شك انه سيعطي نتائج اكبر وافضل في المستقبل القريب، وأسقطت نهائياً كل تفكير بالحلول السلمية التي مازالت بعيدة.

سابعاً: أما على الصعيد العالمي فقد اسهم العدوان الأخير في تأكيد حقيقته - إسرائيل - العدوانية، وفي فضح هذه الحقيقة لشعوب العالم وقواه التي ما تزال مترددة في إدانة - إسرائيل - بالعدوان.

وكتب الأستاذ موسى صبري في جريدة الأخبار المصرية الصادرة بتاريخ 1968/4/1م مقالاً تحدث فيه عن معركة الكرامة الخالدة تحت عنوان:

«كفانا ما جرى ... يا عرب»

هذا الباب الذي نسميه (اليوميات) تتضمن سطوره تسجيلاً لمشاعر الكاتب اليومية، ولانطباعه بالأحداث العامة... وتأثره أيضاً بما يواجه حياته الخاصة ويفيض على مشاعره بانفعالات معينة يمكن ان تعبر عن معنى إنساني يعمق روابطنا بمجتمعنا الصغير والكبير.

ولا أحسب أنني أستطيع ان اخرج بمشاعري عن نطاقين... نطاق وضعنا العربي اتجاه إسرائيل... ثم نطاق الأوضاع الداخلية في مصر وباقي البلاد العربية... والنطاقان ممتزجان على مسرح واحد تقدم فصوله المتلاحقة عرضاً مستمراً لتطور الأحداث المحيطة بنا... المتحركة في أعماقنا...

والحق أن الهجوم الأخير الذي شنته إسرائيل على قواعد الفدائيين في الأردن... يمكن ان يقودنا إلى نقطة تحول في الأسلوب العربي لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي...

إنه يؤكد لنا أن الفدائية البطولية الشريفة، يمكن ان تجد من يدافع عنها بكل الاحترام والتقدير والتشجيع، حتى في سطور صحف الغرب

التي لا تنطلق بغير حماية الإجرام الصهيوني الملوث، أن الرأي العام الغربي الذي سممته إسرائيل بدعاية منظمة عملية مدروسة، تتابعها بتخطيط متجدد... هذا الرأي العام المضاد، يمكن ان يقتنع انه من العار على الضمير الإنساني ان يطلق عليها صفة أعمال الإرهاب والتخريب... لقد سمعنا مندوب فرنسا في مجلس الأمن يصفها باسمها الصحيح، ويدفع عنها الدعوة الإسرائيلية الكاذبة... وقرأنا في عدد من الصحف البريطانية مقالات تدافع عن هذا الكفاح البطولي...

إنني لا أسرف في التفاؤل، بأن الرأي العام الغربي قد تحول تحولاً حاسماً، في الاقتناع بالإجرام الصهيوني... ولكنني أقول إن هناك بوادر تحول يمكننا من جانبنا ان ننميها وان نمدها بالحجج، وان نشارك في إثمار بذورها التي بدأت تنتشر هنا وهناك...

البطولة... محترمة

ولكن كيف ؟...

إن إسرائيل التي تتباكى من غارات الفدائيين... والتي تريد أن تقنع الرأي العام الغربي أنها لا تفعل أكثر من أن تنتقم وترد الاعتداء المتكرر عليها... فشلت هذه المرة في أن تخدع الكثيرين بدموع التماسيح... فهي قد شنت هجوماً مسلحاً، لا يتفق مطلقاً في حجمه الكبير، مجرد اشتباك مع مجموعات الفدائيين... لقد هاجمت بأكثر من خمسة عشر ألف جندي وثلاثة ألوية مصفحة واستخدمت عدداً من الطائرات النفاثة المقاتلة... ولولا الخوف من إصابة طائراتها، لأن طبيعة المعركة تفرض عليها الطيران المنخفض مما يعرض للهلاك بسهولة... لولا ذلك لكان استخدامها لطائرات الميراج والميستر بإعداد ضخمة...

ولكن ماذا واجه هذا الهجوم الضخم؟

لقد حارب الجيش الأردني ببسالة وشرف... شهد بذلك المراسلون الحربيون في جميع وكالات الأنباء.

لقد قاتل الفدائيون الفلسطينيون بشجاعة وبطولة ودراية... أذهلت نتائجها في جميع وكالات الأنباء.

لقد قاتل الفدائيون بشجاعة وبطولة ودراية... أذهلت نتائجها كل من راقب المعارك عن قرب...

وكيف كانت النتيجة؟

كانت قيادة إسرائيل العسكرية، التي تضاعف صلفها وغرورها بعد حرب يونيو، تقدر لمعركة هجومها على الأردن ساعتين لا أكثر ولا أقل... وهذا ما يتفق مع الأعداد الضخمة والقوى الكبيرة التي هاجمت بها... وإذا بالمعركة تستمر يوماً كاملاً... وإذا بعملية انسحابهم وحدها تستغرق أكثر من أربع ساعات في ظروف قاسية... وإذا بالخسائر الفادحة في الأرواح والعتاد فوق كل تصور وتقدير...

ومن هنا... من المقاومة الباسلة... من القتال البطولي... بدأ الرأي العام الغربي يتساءل... هل كانت مقاومة أعمال الفدائيين - كما تقول إسرائيل - تستأهل هذا الهجوم الضخم المستأسد... وهل كانت النتائج تساوي الخسائر الكبيرة التي لحقت إسرائيل... والتي قيل أنها أكثر من خسائرها على جبهة الأردن في حرب يونيو؟

ومن هنا بدأنا نقرأ سطوراً فيها العطف على كفاح الفدائيين الذين يؤدون واجبهم نحو الأرض والبيت والزرع.

أقصد القول ان الكفاح الشريف البطولي... لا بد أن يلقى صداه... ولا بد ان يجلب الاحترام...

وماذا كانت النتائج داخل إسرائيل؟

مناقشات في (الكينست) تتساءل... عن أسباب فداحة الهزيمة؟

مظاهرات في بعض المدن تهتف بسقوط القيادة العسكرية.

أعلام سوداء منكسة على البيوت الإسرائيلية.

هزة نفسية فاقتهم من غرور الانتصار السهل... وجعلتهم يتساءلون... إذن... فان هزيمتنا من العرب ممكنة...

وبدأت صحف إسرائيل تطالب بوسائل جديدة، وخطط مبتكرة، لرد هذه الصفعة القوية التي هدمت أسطورة إسرائيل التي لن تهزم...

رواسب الهزيمة:

ولا أنكر أن هزيمة حرب يونيو، ورواسبها في نفسي، جعلتني أتشكك فيما سمعته من بهجت التلهوني رئيس وزراء الأردن...

لقد تحدثت إليه بالهاتف في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم الهجوم الإسرائيلي... وقال لي ان الموقف العسكري مطمئن للغاية... وان القوات الأردنية لها السيطرة... وقال لي إنه أبلغ ذلك لمحمود رياض وزير الخارجية المصرية عندما تبادلا الحديث التليفوني مرتين في هذا الصباح...

لا أنكر أنني لم أتقبل كلمات رئيس حكومة الأردن، بما يملؤني بالاطمئنان الكامل... فرواسب الهزيمة في النفس لا تزال تعمل أثرها في تقديرنا للأمور والأحداث...

ولكن ثبت بعد ذلك، أن الرجل كان صادقاً... وتتابعت تعليقات الصحف البريطانية والأمريكية والفرنسية وغيرها... وكلها تؤكد ان الضربة العربية كانت ناجحة وموفقة... بل ان مراسلي الوكالات الغربية قد عبروا عن دهشتهم من ان استخدام الإسرائيليين للأسلحة لم يكن ناجحاً ودقيقاً، وان تصويب صواريخهم كان فاشلاً...

لا أريد أيضاً ان أتمادى في التفاؤل... أو أن ألبس الأحداث أثواباً فضفاضة خادعة... ولكنني أقول ان معركة الكرامة تؤكد لنا أكثر من معنى...

معركة الكرامة تؤكد لنا أن المقاتل العربي قادر على أن يغسل العار عن الأمة العربية، إذا تمكن من فرصة.

معركة الكرامة تؤكد لنا أيضاً... أن معركة المصير الكبرى التي تتلهف إليها قلوب الملايين، تطالب بجيش عربي واحد يؤدي واجبه التاريخي.

أننا نتلقى الدروس الحاسمة منذ حرب 1948... وقبلها بالنسبة لقضية فلسطين... ومع ذلك فنحن لا نعتبر...

وتحت عنوان:

«حق الشعب الفلسطيني»

علقت صحيفة (الأهرام) الصادرة بتاريخ 1968/3/26م عن وقفة الصمود التي وقفها أبطالنا في معركة الكرامة جاء في هذا التعليق:

ومن هنا يبدو أن مقاومة الشعب الفلسطيني وطلائعه للاحتلال الإسرائيلي والعدوان - الصهيوني - هي الوجه المقابل للإرهاب والاحتلال. ولا بديل إلا الجلاء الكامل والفوري واسترداد حقوق الشعب الفلسطيني المغتصبة.

وإذا كان الشعب الفلسطيني هو طليعة المقاومة بحكم الواقع فإن الشعوب العربية بحكم المصير المشترك وبحكم احتلال جزء من أراضيها، واجب وحق عليها ان تساند بكل قواها ودون حدود هذه المقاومة الشعبية المشروعة للعدوان. والإرهاب الصهيوني وهنا يلعب في الحقيقة - طبقاً لقوانين التاريخ الموضوعية - دوراً هاماً في تقوية حركة المقاومة وزيادة صلابتها وفاعليتها وقدرتها على رد الصاع صاعين واكثر مما حدث في العدوان الأخير على الكرامة في الأردن.

وجاء في مقال لجريدة النهار البيروتية الصادرة بتاريخ 1968/3/22م بعنوان:

«حصيلة 11 ساعة من المعارك مع الجيش الأردني والفدائيين»، ما يلي: (الفدائيون، الذين تنبهوا في الوقت المناسب، كانوا منذ الليل قد

انسحبوا من المخيمات إلى مواقع جبلية ضمنت لهم الحماية والمناعة. فلما وصل الإسرائيليون إلى مناطق القتال عند المخيمات طوقوهم بطريقة عسكرية محكمة وتعاونوا مع الجيش الأردني في سحل سرايا بكاملها منهم. وقد وصلت حدة القتال بين الطرفين إلى العراك بالسلاح الأبيض بين المنازل والى أقدام الرجال والنساء، ممن تبقى من النازحين، على مقاومة الجنود الإسرائيليين بالخناجر وسكاكين المطابخ).

وبعنوان:

«إليكم يا شهداء... ويا أحرار فتح»

كتبت جريدة **(الرقيب)** الليبية الصادرة بتاريخ 1968/3/28م

تحية إلى أبطال فتح

تقول الصحيفة:

يا أبطال فتح شهداء وأحياء.... يا أحرار فلسطين العربية يا من أبيتم على أنفسكم ان تعيشوا أذلاء وترون بأعينكم وطنكم محتلا مغتصباً مغلوباً على أمره يا من عزمتم عن كل شيء في هذه الحياة في سبيل التحرير... يا أبطال فتح يا من دمرت ضرباتكم الحياة في إسرائيل كل يوم وتسرب الذعر والخوف بين محتلي فلسطين العربية...يا منتصرون، يا من حملتم السلاح لتمسحوا عن الأمة العربية عن سلبية أبناء فلسطين والعروبة طيلة عشرين عاماً، يا أحرار، يا مغاوير، يا من أثبتم لديان أنكم قادرون على اختراق الحصار حوله فحطمتم أضلاعه، ويامن سرتم على طريق النصر الذي بدأتموه منذ أربع سنوات في وجه معارضات وعراقيل فلم تزدكم إلا عزيمة وقوة إلى ان بلغتم من القوة ما أصبحتم عليه الآن كتائب للتحرير وأبطالاً للفتح وأسوداً تفزعون العدو وتدمرون حياته وتقضون مضاجعه وتنسفون منشآته وتحرقون حياته كلها... أنكم أيها الأبطال يا من استشهدتم على أرض فلسطين في سبيل الكرامة العربية وشرف الإسلام وتحرير فلسطين، ويا من لا زلتم تحملون السلاح والإيمان والعزم على ان

تفتدوا وطنكم بأرواحكم... إليكم جميعاً فخر أمتكم العربية كلها بكم، وببطولتكم التي أصابت عصابات إسرائيل بالهستيريا فأغارت على الأردن الشقيق للانتقام فتحولت قواتها في بلدة الكرامة إلى جثث عفنة لأكثر من مائتي جندي إسرائيلي وحطام دباباتها ومدافعها.

لقد أثبتم يا أبطال «فتح» الآن أنكم عاصفة مدمرة للوجود الإسرائيلي ستقتلع الشجرة الخبيثة من جذورها، وأثبتم للعروبة أنكم أبطال تحسب لهم عصابات دايان ألف حساب بعد ان حاولوا التجاهل كثيرا، وسئل دايان بعد العدوان من صحفي ألماني (هل هناك أية مقاومة لجيشكم وحكمكم للأراضي المحتلة، وان وجدت فما هي المنظمات التي تقودها؟) وبكل عجرفة وصلافة وغطرسة وغرور قال - دايان - (ليست في الأراضي - التي استعدناها!! - أية مقاومة، وأن ما تذكره الصحف العربية والإذاعات من وجود أي نشاط للفدائيين - إنما هو مجرد ادعاء غير صحيح!!). فوقع دايان بعد مدة في كمين أعده له الفدائيون - الذين تجاهل وجودهم ولا يزال ملقى في أحد أسرة مستشفى بير السبع محطماً بعد ان ادعت إذاعة إسرائيل للتغطية وحتى لا يضحك العالم على القائد الإسرائيلي ان دايان كان يعمل في التنقيب عن الآثار بحفر أرضية في بيت قديم فوقع عليه الحائط... وهي بدون شك حجة بلهاء غبية مضحكة لا تصدق!!

تحية لكم يا أبطال العاصفة... يا من رفعتم رأس العروبة والإسلام بعد سلبية حزينة دامت حوالي عشرين عاماً ونحن يا أبطال العروبة على أرض فلسطين معكم بكل ما نملك كما كنا مع أبطالنا في الجزائر والجنوب.

فسيروا أيها الأبطال المغاوير الشرفاء على طريق النصر والكرامة والحياة، طريق العزة. ولا تدعوا أولئك المارقين من أغرتهم الحياة على حساب الكرامة من أبناء فلسطين فرصة للتأثير على إيمانكم العظيم... فأولئك الذين خاضوا قضية فلسطين وتنكروا لفلسطين التي أنجبتهم وباعوا شرف العروبة في ضمائرهم بما تقدمه لهم الدوائر والمؤسسات الأمريكية والغربية من ثمن لتجاهلهم قضية بلادهم وانصرافهم عنها إلى جمع المال

والوجاهة الزائفة الخالية من الشرف والكرامة، وهروبهم الوضيع حتى من انتمائهم لفلسطين... ليبنوا القصور والعمارات وينشئوا الإقطاعيات ويضخموا أرصدتهم في البنوك ومئات الآلاف من شعبهم مشردة هائمة في البراري والخيام، بل ومنهم من لا زال عدد كبير من إخوته وأفراد أسرته يعيش منذ عام 48 تحت الحكم الإسرائيلي... ولا نريد الآن نورد المزيد من التفاصيل... ونتركها للمناسبة.

أخيراً... ليس بآخر إذ سنلتقي كل عدد... نقول لكم يا أبطال العاصفة وفتح... يا مغاوير فلسطين والعروبة نحن وراءكم بالقلوب وما نملك... ومع كل إشراقة شمس وغروبها سينضم إليكم المزيد من الشرفاء الأحرار وستصلكم إمدادات جديدة من كل نوع.

لقد بدأت حرب التحرير الشعبي على أرض فلسطين تأخذ مكانها بين ثورات الشعوب وكما كلل الله نضال الأمة العربية في ليبيا والجزائر والجنوب بالنصر على المحتل فان النصر سيعقب كفاح الشعب الفلسطيني بإذن الله وتأييده.

فانطلقوا يا أبطال الفتح ويا أُسود العاصفة بقلوبكم العامرة بالإيمان بالله والإسلام والعروبة والكرامة والحياة... انطلقوا في كل مدينة وقرية وشارع وسهل من فلسطينكم وفلسطيننا وانشروا الرعب والدمار والفزع في قلوب الأفاقين الذين سكنوا بيوتكم واحتلوا وطنكم وتملكوا - بياراتكم - واثأروا للشهداء والمشردين، وحطموا أكذوبة استقرار إسرائيل... وحولوا مصانعها إلى حديد معطل لترغموا الأفاقين من اليهود المهاجرين على الهروب منها والعودة إلى حيث كانوا ولتتوقف استثمارات الأموال الأجنبية في بلادكم.

انطلقوا يا أبطال - فتح - انطلقوا يا أسود - العاصفة - واقتلعوا من الجذور هذه التي يريدونها دولة، فنحن العرب قهرنا دولا كانت عظمى وكبرى... قهرنا إيطاليا على أرض ليبيا... وقهرنا فرنسا على أرض المغرب العربي وقهرنا بريطانيا في الجنوب العربي، وكل هذه الانتصارات التي حققناها على هذه الدول التي كانت كبرى قبل ان نقهرها

كانت بالكفاح والنضال الشعبي والإيمان بالله والعروبة والإسلام والكرامة العربية والعزة للإسلام.

انطلقوا يا أبطال «فتح» فقد أصبحتم الآن أمام العالم أبطال ثورة اندلعت على أرض فلسطين ولن تنتهي إلا بعد تحرير فلسطين، ونعاهدكم أمام الله يا أبطال فتح أننا لن ندع - الجبناء المارقين الهروبين والهاربين والمتجاهلين لواجب فلسطين التي أنجبتم يتمتعون بالعيش مختفين - سنفضحهم سنجردهم من ثيابهم أمام الناس، سنعريهم لان تقاعسهم وهروبهم بعد انطلاق الثورة من عقالها لا يمكن أن ترضاه الكرامة العربية ولا يقبله الشعب الليبي البطل الذي حرر بلاده بنضاله البطولي وراء قائد بطل من أبطال العروبة والإسلام والتاريخ هو الإدريس المظفر.

ويا أبطال - فتح - ويا أسد العروبة... انطلقوا ونعاهدكم أننا في ليبيا سنبذل جهوداً كالتي بذلناها تجاه نضال أبطالنا في الجزائر... وحتى عائلاتكم وأبناءكم الذين هم أبناء كل عربي على امتداد الأرض العربية أسست جمعية خاصة لرعايتهم لانهم ذخر للأمة العربية ورصيداً لها... وستمتد فروع هذه الجمعية إلى كل مدينة عربية... كما نعاهدكم على أن نعيش في بطولاتكم بالقلوب والنفوس والأرواح... وكل الإمكانيات.

وما النصر إلا من عند الله... هو نعم المولى ونعم النصير.

ثانيا : تعليقات الصحف الأجنبية حول معركة الكرامة

نشرت صحيفة **الفيغارو** الفرنسية الموالية للصهيونية مقالاً حول معركة الكرامة بتاريخ 23 - 3 - 1968م جاء فيه.

(ومن المؤكد أن منظمة «فتح» حصلت في العالم العربي بأسره على شهادة الشرف وقد نجح الفدائيون بإلحاق الخسائر بجنود الاصطدام التابعين (لأفضل جيش في الشرق الأدنى) ولا بد أن هذه الخسائر، بالرغم من بساطتها!! ستوحي بأغان شعبية تمجد فيها مخيمات اللاجئين في القاهرة ودمشق انتصارات «فتح»).

واستطردت الصحيفة الموالية للصهاينة تقول: غير أن حركة (المسننات المتشابكة) خطيرة جداً. فقد انخرط المتطرفون في كلا المعسكرين في طريق مخيف، كما كان ذلك في الربيع الماضي. ومرة أخرى تظهر حركة (المسننات المتشابكة) بين أعمال التخريب والثأر.

«الفدائيون يعودون إلى الكرامة بعد الهجوم»

تحت هذا العنوان:

(نشرت صحيفة الهيرالد تربيون الأمريكية) في عددها الصادر بتاريخ **23 - 1968/3/24**م خبراً من مراسلها جوي اليكس موريس تحت عنوان (الفدائيون العرب يعودون إلى الكرامة بعد الهجوم جاء فيه).

مخيم الكرامة، الأردن، 22 آذار.

هل ارتكبت إسرائيل خطأ استراتيجياً فاضحاً بقيامها بهجوم الخمس عشرة ساعة على الأردن أمس؟.

إن الدلائل تشير إلى ذلك حتى بالنسبة للناطقين الإسرائيليين الرسميين:

لقد أعلنت إسرائيل أنها كانت تضرب مراكز الفدائيين في الجانب العربي من الأردن ولكن الفدائيين كانوا يدعمون الجيش في هذا المخيم المهجور للاجئين وكلهم عازمون على التصدي للقتال بكل حدة ورباطة جأش كبيرة.

وظهرت علاقتهم هنا بالقوات الأردنية أكثر ما تكون صداقة. ففي عمان شيع الفدائيون موكب جنازة 25 مقاتلاً من الذين (استشهدوا) في معركة أمس واخذوا يطلقون النار من أسلحتهم الأوتوماتيكية.

وعلى مدى قصير لا يظهر أن شيئاً تغير عمّا كان عليه قبل الهجوم الذي قالت إسرائيل عنه انه إجراء انتقامي قامت به ضد الفدائيين وضد حكومة الأردن لعدم إيقاف غاراتهم على المناطق المحتلة، لم يحدث أي شيء ما عدا تدمير المخيم نفسه).

وكتب صحيفة **(لوموند)** الفرنسية الصادرة بتاريخ 1968/3/23م تعليقاً على معركة الكرامة تحت عنوان:

«انبعاث الشعب الفلسطيني»

(عمان - يبدي المسؤولون هنا ارتياحاً كثيراً لنتائج الصدام الذي وقع يوم الخميس. وقد استطاع مراسلو الصحف والأجانب متابعة المعارك بواسطة المناظير وهم في مدينة السلط. وقد أفاد أول مَن قدم من الجرحى أن المعارك قد دارت بالسلاح الأبيض، حتى بالسكاكين وأن الجنود الذين هبطوا من طائرات الهليكوبتر الإسرائيلية قد واجهوا مقاومة عنيفة جداً، وان بعض مجموعاتهم قد أبيدت عن بكرة أبيها. أما الفدائيون فقد استبسلوا استبسالاً رائعاً. وقاوموا العدو بضراوة. وقد رفض رئيسهم أوامر تلقاها من رؤسائه بالانسحاب، وقال: معي 400 رجل. وسنبرهن للعالم كله ان الشعب الفلسطيني يعيش ويموت لأجل استرجاع وطنه).

ومضت الصحيفة تقول:

(وعلى كل حال، ففي جميع معسكرات ومخيمات اللاجئين في الأردن وسوريا ولبنان، أقيمت ليلة الخميس - الجمعة - احتفالات كبيرة بمناسبة الصمود الأردني وبمناسبة (انبعاث الشعب الفلسطيني) وان المعنويات مرتفعة جداً، بل مرتفعة أكثر من كل وقت مضى، وفي صفوف اللاجئين، الذين بدأوا ينسون هزيمة حزيران).

«المحامون في ضيق»

نشرت جريدة **اومانتييه الفرنسية** الصادرة في 1968/3/23م مقالاً تحدثت فيه عن موقف أمريكا وبعض الصحف الموالية للصهيونية جاء في هذا المقال:

ان الغارة الإسرائيلية الأخيرة على الأردن، قد تسببت في انهيار الوضع في الشرق الأوسط إلى درجة انه لم يجرؤ أحد، حتى حماة إسرائيل الأمريكان على تبرير هذا الاعتداء الفاضح أو الموافقة عليه، في مجلس الأمن. وقد حاول المندوب الأميركي غولدبرغ ان يخفف ما أمكن من مسؤولية إسرائيل واقترح حلاً زائفاً هو إرسال مراقبين إلى ضفتي نهر الأردن. مع أن العالم ليس بحاجة إلى هؤلاء المراقبين ليعلم أن المعتدين هم الصهاينة. وانهم هم الذين اجتازوا نهر الأردن، لا القوات الأردنية. ومع ذلك فقد اعترف غولدبرغ (ان عمل إسرائيل هو عمل لا يمكن الموافقة عليه. وانه يؤدي إلى عدم الأمن لا إلى الأمن).

وكذلك وقعت في أشد الحرج تلك الصحافة الفرنسية المدافعة عن إسرائيل. **فتساءلت الفيغارو**: (هل أظهرت الحكومة الإسرائيلية مهارة وبراعة في هذا التصرف الذي يفتح باب الأزمة من جديد، ولا يساهم في تهدئه الخواطر ولا في الوصول إلى حل سلمي دائم؟).حتى جريدة **(الأورور)** بالذات التي تقول: ان زعماء إسرائيل لا يطلبون شيئاً إلا العيش مع جيرانهم بسلام، هذه الجريدة بالذات تقول بشيء من الضيق (ان الناس

كلهم، في جميع أنحاء العالم يأسفون للجوء إسرائيل إلى القوة). وطبعاً (إن هذا الأسف) الذي تتكلم عنه **الاورور** قليل جداً بالنسبة للواقع. وان على الجميع أن يظهروا شجبهم لهذا العدوان بأقصى ما يمكن من العنف والشدة والصراحة. كما فعل الاتحاد السوفياتي والأردن اللذان طالبا مجلس الأمن بتطبيق العقوبات المنصوص عليها في الفصل السابع من شرعة الأمم المتحدة.

نشرت صحيفة **(الاومانتييه** الفرنسية الصادرة بتاريخ 1968/3/22م مقالاً للسيد (ايفورد) جاء فيه:

لا يمكننا ان نقبل بالحجة التي تذرعت بها إسرائيل لتبرير عدوانها الجديد. وفي الواقع فان سبب التخريب والعمليات التي يزعم القادة الإسرائيليون (معاقبتها) هو احتلال القوات الإسرائيلية المستمر وغير الشرعي للأراضي الفلسطينية والمصرية والسورية - الاحتلال الذي نشأ عنه طرد مئات الآلاف من العائلات البائسة وفرض على السكان الذين بقوا في ديارهم سلسلة من إجراءات القمع تتراوح بين منع التجول إلى تدمير المنازل.

إذا كانت (الفتح) قد أجبرت اليهود على تغيير استراتيجيتهم والانكفاء على أنفسهم في (الأحياء اليهودية المقفلة).فقد أحرزت بذلك انتصارها الأول...

(تحت هذا العنوان **نشرت جريدة (الفيغارو) الفرنسية** في عددها الصادر بتاريخ 26 آذار 1968م مقالاً لمبعوثها الخاص إلى تل أبيب **(وهو ايف كوو)** وقد جاء فيه:

كلما مرت الأيام كلما تبين جلياً ان الغارة الثأرية الأخيرة إنما كانت فشلاً ذريعاً. مما يجعل أكثر الوزراء يصرون على محاولة تبريرها كل يوم، ويحمل موشى دايان على التأكيد بأنها كانت ضرورية.

هذا، وان الرأي العام لا ينتقد مبدأ الغارة وإنما ينتقد طريقتها وأسلوبها. فعدد القتلى والجرحى اليهود مرتفع جداً (22 قتيل، و 3 مفقودين، و 3 جرحى) وإنها للمرة الأولى في تاريخ الجيش الإسرائيلي يضطر فيها إلى ترك بعض قتلاه على أرض المعركة). على أن ضباط الاستخبارات يقولون جازمين بأن «فتح» كانت تعد العدة لعملية واسعة. وحول موقف المندوب الفرنسي في مجلس الأمن مضت الصحيفة تقول: وإذا كان الإسرائيليون لم يفاجأوا بقرار مجلس الأمن، فمن الصحيح القول أيضاً بأن هذا القرار قد جاء ضربة قاسية من عصا غليظة، وبصورة خاصة فإن موقف فرنسا في مجلس الأمن بدا للناس هنا أمراً فاضحاً.

وإن المقارنة التي أجراها المندوب الفرنسي بين منظمة «فتح» وبين رجال المقاومة الفرنسية أبان الحرب العالمية الثانية... هذه المقارنة ترفضها إسرائيل باستياء شديد واستنكار خاص. فكان المندوب الفرنسي أراد ان يشبه الإسرائيليين (وهم المحتلون) بالنازيين من الألمان. وفي هذا التشبيه ما يجرح قلوبهم جراحاً بالغة يشددون القول على ان الغارة على الكرامة قد أعدت إعدادا متقناً وبعناية كبيرة تتلافى كل إصابة بين المدنيين وهم يقولون: لو شئنا لقضينا على الكرامة وبالقصف الجوي. ولكننا بعثنا المشاة والمظليين لكي نكون على يقين من أننا لن تصيب إلا القوات العسكرية... ومع ذلك يتهمنا البعض بالنازية. علماً بأن أحدا لم يتهمهم بالنازية لكنهم مقتنعون بذلك. ولا يمكن ان يقوم أي حوار معهم.

ومضت الصحيفة تقول: وكان زعماء إسرائيل قد ثابروا على القول أنهم لن يحبسوا أنفسهم في (الجيتو)... ولكن لم يمض على عملية الكرامة سوى أربعة أيام حتى توضح ان هذا غير صحيح. وأن «فتح» هي بالفعل تهديد خطير لإسرائيل شأنها شأن الجيوش العربية النظامية.

لقد انتصرت إسرائيل على العرب في ستة أيام، ولكنها، بعد ان انقضى سنة كاملة على تلك الحرب، وما تزال تواجه نفس المشاكل، ونفس الأعداء وقوات «فتح».

وصحيح أنه لا يجدر بنا المبالغة في تقدير قوة هذه المنظمة، ولكن الصحيح أيضاً أنها ازدادت قوة وشأناً منذ قامت بغارتها الأولى عام 1965م.

وفي مدار تعليقها عن معركة (الكرامة) قالت صحيفة هيرالدتربيون 1968/3/25م في مقال لها تحت عنوان:

«الوقت إلى جانب مَن؟ العرب أم اليهود»

وقد جاء في الفقرة الأخيرة من هذا المقال ما يلي:

إن كره العرب لإسرائيل سيتعمق على الأغلب. وهناك عرب أكثر من الإسرائيليين بكثير.

ذلك تفكير يوهن عزيمة الإسرائيليين. ولكنهم يرفضون ان ينظروا إلى الأمام كثيراً. فإذا لم يتم التوصل إلى حلول في المستقبل القريب، فهم يقولون بسخرية وعناد، انه قد لا يكون لهم أي مستقبل على المدى البعيد.

«الفدائيون العرب يضيقون الخناق»

تحت هذا العنوان كتب (روبرت ستيفنز) مراسل صحيفة الاوبزرفر البريطانية في بيروت المقال التالي:

من غير المحتمل أن يؤدي القصف الأخير على طول خط وقف إطلاق النار بين الأردن وإسرائيل إلى تعطيل كامل للتأثير القوي على العالم العربي الناجم عن معركة الأسبوع الماضي في وادي الأردن.

ولم تصب الخسائر الفادحة القوة الإسرائيلية الغازية فقط بل ان الجيش الأردني وأفراد الفدائيين قد مزقوا أسطورة عدم قهر إسرائيل في أعين العرب ورفعوا بذلك المعنويات العربية. فقد مر المزاج العربي بسهولة من اليأس إلى الفرح.

ومضت الصحيفة تقول:

وإلى جانب ازدياد الشك والقلق حول وقف إطلاق النار فإن النتيجة الأساسية تكمن في وضع الفلسطينيين العرب أنفسهم كشعب منفصل وأعادته إلى خارطة الشرق الأوسط السياسية لأول مرة منذ عام 1948م. ولن يكون بعد الآن أي استفهام حول مشكلة فلسطين وإقراراها من قبل الحكومات العربية لأن ذلك سيكون مهمة الفلسطينيين العرب أنفسهم. وحيث ان هذه من ضمن الأهداف الأولية لمنظمات المقاومة الفلسطينية، والتي تبرز منظمة الفتح من بينها كقوة غالبة، فان نتيجة المعركة لابد وان تكون على عكس ما يبتغيه الإسرائيليون من ورائها وعلى الأخص تعطيل أعمال الفدائيين لكونها قوة عسكرية أو نضالاً سياسياً جدياً.

إن صعود الفتح يبدو أيضاً كدليل على أن قيادة الفلسطينيين قد تبدأ الآن بالظهور والدخول في ميلاد جديد لزعماء وطنيين ثوريين بدلاً من (المرموقين) إلى الذين تدهورت سلطتهم بعد 1958م والذين يختلفون عنهم في الثقافة والتصميم والقيادة العملية كاختلاف الزعماء الصهيونيين النشيطين عن الفئة الغنية السلبية من (دعاة الاندماج).

محادثات سياسية:

إن الفدائيين البارزين الآن لم يعودوا قطاع طرق كالذين كانوا يشكلون في السنين الماضية (الفدائيين) بل انهم متطوعون ذوو ثقافة جيدة دفعتهم عواطفهم الوطنية للانتساب إلى المنظمة الفدائية. ويقال ان القيادة العسكرية للعاصفة مؤلفة من مهندسين كهربائيين واثنين من المختصين بالإلكترون واثنين آخرين من المختصين بالرياضيات. وقد لعبوا جميعهم دوراً في حرب الاستقلال الجزائرية وتلقوا تدريبات على المدفعية والأمور العسكرية الأخرى خارج منطقة الشرق الأوسط.

ومضت الصحيفة تقول: ويبدو أن الحوادث الأخيرة تمحي أي أمل جدي في التوصل إلى معاهدة سياسية محددة كانت إسرائيل تتمسك بها على أساس الشروط التي كانت ترغب بتقديمها والسؤال الذي يدور الآن هو ما إذا كان ناصر وحسين قد ضمنا الموافقة على خطة قرار مجلس

الأمن المؤدية إلى انسحاب إسرائيل، هذا الانسحاب الذي سيجد عداء كافياً من الفلسطينيين كافة لجعله مستحيلاً لأن زعماء الفدائيين سيستمرون في القتال لانهم يريدون حلاً جذرياً اكثر.

والأرجح ان هذا سيحدث، ولكن في الوقت الذي يتزايد فيه عدم صبر الفلسطينيين في الأراضي المحتلة لأنهم يريدون التحرر من السيطرة الإسرائيلية بأية وسيلة، مرارتهم تشتد بسبب طبيعة حكم الاحتلال العسكري.

ومن هنا فإن لحركة المقاومة الفلسطينية الراهنة عنصران أساسيان:

أولئك الذين التحقوا بها بنتيجة الحرب والاحتلال ويعتقد بأنهم يعدون بالآلاف،

وكذلك الوطنيين والمنظمات التحريرية التي كانت نشيطة قبل الحرب. ومن بين تلك المنظمات «لفتح» التي بدأت بفئة صغيرة من الفلسطينيين المنفيين العاملين في الكويت، وكانت أكبر المنظمات قوة ونشاطاً من الناحية العسكرية. ويمكن القول ان الفتح وليست الحكومة السورية أو الرئيس ناصر كانت المفجر الأصلي للحوادث التي قادت إلى حرب حزيران في الجانب العربي.

تدريب سري:

ومن الغريب في الحقيقة أن يوجه انتباه قليل إلى أصل وأفكار «فتح» حتى الآن.

وقد أعطاني أحد زعماء «فتح» الذين قابلتهم هنا بعد فترة قصيرة من المعركة الأخيرة اللمحة الآتية عن تاريخ وأهداف العاصفة والفتح:

بدأت «فتح» في تشكيل وحداتها في نهاية عام 1956م بعد حرب السويس - سيناء. واستمرت في بناء تركيبها السياسي خلال السنتين التاليتين، وبدأت بتشكيل منظمة عسكرية في عام 1959م. واستمرت في

استعدادها العسكري والتدريب السري - لإيجاد (نخبة من القوات العاصفة) حتى عام 1964م عندما تشكلت طلائع الفدائيين.

وفي عام 1965م شنت «فتح» أولى هجماتها على محطة ضخ إسرائيلية على بحيرة طبريا تستعمل لمشروع تحويل مياه نهر الأردن.

كانت «فتح» مستقلة تماماً وكانت تمول بالأموال التي يقدمها الفلسطينيون من جميع أنحاء العالم العربي وكذلك من شمالي وجنوب أمريكا.

نشرت جريدة (**ورقة الاثنين**) الأسبوعية الصادرة في 1968/4/1م في فلنسيا ومن الجدير بالذكر أنها الجريدة الوحيدة التي تصدر يوم الاثنين في هذه المقاطعة - تحقيقاً صحفياً تحت عنوان:

(يوم مع فدائيي «فتح» الذين خدعوا من هيئة الأمم والقوى الكبرى والدول العربية يعرفون أن اتجاههم يعتمد عليهم أنفسهم). ومما جاء في هذا المقال: ان الشخص الذي وضعنا على اتصال مع فتح يلبس بدلة عسكرية تظهر عليها آثار العمل ومسلح ببندقية معلقة في كتفه اجتمع بنا في مكان أشار إليه بين ضيعتين، قادنا حتى الوصول إلى مجموعة من بيوت مهجورة مبنية من الطين حيث كان هناك ينتظرنا آخرون.

إنهم رجال شباب حول العشرين من العمر. عادل شاب يتعلم الإنجليزية في جامعة عين شمس في القاهرة دخل الأراضي الأردنية ليلتحق بالفدائيين كما قدم نفسه.

المجموعة تتكون من سبعة، ثلاثة منهم من طلبة جامعيين والأربعة الآخرون تركوا عملهم للانضمام إلى فتح. يقول عادل: لا يوجد عندنا مشكلة لجمع الفدائيين على العكس فهم يأتون متطوعين من مختلف الأعمار، أصغرهم سناً حتى الآن كان صبياً عمره 11 سنة أرسل إلى بيته (عادل اسم حركي).

ومضت الصحيفة تقول: إن هذه المجموعة ككثير من رجال (الفتح) هي نتاج مخيمات اللاجئين التي وجدت بعد حرب 1948م بين العرب والإسرائيليين والتي هرب فيها حوالي المليون من الفلسطينيين إلى الأردن وسوريا ولبنان وقطاع غزة.

ولدوا ونشأوا منذ الطفولة الناعمة في المدن المنبسطة المزدحمة بالسكان والمؤلفة من الخيام المنتشرة في غزة وأريحا ومناطق أخرى وتتغذى من الصدقات وجمعيات وطنية والأمل. هؤلاء الشباب قد تحولوا إلى عاصفين.

قسم الأخبار الخارجية نشرت **جريدة (جمهوريات) الإسطنبولية الصادرة بتاريخ 1968/3/31م** تعليقاً في زاوية (العالم اليوم) بقلم: كايهان صاعلامير تحت عنوان:

«مزيداً من الانزلاق في الوحل» إن نشوة النصر التي أصابت إسرائيل في الحرب الأخيرة وكذلك غرورها الكبير يمنعها من أن تعترف بما أصابها متمثلاً في النقاط الآتية: إن خسارة إسرائيل أمام قوات فدائيي «فتح» تفوق خسارتها التي أدلت بها على الصعيد الرسمي الحكومي. ولأول مرة تقف إسرائيل أمام الرأي العام الذي لم تحسب له حسابا السؤال الآتي في وجه إسرائيل: (هل الخسارة التي قدمتها تساوي وتتناسب مع ما حققته) بالنسبة لهذا السؤال انقسم السياسيون وبدأ النقاش بينهم:

إن الهجوم الإسرائيلي لم يحقق غايته حيث بقيت قواعد فدائيي «فتح» في الأراضي في مأمن عن التدمير مثله مثل عدم استطاعتها القضاء على منظمة «فتح» (فمنظمة «فتح» عادت إلى نشاطها في منطقة الكرامة في مدة لا تتعدى الأسبوع على هجوم إسرائيل) فقد تصاعدت هجماتهم (اضرب واهرب) تجنباً لقوة اليهود. إن معنويات الشعب العربي المسحوق وكذلك معنويات جيوشه قد ارتفعت بحيث ولدت إحساس الانتقام بشكل كبير.

هذا ومضت الصحفية تقول: مما تقدم نرى ان هجوم 21 آذار قد أعطى نتائج عكسية تماماً لما أُريد له ان يكون. وان ذلك لم يكن يتوقع ان يكون بإعطائه نتائج مختلفة لكل من الطرفين. وإذا لم تترك إسرائيل سياسة العصا فانه يعني لها مزيد من الانزلاق في الوحل[1].

جهنم في الكرامة، الهزيمة النكراء، أكثر الهزائم الجارحة، هزيمة الكرامة، بهذه الأوصاف نعت الإسرائيليون هزيمتهم في الكرامة الخالدة في 21 آذار 1968 التي كتب سطورها بواسل الجيش العربي المصطفوي، بأحرف من ذهب في كتاب التاريخ العربي المعاصر.

«جهنم في الكرامة» عنوان مقالة للكاتب الإسرائيلي افيتار بن تسيدف نشرها في مدونته الإلكترونية «غلوبال ريبورت» تداولها الكثير من المدونات والمواقع الإلكترونية الإسرائيلية لما فيها من اعتراف واضح وصريح بأول هزيمة عسكرية يتذوقها الإسرائيليون منذ اغتصابهم لفلسطين في العام 1948.

يقول بن تسيدف في مقالته «بعد مرور أربعين عاما على الهزيمة النكراء التي عصفت بالجيش الإسرائيلي في آذار 1968 في معركة الكرامة، انتهت عملية جهنم (وهو الاسم الذي اطلقه جيش العدو حينها على معركة الكرامة) بإقالة الجنرال عوزي ناركيس، قائد ما يسمى بالمنطقة الوسطى بالجيش الإسرائيلي في حينها والذي تولى قيادة المعركة عن الجانب الإسرائيلي، دون أن يكون لأسباب إقالته حينها أي صدى يذكر حتى يومنا هذا.

ويكتب بن تسيدف أن أحد الجنود الإسرائيليين الذين شاركوا في الكرامة ويدعى (بيني) وهو احد قدامى المقاتلين في سلاح المدرعات الإسرائيلي، أنعش ذاكرته بأشياء منسية عندما قال له «مرت أعوام على

(1) مجلة الثورة الفلسطينية العدد الرابع نيسان ابريل 1968 عدد خاص عن معركة الكرامة ص 165 إلى 209 بتصرف.

هزيمتنا في معركة الكرامة، وهي اكثر الهزائم التي جرحت إسرائيل في الصميم».

ويضيف بن تسيدف «الهزيمة في الكرامة ألحقت بإسرائيل ضررا استراتيجيا خطيرا وخلفت عشرات القتلى والجرحى وبثت الأمل في الروح العربية بأن بإمكان العرب مواجهة الترسانة العسكرية الإسرائيلية بكل ما تمتلك من قوة لدرجة انه يمكن كسر شوكة هذه الترسانة ودفعها إلى الخنوع والاستسلام، فقد مهدت الكرامة الطريق أمام اندحار إسرائيل في حرب الاستنزاف وهو ما نتج عنه بعد ذلك هزيمة الجيش الإسرائيلي في حزب حزيران 1973 (حرب يوم الغفران عند اليهود)».

ويربط الكاتب في مقالته بين هزيمة الجيش الإسرائيلي في الكرامة، والهزيمة التي لحقت بجيش الاحتلال خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز 2006 بقوله «هناك خط رهيب ومتصل يربط بين الكرامة و(حرب لبنان الثانية) كما اصطلح الإسرائيليون على تسميتها، إلا وهو خط المهارة والحرفية التي أظهرها جنود الجيش العربي حينها وكررها لاحقا مقاتلو المقاومة اللبنانية في تموز 2006 عندما دحروا العدو عن أرضهم».

وما يزيد من طعم مرارة الهزيمة التي ذاقها الإسرائيليون في الكرامة كما يقول بن تسيدف، هو حقيقة أن الجيش الإسرائيلي قد هزم في واحدة من اكبر المعارك التي خاضها في تاريخه بعد أن اعد لها العدة جيدا وخاضها مدعما بفرقة عسكرية بكامل عتادها وألويتها مثل لواء المدرعات السابع و لواء المظليين 35 ولواءي احتياط المدرعات «اغروف» و» روحما 60» والمعززة جميعها بقوات من المدفعية والهندسة والمشاة والتي كانت تعمل برا تحت غطاء جوي كثيف بحسب الكاتب الإسرائيلي.

وجاء في موقع الكتروني إسرائيلي يسمى (حيتسر) وتعني بالعبرية (الباحة) عن معركة الكرامة «ان ما فاجأ الإسرائيليين حينها هو الأداء الناجح للجيش العربي الأردني أثناء سير المعركة»، وكتب الموقع «لقد خطط الجيش الإسرائيلي في المرحلة الأولى للسيطرة على المنطقة الممتدة

بين جسر داميا وجسر الأمير عبدالله وشمال البحر الميت، ثم ادخل قوات برية إسرائيلية إلى عمق الأراضي الأردنية للسيطرة على بلدة الكرامة، لكن فشلت جميع مخططات الجيش الإسرائيلي عندما لم يفلح سلاح الهندسة التابع له بمد جسر على نهر الأردن وذلك بسبب القصف الكثيف من قبل المدفعية الأردنية التي أمطرت قوات العدو بقذائفها».

وقال الموقع «ان الجيش الإسرائيلي فشل أيضا في تنفيذ عملية الانسحاب بشكل منظم حيث تمكنت القوات الأردنية من قطع جميع خطوط الاتصال بين القوات الإسرائيلية المندحرة، وتكبد الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة على الرغم من الغطاء الجوي، والتفوق النوعي لسلاح الجو الإسرائيلي وهو ما دفع بالجنرال بارليف وعلى الفور، لإقالة قائد الجبهة الإسرائيلية الجنرال عوزي ناركيسن واستبدله بالجنرال يسرائيل طال لقيادة العملية العسكرية الفاشلة في مرحلتها الأخيرة».

وأشار الموقع إلى أن «إقالة الجنرال ناركيس واستبداله بالجنرال طال لم تنشر في حينها وجرى التكتم عليها، وحتى اليوم عندما يتم التطرق لهذا الحدث بعينه يجري الحديث عنه بضبابية والبوح بأنصاف الحقائق فقط ليس لأي سبب سوى للتستر قدر الإمكان على الكثير من خفايا الهزيمة الإسرائيلية في معركة الكرامة الخالدة».

ويدلل الموقع الإسرائيلي على معلوماته هذه بالقول «انه وبعد عدة أسابيع من انتهاء المعركة جرى تعيين الجنرال رحبعام زئيفي الملقب ب (غاندي) خلفا للجنرال ناركيس الذي استقال من الجيش لشغل منصب بارز في الوكالة اليهودية».

وأظهرت الأدبيات العبرية أن إسرائيل استخدمت خلال عدوانها في الكرامة قوة جوية كبيرة لتوفير غطاء جوي لقواتها البرية الغازية، إذ يظهر على موقع سلاح الجو الإسرائيلي على الأنترنت، أن إسرائيل جندت قوة جوية ضاربة حيث شاركت مقاتلات حربية من أنواع «فانتوم» و «ميستر» و «اوريغون» و «سوبر ميستر» و «ميراج» بالإضافة إلى

مروحيات من طراز «اس 58» و «سوبر فالون» وجميعها أميركية وبريطانية وفرنسية الصنع.

وبحسب موقع سلاح الجو كانت هذه الطائرات ضمن سبعة أسراب شاركت في المعركة، وكانت تحمل الأسماء العبرية التالية «افيري هتسافون» ومعناه أبطال الشمال، و«هاكناف هامعوفف» ومعناها الجناح الطائر، و«هامصرعاه» ومعناه الدبور، و«هاعكراف» ومعناها العقرب، و«هاعطليف» ومعناها الوطواط، و«هسيلون هاريشونا» ومعناها النفاثة الأولى و«هاكراف هاريشونا» ومعناه المعركة الأولى.

ويظهر على الموقع الإلكتروني الخاص برابطة المحاربين القدامى لسلاح المظليين الإسرائيلي موضوع معركة الكرامة تحت عنوان «معركة دموية في الكرامة» سرد فيه ان المدفعية الأردنية أبلت بلاء حسنا خلال المعركة وأفشلت جهودا مضنية لإحدى وحدات سلاح الهندسة الإسرائيلي التي كانت تحاول مد جسر فوق جسر الأمير عبدالله لتمكين الدبابات الإسرائيلية من العبور عليه باتجاه الأراضي الأردنية.

وأخيرا فإن الأرقام تتحدث عن نفسها من خلال استعراض خسائر الطرفين، فقد قدمت القوات الأردنية الباسلة 86 شهيدا، و108 جرحى، وخسرت 13 دبابة و39 آلية مختلفة، وفي المقابل فقد تكبد الإسرائيليون 250 قتيلا و450 جريحاً, وتم تدمير 88 آلية مختلفة شملت 27 دبابة و18 ناقلة و24 سيارة مسلحة و19 سيارة شحن وإسقاط 7 طائرات مقاتلة[1].

(1) أيمن الحنيطي، «معركة الكرامة الخالدة: جهنم في عيون الإسرائيليين»، وكالة الانباء الأردنية (بترا)، 2013/3/20.

مرحلة الصعود الثوري بعد الكرامة

شهدت فتح بعد معركة الكرامة - إنطلاقة جديدة - من حيث تصاعد العمل المسلح ضد العدو وتزايد خسائر العدو، وقد عدّ المجاهد ياسر عرفات بعض مظاهر هذا التصاعد العسكري:

1 - أرغمت العدو على تعبئة 18 لواء مشاة بصفة مستمرة، غير مئات الطائرات والمدرعات، مما يكلف العدو ما لا يقل عن مليون جنيه إسترليني يومياً.

2 - تضاعف عدد مقاتلي العاصفة خلال الأشهر الأخيرة.

3 - تنامي المستوى العسكري لمقاتلي فتح: فقد أرسلت العشرات من المتطوعين ليتدربوا في كلية شرشل العسكرية بالجزائر حيث فتحها لهم الرئيس الجزائري هواري بو مدين لمدة عام بهدف تخريج ضباط، كما أرسلت مثلهم إلى الصين وسوريا والعراق ومصر.

4 - تطور التسليح فقد استخدمت الصواريخ ذات الأبعاد المختلفة، والطاقة التدميرية الكبيرة بالإضافة لآليات حديثة مختلفة[1].

ومنذ معركة الكرامة وحتى 1969/1/1م أصدرت فتح البلاغات من (107 – 223) أعلنت فيها عن تنفيذ 606 عملية، كان منها 10 عمليات مشتركة مع منظمات فلسطينية أخرى، مثل قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وقوات الصاعقة وفرقة خالد بن الوليد، وهي خطوة لم تقم بها فتح من قبل.

ومما يميز مرحلة ما بعد الكرامة، انطلاق عدد من العمليات من الأراضي اللبنانية بل ومشاركة لبنانيين فيها كالشهيد خليل عز الدين الجمل الذي استشهد في معركة تل الأربعين في 1968/4/10[2]، واتهمت

(1) عن صحيفة الرقيب الليبية 1968/3/28، أنظر فتح، الكرامة، ص63.
(2) العمل الفدائي في الأردن، ص23. أنظر على سبيل المثال ما ورد في: فتح،الكرامة، ص43-79.

إسرائيل، لبنان بإيواء الفدائيين والسماح لهم بالانطلاق من أراضيه وهو ما حاولت أن تنفيه فتح مدعية أن رجالها ينطلقون من داخل الأرض المحتلة[1]، وهو ادعاء يهدف إلى تجنيب لبنان ضربة مماثلة لمعركة الكرامة قد ينفذها الإسرائيليون، وقد ادعى موشيه دايان أمام الكنيست في 1968/7/24م أنه خلال الأشهر الأولى من 1968م وقعت تسع هجمات فدائية على إسرائيل انطلاقاً من لبنان[2]، وقد اعتدت إسرائيل على لبنان حيث دمرت 14 طائرة مدنية في مطار بيروت ليلة 1968/12/28م واعتبرت ذلك رداً على سماح لبنان للفدائيين بتنفيذ 18 عملية فدائية داخل إسرائيل منذ شهر أيلول (سبتمبر)[3].

كما تميزت هذه المرحلة بعمليات اشتباك لساعات طويلة يستخدم فيها العدو طائرات مقاتلة وعمودية ودبابات ومصفحات ومدافع مختلفة ومظليين ويتكبد خسائر فادحة في الأرواح[4].

وبمناسبة الذكرى الرابعة، في 1969/1/1م، عددت فتح إنجازاتها العسكرية فقد طورت فتح قدراتها العسكرية مادياً وبشرياً كما وكيفا حتى أصبح بإمكانها مواجهة كافة أسلحة العدو والتغلب عليها، وعملت على توعية مقاتليها سياسياً عبر التثقيف السياسي في معسكرات التدريب، وحققت تلاحماً شعبياً كبيراً مع مقاتليها وعملت على إشغال العدو وإرباكه معطية الفرصة للدول العربية لإعادة بناء قواها مادياً وبشرياً، كما أصابت العدو في معنوياته بعد انتصاره في حرب 1967م، وأربكت اقتصاد العدو وعطلت مشاريعه الإنمائية بسبب انتشار جيشه الدائم مع انخفاض الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ونشاط الهجرة المعاكسة وهبوط معدل السياحة وهروب الرساميل الأجنبية، وقلب استراتيجية الهجوم لدى العدو إلى دفاع بينما أصبحت الثورة الفلسطينية في موقع الهجوم المستمر[5].

(1) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م، (وثيقة رقم 526)، ص 493-4.
(2) الهيثم الأيوبي، مسيرة الكفاح المسلح خلال 15 عاماً، شؤون فلسطينية عدد98، ن ص38.
(3) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص637.
(4) يزيد الصايغ الكفاح المسلح والبحث عن الدولة - مؤسسات الدراسات الفلسطينية (ص 273).
(5) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969م- قرية فيتو (625 ص)، 494 هاني الحسن في 14 4 1970، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1970م، (وثيقة رقم 194)، ص233.

وفي دراسة عن العمل الفدائي أعدها باحث إسرائيلي في الجامعة العبرية[1] خلصت إلى:

- العمل الفدائي لن يؤثر على الوجود الإسرائيلي.
- فشل المنظمات الفدائية في إقامة قواعد لها في الأراضي المحتلة وفي حث المواطنين العرب على تنظيم مقاومة مدنية ضد الاحتلال.
- أن الفدائيين لا يستطيعون القيام بأكثر مما فعلوه حتى نهاية 1968م.
- اضطرار الفدائيين للاعتماد على الجيوش العربية النظامية.
- أن ظاهرة العمل الفدائي ليست عابرة وإنما وجدت لتبقى، وأن على إسرائيل التكيف مع الوضع الراهن.
- أن الخطر الحقيقي الذي يتهدد إسرائيل لا يكمن في العمل الفدائي أو حرب العصابات، وإنما في حرب نظامية تشن عليها[2].

وجاءت دعوة الملك فيصل لخليل الوزير وصلاح خلف إلى مقابلته وتعهده لهما بدعم مالي كبير، على قدر كبير من الأهمية، على الأقل بالنسبة إلى «فتح»، كما تطورت علاقات «فتح» بمصر إلى تحالف استراتيجي، فكان جمال عبد الناصر يسعى لتأسيس جبهة شرقية تضم سوريا والأردن والعراق، بينما كان يعد لشن حرب استنزاف على امتداد قناة السويس، وأثبت قرار «فتح» بالصمود والقتال في الكرامة لعبد الناصر أنها لا تعتمد على الخطاب اللفظي فقط، وبالتالي أرسل إليها شحنة سلاحا تعويضا عن خسائرها في الكرامة.

كما تمت دعوة عرفات وخلف والقدومي إلى مقابلة جمال عبد الناصر، وبحث قادة فتح في أثناء هذه الزيارة أيضا في مسألة التعاون العملي مع رئيس الاستخبارات العسكرية «محمد صادق» ومع وزير الدفاع ورئيس الاستخبارات العامة «أمين هويدي» وتولى هيكل ترتيب

(1) يزيد الصايغ الكفاح المسلح والبحث عن الدولة - مؤسسات الدراسات الفلسطينية (ص 273).
(2) من فتح عرفات في 1968/12/16م، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968م، وثيقة رقم 831)، ص956-7.

الاتصالات السياسية، بينما تولى «سامي شرف» مدير مكتب جمال عبد الناصر ومسؤول مديرية الأمن القومي متابعة الشؤون العملية المتعلقة بفتح وبالمنظمات الفدائية كافة.

وظهر الدليل على العلاقة الجديدة في 10 أيار/مايو عندما أعطيت فتح موجة خاصة بها لتبث يوميا من إذاعة القاهرة، وساعدت مصر المنظمات الفدائية الأخرى.

اعتباراً من حزيران/يونيو1968م ازداد عدد مقاتلي فتح الذين يتلقون التدريب في مصر على إطلاق الصواريخ وكضفادع بشرية وكمدربي صاعقة وكضباط استخبارات، وفي الواقع كان الارتباط الاستخباراتي مقوما مركزيا من مقومات العلاقة الجديدة، وتولى الكوادر الذين حضروا الدورة التدريبية الأولى سنة 1968م، في معظمهم رئاسة أجهزة فتح الأمنية لاحقا.

وقد اهتم المصريون بفتح بسبب السرعة التي بدأت بها العمليات العسكرية ضد إسرائيل بعد الحرب، وشرح القائد العام للقوات المسلحة «محمد فوزي» فيما بعد، ذلك الاهتمام بقوله: «كان العمل الفدائي مهما جدا بالنسبة إلينا... لأننا كنا عند نقطة الصفر، وخصوصاً في سلاح الجو، وكنا بحاجة إلى تسخين الجبهتين الأردنية والسورية وحتى اللبنانية، إذا امكن لصرف نظر الجيش الإسرائيلي ولإجباره على نقل بعض قواته إلى أماكن أخرى في أثناء إعادة بناء قوتنا.

وأكد أمين هويدي الذي أصبح يشغل منصب وزير الدفاع ورئيس الاستخبارات العامة في هذه الأثناء الحاجة إلى فتح جبهات إضافية خلف الخطوط (الإسرائيلية).

وكان صادق قد عيّن في تموز/يوليو ضابط الاستخبارات العسكرية إبراهيم الدخاخني - وهو ضابط مخضرم في مجال التعامل مع الناشطين الفلسطينيين في غزة - ملحقاً في عمان - لضمان التواصل المنتظم مع المنظمات الفدائية، وزار الدخاخني دمشق في شهر آب، حيث قابل قادة فتح، وتعهد بتقديم مساعدة عسكرية فورية لهم، ونقلت طائرة مصرية أول

شحنة من المعدات القتالية بعد ذلك الاجتماع بوقت قصير، ثم حملت في طريق عودتها الدخاخني و50 مقاتلا من فتح لتلقي التدريب على قتال القوات الخاصة.

وقامت مصر وتعزيزاً للنشاط الفدائي ضد إسرائيل بنقل 130 ضابطاً وجندياً من الكتيبة 29 التابعة لجيش التحرير الفلسطيني إلى جنوب الأردن في منتصف نيسان/أبريل 1968م.

وترأس هذه القوة الضابط «أحمد حلمي» المعروف **(بأبي هاني)** والذي حل محله لاحقاً «جمعة الجمال» وهو فدائي سابق من الكتيبة 141 استخدم الاسم الحركي نفسه (أبو هاني)... وكانت مجموعة أبو هاني تضم ضباطاً مطاردين من الأراضي المحتلة تابعين لجيش التحرير الفلسطيني بينهم «فاخر النحال، ووليد شعبان، وأحمد مفرج» وتولت فتح إمداد المجموعة بحاجاتها.

وقامت هذه القوة بعمليات ضد مصنع البوتاس على البحر الميت، وقاعدة مساده الجوية، ومفاعل ديمونة النووي، التي استخدمت خلالها صواريخ ثقيلة من عيار 240 ملم أمدتها مصر بها.

وكانت الحركة الفدائية في هذه الأثناء قد أصبحت قوة معتبرة في الأردن، فقد اجتذبت معركة الكرامة سيلاً من المتطوعين الفلسطينيين والعرب، وصرحت فتح في 20 أيار/مايو 1968م ان 20.000 طالب وجندي سابق من مصر طلبوا الانضمام إليها، بينما اعلن مكتبها في بغداد انه يتلقى 1500 طلب التحاق أسبوعيا.

وفي حزيران/يونيو تمكنت «فتح» بفضل هذا التدفق من تقسيم قوتها المتنامية إلى ثلاثة قطاعات فدائية تمتد من أم قيس في الشمال إلى وادي عربة جنوبي البحر الميت، وكان لكل قطاع آمر وضابط عمليات ومعسكر تدريب يستوعب المجندين الجدد، وتألف كل قطاع من عدة قواعد كانت غالبا ما تنقسم إلى مجموعات أصغر للاحتماء من غارات الطيران ومن القصف المدفعي الإسرائيلي، وأيضا لتسهيل تحكم الضباط ذوي الخبرة العسكرية الضئيلة في عناصرهم.

ومع ازدياد أعداد الفدائيين وتطور قدراتهم الإدارية أعيد تجميع كل 12 قاعدة تقريباً في وحدة، وشكلت كل أربع أو خمس وحدات قطاعا، وبهذه الطريقة كان القطاع الشمالي قادراً على استيعاب 2000 فدائي في ذروته في صيف سنة 1969م، بينما استوعب القطاع الأوسط 1500 فدائي تقريباً.

وكان لدى فتح قوة صغيرة مؤلفة من 200 عنصر في القطاع الجنوبي، مهمتها الأساسية تهريب الرجال والسلاح إلى منطقة الخليل أو إلى غزة عبر صحراء النقب، وقد تغلبت قوة فتح هذه على عدم الثقة الأولية التي أظهرها الأهالي تجاهها من خلال إيجاد موطئ قدم لها بين العشائر .

وقامت هذه القوة بعد ذلك بتقديم الخدمات الطبية للأهالي بفضل جهود مفوضها السياسي الأول رؤوف نظمي (المعروف بمحجوب عمر) وهو طبيب مصري وشيوعي سابق.

وكذلك حققت فتح من جراء تصديها للعدوان الإسرائيلي على الكرامة، نتائج مهمة منها:

1 - تزاحم المتطوعين على «فتح»؛ فخلال أسبوع واحد تقدم أكثر من 15 ألف شاب وشابة بطلبات التطوع مع قوات العاصفة[1]، خمسة آلاف منهم تقدموا خلال أول 48 ساعة بعد المعركة مباشرة، لكن فتح لم تتمكن من استيعاب هذه الأعداد الضخمة، وإنما جندت منهم تسعمائة فقط[2].

2 - الدعم المالي: حصلت فتح بعد معركة الكرامة على تبرعات مالية من جهات مختلفة، فقد تبرع نواب مجلس نواب الأمة الكويتي بمكافآتهم التي يأخذونها من المجلس، كما تبرع عدد كبير من المواطنين الكويتيين بحوالي مليون دينار خلال أسبوع بعد الكرامة، وقامت حملة تبرعات في العراق وإمارات الخليج العربي كما تأسست في لبنان جمعية لرعاية أسر شهداء «فتح»[3].

3 - الشهرة والتعاطف العربي: فقد بثت «فتح» دعاية نشطة وواسعة في البلاد العربية والأجنبية عن بطولات الفدائيين، أتاح لها اكتساب الشهرة العريضة والتعاطف الواسع[4]، حيث ما فتئت الصحف العربية والأجنبية عن الحديث عن فتح وإنجازها الكبير يوم الكرامة[5]، مما أدى إلى تدفق التبرعات والمساعدات المالية عليها بحيث تمكنت من توسيع نطاق نشاطاتها.

---

(1) البلاغ العسكري رقم 113 ، فتح، الوثائق العسكرية ج1، ص154.
(2) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968م ، (وثيقة رقم 265) ص 304.
(3) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص633.
(4) المصدر نفسه، ص281-2.
أنظر على سبيل المثال البلاغات العسكرية رقم: 112، 114، 116، 118، 128، 192، 226، 276، وهي تشمل على أبرز ثماني عمليات، بلغ مجموع قتلى وجرحى العدو فيها 633 جندياً إسرائيلياً، فتح الوثائق العسكرية، ج1، ص153، 155، 158، 160-161، 174، 256، 303، الكتاب السنوي لفتح لعام 1968، ص337.
الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص 169-170 .
(5) يهوشعفاط هار كابي (Yehoshafat Harkabi) وهو ضابط إسرائيلي متقاعد كان قائداً لمخابرات 1955-1959. أنظر على سبيل المثال ما ورد في:فتح، الكرامة، ص43-79.

4 – قبل الكرامة، كانت «فتح» تتوقع صداماً مع السلطات الأردنية في محاولة لمنع فتح من العمل الفدائي انطلاقاً من الأردن لما يسببه ذلك من أذى للأردن، فكان أن حسمت معركة الكرامة هذا الصراع مؤقتاً، فبدلا من أن يكون مع السلطات الأردنية، أصبح مع العدو الصهيوني، وكان للإقبال الشديد على «فتح» إثر الكرامة دوره في تعزيز موقف فتح أمام السلطات الأردنية[1].

5 – تصاعد العمل الفدائي ضد إسرائيل: فمع الإقبال الشديد على الحركة وتضاعف الإمكانات المادية وتحقيق الاعتراف العربي الرسمي بها، مع حرية العمل انطلاقاً من الأراضي الأردنية، جعل الحركة تدخل في مرحلة الصعود الثوري التي تتسم بتزايد العمل العسكري ضد العدو وارتفاع معنويات الفلسطينيين في الأراضي المحتلة مع امتداد أعمال المقاومة فيها[2]، وقد ادعى ناطق عسكري إسرائيلي في 1968/8/4م، أن انخفاضاً ملحوظاً قد طرأ على نشاط الفدائيون بعد الكرامة، وقال أن 98 حادثاً قام بها الفدائيين في تموز (يوليو) الماضي[3]، والواقع أن 98 حادثاً في شهر واحد هو رقم قياسي وليس بالأمر الهين، ويكفي أن يدلل هذا الرقم على كذب الإدعاء الإسرائيلي وتضليله للإعلام.

ومن نتائج معركة الكرامة اندماج العديد من التنظيمات الفلسطينية الصغيرة مع حركة فتح مثل: طلائع الفداء لتحرير فلسطين (فرقة خالد بن الوليد) بقيادة صبحي ياسين (أبو خالد) في 7 أيلول، سبتمبر 1968م، وجبهة التحرير الوطني الفلسطيني (مجموعة أبو حلمي، حسن الصباريني) في 13 أيلول، سبتمبر 1968م، وجبهة ثوار فلسطين بقيادة محمد أبو سخيله في 25، تشرين الثاني - نوفمبر 1968م، وقوات الجهاد المقدس في 12 حزيران - يونيو 1969م، والهيئة العامة لتحرير فلسطين

(1) المصدر نفسه، ص595 . 53، 155، 158، 160 - 161، 174، 256، 303، الكتاب السنوي لفتح لعام 1968، ص337 .
(2) الهيثم الأيوبي، مسيرة الكفاح المسلح خلال 15 عاماً، شئون فلسطينية عدد98، ص38.
(3) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1968، ص637.

بقيادة الشهيد عصام السرطاوي عام 1970م، والجزء الأكبر من منظمة فلسطين العربية عام 1972م، فضلا عن عدد من المجموعات الفلسطينية الصغيرة التي اندمجت مع حركة فتح منذ بواكير التأسيس الأول (مجموعة عادل عبد الكريم، العاصفة، مجموعة خالد الصحن، هيئة تحرير فلسطين، مجموعة هايل عبد الحميد/منظمة عرب فلسطين في مخيم اليرموك، مجموعة هاني الحسن، شباب الأقصى، ومجموعة محمود عباس، طلبة فلسطين في جامعة دمشق، التي ضمت إضافة إلى أبو مازن «نامق أبو عايد، عمر الحوراني، يحيى البنا، المحامي ظافر الخضرا، ومحمود المغربي)، وفي لبنان (مجموعة زكريا عبد الرحيم، المنظمة الفلسطينية الثورية كما انضمت عدة فصائل فلسطينية إلى منظمة التحرير الفلسطينية[1].

وفي الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني في العام 1968 ترأس المجاهد ياسر عرفات اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتم تسميته القائد العام لقوات المقاومة الفلسطينية.

ونوجز مما تقدم أيضاً:

- أن الجندي الأردني والمقاتل الفلسطيني تواحدا في خندق الكرامة فكان النصر.
- اخلصنا النية فتوحدت القلوب لتعود الكرامة.
- لا شك أن الكرامة ذكرى عزيزة على نفوسنا ليس لأننا احرزنا النصر فيها فقط، بل لأنها جمعت الدم الفلسطيني مع الدم الأردني في معركة لاستعادة الكرامة، نفتخر فيها ونحن نعيش مرحلة هوان وذلك لم يشهده تاريخنا منذ عقود بل قرون... فلتكن أرواح شهداء الكرامة مظلتنا، وليكن خندق الكرامة الخندق الذي يجمعنا من جديد.
- نحن إذ نقوم بتوثيق هذه المعركة حاولنا الوصول إلى الحقائق كاملة، من خلال الأفراد والمقاتلين والضباط وكل الذين شاركوا في هذه

(1) «حركة فتح من العاصفة إلى كتائب الأقصى»، علي بدوان، نبيل السهلي، ص40-41.

المعركة، لننقل إلى الأجيال الناشئة، مؤكدين على وحدة الدم الفلسطيني والأردني...

ولنحيي ذكرى أولئك الشهداء الذين رووا بدمائهم هذه الأرض الطاهرة المقدسة، ولنزيح غبار النسيان عن أضرحتهم وهم الذين صنعوا هذا المجد وهذا التاريخ.

ونحن نؤكد على وحدة الدم الفلسطيني الأردني وقدسيته لا نلغي دوراً لأحد أو نستحضر دوراً غير مؤكد، ومن خلال إشراقة هذه الحالة الفريدة في التوحد نضع معا المستقبل لأجيالنا، ودون ذلك الفشل الذي لا نرضى، فأرض الرباط... أرض الرسالات... أرض مقدسة... وكلنا أبناء هذه الأرض المباركة.

سلافة جاد الله وهاني جوهرية يتقاسمان الطعام مع رجال الأمن الأردني في الكرامة

ملاحق

أسماء شهداء حركة «فتح» في معركة الكرامة

الرقم	اسم الشهيد / حقيقي	حركي	البلد الأصلي
1	تيسير شريف محمد هواش	أبو شريف	نابلس
2	بشير كامل داوود أبو تمام	أبو أميه	الخضيرة
3	ربحي محمد حسين حامد الأسطي	ربحي أبو الشعر	مسكة / طولكرم
4	عبد المطلب داوود قاسم الدنبك	الفسفوري	نابلس
5	علي حسن علي عياد	أبو خالد	يافا
6	فتحي رجب محمد نمر مصطفى	ناصر خالد	العباسية
7	زهير أديب عبد الجبار جوده جابر	جبار	الخليل
8	سلامة محمود محمد البورنو	وحيد	يافا
9	سمير محمد حمدان الخطيب	ناصر	طوباس
10	عوض محمد عوض العديلي	رائد	العباسية
11	محمد إبراهيم حسن عاصي	بلال	دير طريف
12	جميل إبراهيم حسين بابية بلعاوي	سليمان عبد الحميد	بلعا – طولكرم
13	حامد أحمد محمد العزة	صلاح الدين	بيت جبريل – الخليل
14	محفوظ محمود موسى شحيط	أبو اللد	اللد
15	محمد دعاس محمد أبو عبيد	عبد الحميد ناصر	عرب الجرامنة – يافا
16	خليل جمعة علي ذيب	خليل أبو الليل	الغوير
17	جميل محمد يوسف مصطفى أبو عصبة	سامي «المدير»	سيلة الظهر – نابلس
18	علي محمد أبو السعود عبد	أبو السعود	دير طريف

الرقم	اسم الشهيد / حقيقي	حركي	البلد الأصلي
	الرحمن		
19	إبراهيم محمد سالم رضوان	أبو رضوان	القباب / اللد
20	تحسين خليفة مصطفى أبو غنيم	أبو حسان	كفر قليل /نابلس
21	داوود فارس سليمان الدودة	أبو فارس	حلحول / الخليل
22	إبراهيم يوسف مصطفى صرصور	أبو صطيف	اللد
23	سعدي عبدالله حسان عاشور	أبو عاشور	غزة
24	عبدالله إبراهيم عبد القادر يانس	أبو يافا	بيت دجن – يافا
25	محمود أحمد عوده العوضات	سيف الدين (أبو الرائد)	دير – الذبان، الخليل
26	محمد رياض عبد الفتاح داود الخياط	أبو اسعد	نابلس
27	حسن داوود سليمان شوشاري	رمزي	ام الزينات / حيفا
28	داود محمود داود قاطوني	مغير أبو منصور	الخيرية / يافا
29	إسماعيل محمود نوفل	أبو حسن	الدوايمة/ الخليل
30	خالد علي كايد كساب	أبو خالد	طلوزة /نابلس
31	حسين محمود محمد قديح	أبو قديح	التعامرة – بيت لحم
32	عبد الرحمن يونس عبد الرحيم	المنتقم	سلمة – يافا
33	محمود علي عبد الجليل الخطيب	أبو جليل	شعب – الناصرة
34	سليم عبد المجيد سعيد علي	أبو سعيد	قوليا / اللد
35	محمد جميل علي الدبش	فنحي الخياط	صور باهر / القدس

الرقم	اسم الشهيد / حقيقي	حركي	البلد الأصلي
36	د. رفيق بدوي محمود سيدو	أبو سيدو الدكتور	غزة
37	إبراهيم صقر إبراهيم عباد	أبو العباد	خربة اللوز القدس
38	محمود يعقوب عطية رشيد	عزمي	السافرية / اللد
39	جميل محمد محمود أبو صبحية	رائد	القباب / اللد
40	عزت حسين محمود عبيد	أبو عبد الرحمن	عنابة / اللد
41	فوزي موسى عبدالله أبو طير	أبو طير	ام طوبة / القدس
42	خميس خليل عبد القادر النمر	أبو فارس	غزة
43	صقر أحمد محمد مرار	سلطان	كفر راعي - جنين
44	محمد إسماعيل عايد شحادة	عائد	الحديثة – اللد
45	فرج سالم عدوان صقر	أبو صقر	بيسان
46	جمعه سالم مسلم رزق	أبو رزق	رفح / غزة
47	محمد جريبيع غيث أبو عزوم	أبو عزوم	بئر السبع
48	سليمان ذيب سليمان الحجاجرة	أبو سليمان	عجور – الخليل
49	تركي محمد جياب الوحيدي	الوحيد	بئر السبع
50	محمد عبد الحافظ محمود محمد	الفوكيني	وادي فوكين ، بيت لحم
51	محمد نمر محمد دعاس	أبو دعاس	حجة نابلس
52	اسعد نعيم الخطيب	أبو نعيم	الخليل
53	محمد محمد الشيخ علي	محمد زياد	الجورة – المجدل
54	محمد خالد رمضان قاسم	أبو رمضان	غزة
55	زكي محمود يوسف سليمان سالم	مجاهد	العباسية

الرقم	اسم الشهيد / حقيقي	حركي	البلد الأصلي
56	عبد الفتاح محمد أحمد الجمال	ناصر النجار	المسمية – غزة
57	فتحي محمد حسن سليم	أبو سليم	صميل / الخليل
58	ذيب محمود ذيب سليمان	أبو الأديب	بيت امرين - نابلس
59	الملازم رؤوف عمر حسين	رؤوف	دمشق اليرموك
60	عبد الهادي أبو بكر		
61	فتحي محمود عايد		
62	أبو فارس		
63	فهيم محمد أبو غزال		
64	عاهد سليمان		
65	مطاوع أحمد إبراهيم		
66	أبو حميد		
67	خالد سعدو الحديدي		الوحدات عمان
68	صدقي شاكر سمور		جبل الهاشمي عمان
69	مصطفى محمد أحمد مصطفى		دمشق دوما
70	محمد يوسف ذياب		حماة مخيم العائدين
71	فتحي حسين حسن		جوبر دمشق
72	محمد أحمد مراد		عمان
73	احمد يوسف عطايا		حمص مخيم الوافدين
74	احمد محمد شاكر		كفر راعي جنين

أسماء شهداء قوات التحرير الشعبية في معركة الكرامة

الرقم	الاسم	البلد الأصلي
1	عبد اللطيف طاهر أبو هنطش	صيدا - قلقيلية
2	عبد الفتاح مفلح الطلوزي	فاقون - طولكرم
3	علي سالم سليمان	
4	إبراهيم سالم أبو عفون	
5	غازي حفظي محمد غزال	
6	إبراهيم حسن حلاوة	نابلس
7	أحمد توفيق سعيد	
8	أحمد محمد أحمد عبد الباقي	اجزم – حيفا
9	شاهر عبدالله يوسف	
10	شحدة محمد أحمد طبيل	غزة
11	علي عيسى مصطفى	كفر الما – اربد
12	عدنان عبد الرحيم أبو دياك (الصاعقة الأولى)	
13	ياسر محمد مصطفى	
14	حسين موسى الزعبي	
15	صبحي علي عواد	
16	بهجت محي الدين النعيمي	بيت لحم
17	خالد عبد الفتاح العمري	
18	فلاح محمد عاشور	
19	عبد الغني الرحمن مصطفى إسماعيل	جوريش – نابلس
20	حسن فريد عبد الفتاح يحيى	ياصيد – جنين
21	عبد الرحيم عيسى سماره	

22	شاهر محمد عبدالله	طوباس – نابلس
23	عبد الرحمن رشيد سليمان	
24	عادل محمد يوسف صالح	
25	سلامة خليل الطحاوي	
26	طاهر عبد المجيد	
27	كمال محمد العرعير	

أسماء شهداء الجيش العربي الأردني في معركة الكرامة

الرقم	الاسم الحقيقي	البلد الأصلي
1	الجندي أول / مسلم قاسم مطير المطارنة	كتيبة سعد بن أبي وقاص الكرك
2	الجندي أول / عبد الرحمن محمد كساب	مادبا
3	الجندي / فيصل إبراهيم عيسى	الطيبة / وادي موسى البلقاء
4	الجندي / مصطفى سليمان إسماعيل	الرمان – السلط
5	الجندي / محمود علي حسين البلاونة	كتيبة الملك علي/5 غور أبو عبيدة – اربد
6	الجندي / تميم أحمد حسن الريماوي	بيت ريما / رام الله
7	المرشح / سالم محمد سالم الخصاونة	كتيبة الدبابات3/ اربد
8	الجندي/ حميد صدق بخيت الخضير	عمان
9	الجندي أول / محمد سالم الرقاد	كتيبة الدبابات عمان
10	الجندي أول / حسن عبد ربه حسين	بئر السبع
11	ملازم / محمد هويمل الزبن	كتيبة الدبابات/5 جلول – مادبا
12	الجندي أول / محمد ذياب محمود مطير	الحمراء – المفرق
13	الجندي / أحمد حسن عبد النبي بني احمد	ساكب – جرش
14	المرشح / عارف محمود الشخشير	كتيبة الدبابات/3 نابلس
15	الجندي / عبد المجيد فهد عبد النبي بني احمد	ساكب – جرش
16	جندي أول / محمود فليح خليف الخوالدة	مرصع – جرش
17	العريف / إسماعيل خليل إسماعيل المراعبة	الجيزة – مادبا
18	الجندي أول محمد عبدالله سالم	صروت – الزرقاء

الرقم	الاسم الحقيقي	البلد الأصلي
19	الجندي / صلاح أحمد سليمان	العدسية – ناعور عمان
20	الجندي / حسين معسلي سلمان	كوم الرف – المفرق
21	الجندي / عواد حمد الله علي الزيود	سحاب – عمان
22	عيد فياض راشد العظامات	ام القطين – المفرق
23	الجندي / مقبول غديفان اثنيان الزين	الفالج – مادبا
24	الجندي / نايل مليح سليمان	ازميلة – المفرق
25	المرشح / راتب محمد السعد البطاينة	كتيبة الدبابات/5 البارحة – اربد
26	النائب / سليم مفلح محمد بني صخر	كتيبة الدبابات/5 الموقر – عمان
27	اشتيان أحمد مفلح الصرايرة	سول – الكرك
28	الجندي / عارف محمد سالم	عجلون
29	الجندي / علي هلال بخيتان راشد الشرفات	المكيفة – المفرق
30	الملازم / عيسى سليمان عبد الرحيم	كتيبة المدفعية/7 المغير – اربد
31	الجندي / بركات محمد علي الزعبي	حريما – اربد
32	الجندي / علي موسى علي الفريحات	عجلون
33	الجندي / محمد شفيق عبدالله	بيسان
34	الجندي / عارف محمد حمدان	مادبا
35	العريف / عبد الحميد كامل ياسين النوابهة	صوريف – الخليل
36	الجندي / زهير حماد حامد	ساكب / جرش
37	الجندي / محمد خليل عبد الحي	بني نعيم / الخليل
38	الجندي / حسني طالب حسين سكرية	كتيبة المدفعية عمان
39	الجندي / محمد علي عبدالله القضاة	عين جنا – عجلون

الرقم	الاسم الحقيقي	البلد الأصلي
40	الجندي / عمر أحمد قاسم	جديتا – اربد
41	الجندي / يعقوب عايد يعقوب بني أيوب	عنجره – عجلون
42	الجندي / هزيل سلمان سليم	كتيبة المدفعية/4 ماعين – مادبا
43	الجندي / محمد فريد موسى الفوارسة	الطيبة – اربد
44	الجندي / أحمد مجلي عواد الشلول	دوقرة – اربد
45	الرقيب / أحمد شحادة محمد عبد الرزاق الشروع	مدجرسة الاستخبارات العسكرية دير يوسف – اربد
46	العريف / محمد نايف محمد بني أحمد	صمد – اربد
47	العريف / سلطان محمود محمد الكوفحي	البارحة – اربد
48	الجندي / أحمد محسن فالح البطاينة	إربد
49	الجندي أول / علي عطية عوض دار الشبح	سنيريا – نابلس
50	الجندي أول / سميح صالح سليمان الحدادين	كتيبة لاسلكي القيادة ماعين – مادبا
51	العريف / أحمد عبد المعطى الشلالده	سعير – الخليل
52	الجندي / محمود اسعد سعادة أبو صباح	عوريف – نابلس
53	الجندي / أحمد فريد طويرش	برقة – الاجفور
54	الجندي / سليمان علي خليل الحسنات	عمان
55	الجندي / يوسف حسن عبد الرحمن معيش	عراق المنشية – الخليل
56	العريف / سلهوم ماطر عيسى بني صخر	رجم الشامي – عمان
57	الجندي / عبد الله فالح محمود القضاة	اربد
58	الجندي / عبد الله نزال سالم الكعابنة بني صخر	مادبا

الرقم	الاسم الحقيقي	البلد الأصلي
59	العريف / عبد الرحمن خليل جبريل	القبور – القدس
60	الجندي /إبراهيم محمد عبد الله الشروف	كتيبة الملك علي/5 نوبا – الخليل
61	الجندي / محمد محي الدين هزاع قبلان	المغير – اربد
62	الجندي / أحمد صالح محسن	الرمثا – اربد
63	الجندي أول / محمد علي عواد البوريني	بورين – نابلس /جرش
64	الجندي / عبد الكريم محمود حسن الطميزي	إذنا – الخليل
65	الجندي / محمد أحمد فلاح الخطاطبة	عجلون
66	الجندي / محمود خليل اسعد زين	مجدل بني فاضل – نابلس
67	العريف / جبر محمود جابر دار جابر	تياسير – نابلس
68	الجندي / أحمد فريح مطلق العنانزه	كفرنجة – عجلون
69	العريف / ناصر محمد مطلق حمد الخوالدة	كتيبة عبد الله بن رواحة ضانا – الطفيلة
70	الجندي / إبراهيم يوسف إبراهيم السواقطة	طوباس – نابلس
71	الجندي / عيسى علي عيسى العلاونة	الطيبة – اربد
72	النائب / عبد الله شعبان عبد الغني شعاينة	جنين
73	الجندي / سرحان محمد حسن النجارنة	حريما – اربد
74	مصباح طلب علي رباح	الظاهرية – الخليل
75	الملازم أول خضر شكري يعقوب درويش	كتيبة المدفعية/5 معان
76	احمد خليل محمد خليل	الكتيبة الهاشمية الخليل
77	عريف بلقاوي عطا الله فلاح بني عيسى	لواء اليرموك / المفرق

الرقم	الاسم الحقيقي	البلد الأصلي
78	حامد محمد حمد اللصاصمة	كتيبة المدفعية/3 الكرك
79	خالد فوزي عبد الفتاح أبو بكر	كتيبة الدبابات في جنين
80	عبد الرحمن خليل جبرين أبو ناصر	القدس
81	جندي ثاني بخيت فرح المراعبة الحويطات	وحدة استطلاع الصحراء معان
82	محمد خليل اسعد زين الدين	نابلس
83	محمد محمود احمد القريون	كتيبة المدفعية اربد
84	الجندي طالب شحادة سالم الفقهاء	مادبا
85	احمد مزيد طوبرش ولد علي	سوريا
86	كريم عليان حمدان الزيود	الزرقاء
87	عبد الله سليمان الطورة	معان

المصدر: القيادة العامة للقوات المسلحة (المملكة الأردنية الهاشمية)